بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلاميّة

كليّة الدّراسات العليا

كليّة اللغة العربيّة

قسم الدراسات الأدبيّة والنقديّة

الاختيارات الشعرية في كتاب (المستطرف في كلّ فنّ مستظرف)

للإمام : بهاء الدين بن أحمد الإبشيهي

(دراسة أدبية نقدية تحليلية)

بحث مقدّم للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية (تخصص الأدب والنقد)

إعداد الطالبة : علوية قسم الله السيّد تقلاوي

إشراف الدكتور: حبيب الله علي إبراهيم

العام الجامعي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مقدّمة

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير، الغني الحميد الخبير المنفرد بالعزّ والبقاء والإرادة والتدبير، الحي العليم الذي ليس كمثله شـــيء وهـــو الســـميع البصـــير. والصلاة والسلام على سيدنا محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام.

إنّ هناك كثيراً من الشخصيّات والأعلام الذين برزوا في مجالات مختلفة، فمن هؤلاء الإمام بهاء الدين بن أحمد الإبشيهي مؤلّف كتاب (المستطرف) الذي تنـــاول فيه المعارف التي تسمو بالذهن وتبدو أكثر صلاحية في العلاقـــات الاجتماعيّـــة، وخاصّة اللغة والشّعر، أي الأبيات الشعريّة التي اختارها المؤلّـــف لشـــعراء مـــن عصور مختلفة.

موضوع البحث:

الاختيارات الشعرية في كتاب (المستطرف في كل فن مســـتظرف)، دراســـة أدبية تحليليّة نقديّة.

أهميّة البحث:

تتمثّل أهمية البحث في الآتي:

١/ جّدة الدراسة التي بين أيدينا حيث تكشف عن قضيّة أدبية من حيث التطبيق والتحليل والنقد في مجال الشعر لهذا الكتاب.

٢/ دراسة الكتاب لطلاب العلم لما فيه من فنون أدبيّة ثرّة.

٣/ تهدف الدراسة إلى تحليل الأبيات الشعريّة في كتاب "المستطرف" والتعرّف على الصور الجمالية فيه.

٤/ تقودنا الدراسة لمعرفة أغراض الشعريّة التي تطرق إليها المؤلّف، كالمدح والرثاء والغزل والوصف، وغيرها.

المنهج المتبع في هذا البحث:

المنهج الذي اتبعه للوصول للنتائج المرجوّة هو المنهج (التاريخي ، الوصفي، الإستقرائي، التحليلي) فهو منهج متكامل كلّ في موضعه.

الدراسات السابقة:

حسب علمي لم أعثر على دراسة علمية تناولت هذا الموضوع، أو حتى جزئيّة منه.

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث:

١/ كثير من الأبيات الشعريّة التي وردت في كتاب " المستطرف" ذُكرت دون أن تنسب إلى أحد فيقول المؤلّف: (قال آخر أو قال الشاعر).

٢/ كما أنّ هناك الكثير من الأبيات منسوبة إلى أصحابها، غير واردة في دواوينهم.

٣/ قلة المصادر والمراجع وكتب السيرة المتناولة لكتاب "المستطرف" ومؤلفه.

٤/ طباعة وإخراج البحث.

خطة البحث:

احتوى هذا البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، ثم خاتمة وفهارس عامة.

جاءت الفصول على النحو التالي:

الفصل الأول: حياة المؤلف وعصره ويشمل توطئة (تعريف بكتاب المستطرف وفكرته) **وثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: اسم المؤلف ونشأته ووفاته.

المبحث الثاني: ثقافته ومؤلفاته.

المبحث الثالث: عصر المؤلف.

الفصل الثاني: الأغراض الشعرية المختارة في كتاب "المستطرف" دراسة أدبية تحليلية نقدية وتشمل خمسة مباحث.

المبحث الأوّل: الغزل.

المبحث الثاني: المدح.

المبحث الثالث: الرثاء.

المبحث الرابع: الهجاء.

المبحث الخامس: الوصف.

الفصل الثالث: الدراسة الفنيّة لكتاب المستطرف، ويشمل تمهيد للتعريف بمفهوم الصورة الفنيّة، وخمسة مباحث.

المبحث الأوّل: التشبيه.

المبحث الثاني: الاستعارة.

المبحث الثالث: الكناية.

المبحث الرابع: المجاز.

المبحث الخامس: اللغة والأسلوب.

الخاتمة: وتشمل

١/ نتائج البحث.

٢/ توصيات الباحث.

فهارس عامّة: وتشمل:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأعلام.

فهرس الأبيات الشعرية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

حياة المؤلف بهاء الدين بن أحمد الإبشيهي وعصره.

ويشمل: توطئة (تعريف بكتاب المستطرف وفكرته) وثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: اسم المؤلف ونشأته ووفاته.

المبحث الثاني: ثقافته ومؤلفاته.

المبحث الثالث: عصر المؤلف.

توطئة

(تعريف بكتاب المستطرف وفكرته):

المستطرف في كل فن مستظرف للإمام محمد بن منصور الإبشيهي المحلى بهاء الدين أبو الفتح، يتألف من مجلدين تحت طبعة (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، فالمجلّد الأوّل يحتوي على سبعة وأربعين باباً، ويبدأ الكتاب بمقدمة الناشر التي وضّح فيها أنّ حبّ الشعر والأدب عميق في النفس العربية، وأنّ الإخبار عن جلساته وأيامه ولياليه يطول فيه الحديث ويتشعّب وينتقل بين الأحاديث الدينية وأخبار الفرسان والفروسية وشعراء القبائل ونقائضهم، وروايات العشّاق وغزلهم وتشببهم إلى أخبار الأسفار والملح المسلية والألغاز الشعرية والأهاجي والمدائح.

وكذلك يبيّن هذا الكتاب مجالس الأمراء والوزراء في العصور المتأخرة، وهذه المجالس تعتمد على السّمر والمنادمة وليس على الأخبار الرصينة والكتب العلمية المتخصصة؛ ولذلك كثرت فيها الكتب التي تجمع من كل سفر أغنية، ومن كلّ فنّ طرفاً؛ لذا نجد أنّ هذا الكتاب بمثابة العقد الفريد، جامعاً لكلّ لطيف وأنيس وجميل وغريب من المُلح والأعلام والأخبار والكلمات والأشعار والأفكار والألغاز والأسفار، فهو بمثابة المرجع في عادات عصره وأخبار أيّامه.

صوّر هذا الكتاب حياة الترف التي عاشها حكّام تلك الأيام تصويراً حيّاً نجد فيه كل ما هو مسلّ وممتع.

ثمّ جاء في مقدمة كتابه أنّ هناك جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورقائق الأشعار، وألّفوا في ذلك كتباً كثيرة تفرّد كلّ منها بفرائد الفوائد، فجمع من مجموعها اللطيف وجعله مشتملاً على كلّ فنّ طريف وسمّاه "المستطرف في كلّ فنّ مستظرف" ويقول: إنّه استدّل فيه بآيات كثيرة من القرآن، وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي ﷺ، وطرّزه بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار ويضيف بأنه نقل كثيراً ممّا

أودعه الزمخشري[1] في كتابه "ربيع الأبرار" وكثيراً ممّا نقله ابن عبد ربّه[2]. في كتابــه" العقد الفريد".

ويقول: إنّه أودع فيه لطائف وطرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيــدة مــن الأحاديث النبوية والأمثال الشعرية.

وقام المؤلّف بتقسيم هذا الكتاب إلى أربعة وثمانين باباً، في كل باب أكثر من فصــل، ويقول في ذلك: "ضمنّته كل لطيفة بكل ظريفة، وجعلت لأبوابــه مقدمــة وفصــلّتها فــي مواضعها مرتّبه منظّمة، ليقصد الطالب كل باب منها عند الاحتياج إليه، فيجد كل معنــى في بابه.

---

(١) هو: محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، إمام عصره في التفسير والنحو واللغة والبيان، ومتفنناً في علوم شتى، ولد بزمخشر من أعمال خوارزم، سنة (٤٦٧هــ)، من مصنفاته "الكشاف في تفسير القــرآن" و "نكــت الإعراب في غريب الأعراب" و"الأنموذج في النحو" و"أساس البلاغة" توفي سنة (٥٣٨هــ). معجــم الأدبــاء (إرشــاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق د/إحسان عباس، ط١ سنة ١٩٩٣م، دار الغــرب الإســلامي، ج٦، ص ٢٦٨٧. والأعلام، قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٦، ٢٠٠٥م، بيروت، لبنــان، ج٧، ص ١٧٨.

(٢) أحمد بن عبد ربّه القرطبي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حيدر بن سالم، القرطبي، مولى هاشم بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك بن مروان، جدّ الحكم الأموي من كتبه "العقد الفريد" وله ديوان شعر جيّــد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج١، ص ١١٠.

المبحث الأوّل

تعريف بصاحب الكتاب

أ/ اسم المؤلّف: هو محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى الإبشيهي المحلي، بهاء الدين أبو الفتح[١].

محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى البهاء، أبو الفتح بـن الشـهاب أبـي العباس الإبشيهي المحلي الشافعي والد أبي النجا محمد الآتي [٢].

هو: بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد الخطيب بن منصور بن أحمـد بـن عيسـى المحلي الإبشِيهي [٣].

ب/ نشأته:

الإبشَيهي، ويقال الإبشيهي، والإبشيهي (الاولى بفتح الشين والثانية بكسرها) نسبة إلـى قرية إبشوية من أعمال مديرية الغربية بمصر أو ابشيه من قرى الفيوم. ولد سنة سبعمائة وتسعين هجرية (١٣٨٨م) وفيها تخرّج" [٤].

"وقضى الإبشيهي أكبر أيام حياته في المحلة الكبرى، فقرأ فيها القرآن ودرس شيئاً من الفقه ومن النحو. وقد زار القاهرة مراراً" [٥].

ج/ وفاته:

نجد أن القسطنطيني صاحب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ذكـر أن الإبشيهي كان حيٌ في حدود سنة خمسين وثمانمائة هجرية[٦]، وقد وافقه في ذلك شـمس الدين السخاوي صاحب الضوء اللامع[٧]، وخير الدين الزركلي صاحب الأعلام[٨].

---

(١) الأعلام، ج٥، ص ٣٣٢.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ١٣٥٤هـ، مكتبة القدسـي، القـاهرة، ج٧، ص ١٠٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي، من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني، د/ عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج٣، ص٨٤٨.

(٤) دار المعارف، قاموس عام لكل مطلب بإدارة فؤاد أفرام البستاني، ١٩٥٨م، ج٢، ص ٢٤٧.

(٥) تاريخ الأدب العربي، د/عمر فروخ، ج٣، ص ٨٤٨.

(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القسطنطيني، ١٤١٧هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج٢، ص ٥٥١.

(٧) الضوء اللامع، ج٨، ص١٠٩.

(٨) الأعلام، ج٥، ص١٣٢.

المبحث الثاني

ثقافته ومؤلّفاته

١/ ثقافته:

"الإبشيهي المحلي الشافعي كاتب وشاعر، استمع إلى دروس جلال الدين البلقيني[١]، وجالس علماء ووقّف حياته على الأدب والتأليف".

"حفظ القرآن وصلى وهو ابن عشر- ثمّ تبع التبريزي[٢] في الفقه والملح وحجّ سنة أربعة عشر ودخل القاهرة غير مرّة وولي خطابة بلده بعد وفاة والده ودرس النظم والتصنيف في الأدب وغيره، ولكنه لعدم إلمامه بشيء من النحو يقع في كلامه اللحن كثيراً [٣].

٢/ مؤلفاته:

تبدو شخصية الإبشيهي متميّزة في كتابه المستطرف، وقد كشف عن دراسة واسعة بالحديث والتشريع والأدب وفقه اللغة، وكان له أسلوبه الواضح في التعبير الأدبي الذي اتسم بالإيجاز غير أنّه كان بيّن التأثير بكتاب "العقد الفرد" لابن عبد ربه فحاكاه في ترتيب الأبواب واختيار المواد وفي النقد وإيراد المعارف والأخبار وان كان قصّر عنه في ذلك.

ذكر أنه أخذ كثيراً ممّا أودعه الزمخشري في كتابه "شفاء الصدور" وأضافه إلى مصادر أخرى ذكر أنه أخذ عنها[٤].

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عمر رسلان الكناني، العسقلاني الأصل، ثمّ البلقيني المصري، أبو الفضل جلال الدين: من علماء الحديث بمصر، ولد سنة (٧٦٣هـ) له كتب في التفسير والفقه ومجالس الوعظ، ومناسبات أبواب، وتراجم البخاري- ط - ورسالة في بيان الكبائر والصغائر- خ"وغيرها، توفي سنة (٨٢٤هـ). الأعلام، ج٣، ص ٣٢٠.

(٢) هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو إسحاق الفارسي، التبريزي، من علماء تبريز، استقّر في القسطنطينية وصنّف بها كتابه "تقرير الحق -خ" مجلدين في الحكمة والفلسفة. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبي الفلاح الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج٤، ص ٦٠٥. الأعلام، ج٦، ص ٣٢٠.

(٣) الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، ج٧، ص ١٠٩.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، دار الجيل بيروت القاهرة- تونس، ١٩٦٥م، ج١، ص٨٥.

قد نسب إليه السخاوي [1] كتابين، الأوّل عنوانه"أطواق الأزهـــار علـــى صـــدور الأنهار" في الوعظ في مجلّدين، وكتاب "صنعة الترسل والكتابة" الذي لم يتمه. على الرغم من تقرير السخاوي للإبشيهي فقد انتقد لغته ووقوعه في اللحن، وعزا ذلك إلى عدم إلمامه بشيء من النحو. نُسب إلى حبيب الزيّات صاحب كتاب "خـــزائن الكتـــب فـــي دمشـــق وضواحيها" أنّ الإبشيهي ألّف كتاب "تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين" ومقطوعـــات شعرية أوردها في شعر فيه ضعف، تسوده عقلية عصر الدول المتتابعة وأنماط الصـــوفية المتأخّرة [2].

---

(١) هو: علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود أبو الحسن نور الدين السخاوي، توفي سنة تسع وثمـــانين وثمانمائـــة هجرية، باحث حنفي، صنّف "تحفة الأحباب وبقية الطلاب في الخطط والمزارات – خ". الأعلام، ج٤، ص ٢٥٨.

(٢) الموسوعة العربية، ج١، ص ٨٥.

المبحث الثالث

عصر الإبشيهي

(٧٩٠هـ - ١٣٨٨م) ، (٨٥٠هـ - ١٤٤٦م)

الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية

أوّلاً: الحياة السياسية:

دولة المماليك الجركسية[١] (البرجية) [٢]:

بدأت دولة المماليك الجراكسة بتبوأ السلطان برقوق[٣] عرش مصر (٧٨٤هـ- ١٣٨٢م) منصب السلطة واستمّر في الحكم حتى الفتح العثماني سنة (٢٣هـ- ١٥١٧م) وقد نجح السلطان برقوق في قمع الثورات الداخلية، كم أنّه أعدّ العدّة لحماية بلاده ضد توسعات تيمور لنك ممّا أدّى إلى إرجاء الصدام بين تيمور لنك[٤] والسلطان فرج ابن برقوق[٥] سنة (٨٥٠هـ - ١٤٠١م)[٦].

---

(١) الجراكسة: (بلاد الجركس): قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه: وهم على بحر نيطش من شرقيه وهم في شظف من العيش والغالب على دين النصرانية، قلت: وقد جلب منهم الظاهر "برقوق" صاحب الديار المصرية من المماليك أيام سلطته على ما يربو على العدد حتى صار معظم جند الديار المصرية. صبح الأعشى في صناعة الانشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ١٤١٨هـ، وزارة الإرشاد والثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج٥، ص ٤١٦.

(٢) المماليك البرجية (١٣٨٢هـ - ١٥١٧هـ) وقد دعوا بذلك نسبة إلى أبراج قلعة القاهرة، حيث كان مقرّهم الأول. ويعدّ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس أعظم سلاطين المماليك غير منازع. موسوعة الموارد العربية، دائرة معارف، ميسرة مقتبسة عن المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص١١٥١.

(٣) هو: برقوق بن آنص أو آنس العثماني، أبو سعيد سيف الدين (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً أليه. ثمّ أُعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة، وعاد إلى مصر. الأعلام، ج٥،ص ٤٨.

(٤) هو: تيمور لنك فاتح آسيا، ولد بالقرب من كشا من أعمال ما وراء النهر في الخامس والعشرين من شعبان من عام الفأر(٧٣٦هـ أبريل ١٣٣٦م) وأبوه الأمير تارغاي أو تورغاي والي كشا ونواحيها قبل حاجي بدلاس، وتكنيه خاتون وتزعم أسرته أنها انحدرت من صلب جنكيز خاتون. دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية من الأستاذة أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها د/ محمد مهدي علّام، دار الفكر ج٦، ص ١٥٩.

(٥) الناصر فرج بن برقوق (٧٩١- ٨١٥م = ١٣٨٩- ١٤١٢م) بن برقوق "الظاهر" بن آنص العثماني، أبو السعادات، زين الدين، من ملوك الجراكسة بمصر والشام ولد بالقاهرة سنة (٤٠١هـ) بعد وفاة أبيه، وكان صغير السن فقام بتدبير مملكة الأتابكي "ايتمش" البجاس مدّة قصيرة. الأعلام، ج٥، ص١٤.

(٦) المماليك في مصر، أنور زقلمة، ١٩٣٠م، القاهرة، ص ٥٢-٥٣.

وأمّا عن الفترة التي تلت برقوق استمرت حتى رجوعه إلى عرشه ثانية، فإنّ البلاد كانت ميدانا لنزاع خطير بين اثنين من كبار القواد المسلمين همـــا يلبغـــا[(١)] أميـــر حلـــب ومنطاش[(٢)] أمير مليطة فانّه بعد انتصار يلبغا على برقوق قد اغتصب منه العرش، وأخـــذ الوصي الجديد في تشتيت أنصار برقوق؛ غير أن منطاش حسد يلبغا وأسره وتولّى مكانه. أمّا برقوق استغلّ حالة الاضطراب السائدة وهرب من الأسر وكوّن جيشـــاً حـــارب بـــه منطاش واستطاع أن ياسر الصالح حاجي[(٣)] وتنازل له هذا السلطان الطفل عن العـــرش، وعاد برقوق إلى القاهرة وأصبح سلطاناً عليها للمرة الثانية، وعزم على عدم الالتجاء إلى القسوة والعنف في معاملة الأهالي ساعد الحظ برقوق إذ قتل يلبغا، أمّا منطاش فاعتقله ثـــمّ عذبه وقتله وقضى بقية حياته في إصلاح حالة البلاد الداخلية حتى مرض أخيراً، ومـــات بعد أن عهد بالسلطنة إلى ابنه فرج سنة ثمانمائة وواحد هجرية (٨٠١هـــ) [(٤)].

السلطان فرج بن برقوق (٨٠١هـــ- ٨١٥هـــ، ١٣٩٦م- ١٤٠٢م):

تولى فرج عرش مصر وله من العمر ثلاث عشرة سنة، وتكررت معه مأساة أبيـــه من حيث تنحيه عن العرش وعودته إليه مرة ثانية، وساد عهـــده الفـــتن والاضـــطرابات، واصطدم بمشكلة لا تقل عن سابقتها خطورة وهي القحط الذي اكتسح مصـــر مصـــحوباً بالوباء الذي ذهب ضحيته ما يقارب ثلث سكان البلاد. وهكذا كانت حيـــاة فـــرج كفاحـــاً

(١) هو: أبو المعالي السالمي الظاهري الحنفي، من أشهر أمراء الجند في دولة الملك (الظاهر) برقوق، ثمّ ابنه (الناصـــر). كان يذكر أنّه سمرقندي، سمّاه أبوه يوسف، وسُبي وجُلب إلى مصر، توفي سنة (٨١١هـــ - ١٤٠٩م). الأعـــلام، ج٨، ص ٢٠٨.

(٢) هو: الأمير سيف الدين تمر باي بن عبد الله الأفضلي الأشرفي، نائب صفد وغيرها، وكان من أعيان المماليك الأشرفية، ثمّ عزله الملك الظاهر، فنقله في عدّة بلاد إلى أن ولاه نيابة صفد فمات بها سنة ٧٨٥هـــ. النجوم الزاهرة فـــي ملـــوك مصر والقاهرة، جمال الدين الأتابكي، (١٣٦٩هـــ - ١٩٥٠م) مكتبة دار الكتب المصرية، ج١١، ص ٢٧-٢٩.

(٣) هو: محمد (الملك الصالح) بن ططر (الملك الظاهر) الجركسي، ناصر الدين ولد سنة (٨١١هـــ - ١٤٠٨م) من ملـــوك دولة الجراكسة بمصر والشام، بويع بالسلطنة في القاهرة بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٤هـــ، فكان صغيرا فقام بتدبير مملكـــة الأتابكي ثمّ برسباي، توفي سنة (٨٣٣هـــ- ١٤٣٠م). الأعلام، ج٦، ١٧٦.

(٤) مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح الإسلامي، د/ علي ابراهيم حســـن، القـــاهرة مكتبـــة النهضـــة المصرية، ط٥، ١٩٦٤م، ص ٢٣١-٢٣٢.

مستمراً، فقد تزعزع عرشه أكثر من مرة، وعلى الرغم من احتفاظه بقوة مقاومته لأعدائه فانه قُضي عليه أخيراً[1].

السلطان المستعين[2] والسلطان شيخ المؤيد[3]: (٨١٥-٨٢٤هـ، ١٤٢١م):

جلس الخليفة المستعين على عرش مصر، ولكنه كان ألعوبة في يد الأمير شيخ، ولم يكن له من الأمر شيء، ومع أنّه كان سلطاناً وخليفة في وقت واحد فقد استطاع شيخ أن يعزله، ثم سجنه وأعلن نفسه سلطاناً على مصر، ومات المؤيد بعد مرض لم يمهله طويلاً وترك العرش لابنه أحمد[4][5].

السلطان أحمد بن شيخ والسلطان ططر[6] (٨٢٤هـ - ١٤٢١م):

كان أحمد الذي خلف والده شيخ المؤيد طفلاً عمره سنة ونصف، فتولى الوصاية عليه الأمير ططر وكتبغا[7]، وأصبحت السلطنة كلّها في يده ولكنّ نافسه فيها ططر الذي كان من القوّة بحيث تمكن من عزل هذا الوصي، واستحوذ على النفوذ والسلطان

---

(١) مصر في العصور الوسطى من فتح العربي إلى الفتح الإسلامي ، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) هو: العباس بن محمد بن أبي بكر سليمان، أبو الفضل، المستعين بالله، من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، وهو ابن المتوكّل على الله بن المعتضد، بويع بالخلافة في القاهرة بعد وفاة أبيه، سنة ٨٠٨هـ،وتوفي سنة (٨٣٣هـ - ١٤٣٠م). الأعلام، ج٣، ص ٢٦٥

(٣) هو: الملك المؤيد شيخ الدين عبد الله الحموي الظاهري أبو النصر، من ملوك الجراكسة بمصر والشام، ولد سنة (٧٥٩هـ - ١٣٥٨م) أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه من محمود شاه الأزدي، واعتقه واستخدمه في بعض أعماله، توفي سنة (٨٤٢هـ- ١٤٢١م). المرجع السابق، ج١، ص١٣٧.

(٤) هو: الملك المظفر أحمد شيخ بن عبد الله الحموي الظاهري، أبو السعادات، من ملوك الجراكسة بمصر والشام، ولد سنة (٨٢٢هـ- ١٤٠م) بالقاهرة. الأعلام، ج١، ص ١٣٧.

(٥) مصر في العصور الوسطى، ص ٢٣٢.

(٦) هو: ططر الظاهري الجركسي المكنى أبي سعيد، سيف الدين، الملك الظاهري، ولد سنة (٧٦٩هـ- ١٣٦٧م) من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام، أصله من مماليك الظاهر برقوق، واشتراه بمصر وأعتقه واستخدمه، توفي سنة (٨٢٤هـ- ١٤٢١م). الأعلام، ج٣، ص ٢٢٦.

(٧) هو: العادل كتبغا عبد الله المنصوري، زين الدين الملقّب بالملك العادل، ولد سنة ٦٣٩هـ، من ملوك المماليك البحرية بمصر والشام، أصله من سبي التتار من عسكر (هولاكو). المرجع السابق، ج٥، ص ٢١٩.

وقضى على أسرة شيخ مؤيد وعزل السلطان الطفل واغتصب منه العرش إلاّ أنّه لم يمكث طويلاً في السلطنة، فقد توفي بعد شهرين من سلطنته(١).

أمّا عن عهد السلطان الأشرف برسباي(٢) (٨٢٥هـ - ١٤٢٢م)، فقد امتاز بالهدوء والاستقرار، ممّا ساعد على القيام بغزوة قبرص وإرسال ثلاث حملات حققت انتصارات عظيمة، وأصبحت قبرص تدفع الجزية سنويّاً حتى نهاية دولة المماليك الجراكسة(٣).

بينما كان عهد السلطان جقمق(٤) (٨٤٢هـ - ١٤٣٨م) عهد أمجاد وانتصارات(٥).

ونجد في هذا العصر المتباين الصراعات المتتالية على السلطة، عاش الإمام محمد بن أحمد بن منصور بن علي بن عيسى البهاء أبو الفتح بن شهاب أبي العباس الإبشيهي.

ثانياً/ الحياة الاجتماعية:

المماليك البرجية (٧٨٤هـ- ٩٢٣م) (١٣٨٢هـ- ١٥١٧م):

سميّت دولة المماليك الثانية باسم (البرجية) أو مماليك البرج لأنها تنتمي إلى لواء من الجند كان مقيماً في القلعة منذ أن جنده قلاوون، ولتميّزها عن دولة المماليك البحرية الذين أقاموا في جزيرة الروضة.كما كانوا يسمون أيضاً (المماليك الشراكسة) نسبة إلى موطنهم الأصلي الذي أتوا منه وهو جورجيا وبلاد الشركس(٦). ولم يكن هنالك ثمّة فارق كبير بين الشراكسة أو المماليك البرجية وأسلافهم الأتراك أو المماليك البحرية، إذ كانت

---

(١) مصر في العصور الوسطى، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) هو: برسباي الدقمامي الظاهري، ولد سنة (٧٦٦هـ - ١٣٦٥) أبو النصر، السلطان الملك الأشرف، صاحب مصر، جركسي الأصل كان من مماليك الأمير (دقماق) المحمودي وأهداه إلى (الظاهر) برقوق فأعتقه واستخدمه في الجيش، توفي (٨٤١هـ - ١٣٩٨م). الأعلام. ج٢، ص ٤٨.

(٣) مصر في عصر دولة المماليك البحرية، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٥م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٦٩.

(٤) هو: جقمق العلائي الظاهري، سيف الدين أبو سعيد، من ملوك الشراكسة بمصر والشام والحجاز، شركسي الأصل، اشتراه العلائي (علي بن أينال اليوسفي) وقدّمه إلى الملك الظاهر برقوق، فاعتقه واستخدمه، وحبس في أيام الملك ناصر فرج، ثمّ أُطلق وولي أعمالاً في دولة فرج والظاهر ططر،توفي سنة (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م). الأعلام، ج٢، ص١٣٢.

(٥) المماليك في مصر، ص ٥٤-٥٥.

(٦) مصر في العصور الوسطى، ص٢٢٩- ٢٣٠.

مصر تسير من سيء إلى أسوأ اصطبغ عهد المماليك البرجية بالفوضى والاضطراب، لا غرو فقد وصل سلاطين هذه الدولة إلى العرش بعد فتنة وانقلاب سياسي فظيع عهدهم بطابع الفتن والثورات التي كانت تقوم بين حين وآخر(١).

ولم تكن الحروب الداخلية هي كل ما بُليت به مصر في عهد المماليك البرجية بل كانت هنالك اضطرابات خارجية، فقد اعتاد أمراء سوريا أن يقوموا بحركات ثورية عنيفة، شغلت جانباً كبيراً من مجهود السلاطين، وهناك كذلك غارات البدو المتكررة على مصر وغزوات المغول وخاصة في عهد زعيمهم تيمور لنك يضاف إلى ذلك مضايقات القراصنة الفرنجية في البحرين الأبيض والأحمر، ممّا أدّى إلى إيجاد سوء تفاهم بين السلاطين والبابا، وتعرضت مصر أيضاً لكثير من المجاعات التي سببتها كثرة الفتن الداخلية والاضطرابات الخارجية(٢).

ولا ننسى أيضاً منافسة السلاطين العثمانيين لحكام مصر حتى أصبحت الدولة العثمانية أكبر عدو للمماليك وساد الفساد كثيراً خلال الفترة التي حكم فيها أسرة الشراكسة، ولم يبق للعدل أو النزهة وزن في سير الأمور الجارية، حتى شيخ الإسلام -وهو الحاكم الديني- كان يختلس أموال الودائع، وكان الجنود ممّن كانوا يشترون من العبيد البيض من اليونان والشراكسة والأتراك والمغول،يقومون بثورات في الشوارع حتى أنّ السيدات لم يجرأن على مغادرة منازلهنّ، وكان الفلاحون يخشون جلب حاصلاتهم إلى الأسواق حتى لا تقع غنيمة في يد المماليك أو في يد الحكومة. أمّا في القرى فقد كان الناس يتلاشون إزاء ضغط الجند وقلما استتبّ الأمن والسلام في عاصمة البلاد (٣).

يجد القارئ لأدب هذا العصر أصداء متباعدة تعكس منطق الحكم المملوكي وروحه، وتصوّر لنا صراعاته الظاهر منها والخفي، ممّا توضّح موقف الشعب من هذه الصراعات، ونظرته لأولئك الحكّام. وقد اعتبر سلاطين المماليك أنفسهم حماة الإسلام والموكلين بالدفاع عنه فلا غرابة أن يخلع الشعراء عليهم ما يرضي فيهم هذه النزعة

(١) مصر في العصور الوسطى، ص ٢٢٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٩.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

فيكيلون لهم النعوت الدينية كيلاً، فالسلطان هو ركن الدين وحاميه، وهو الذي أعزّه وقوّى أركانه إلى آخر ذلك[1].

كان المجتمع المصري في عصر المماليك يمــوج بتيــارات متباينــة، ويضــرب بصراعات شتى، وكان يتألّف من عناصر عدّة وأجناس متباينة، فالمماليك الذين يمســكون بمقاليد الحكم طبقة غريبة دخيلة تشكّل خليطاً من جنسيات مختلفة، وإن كان يغلب عليهــا جميعا اسم (الترك) لكثرة ما ينتمي لهذا الجنس بينهم، وقد ســبقت الإشــارة أن هــؤلاء المماليك- وان كان قد تمّ لهم السلطان وانتزعوا كرسي الحكم من بنــي أيــوب- ظلّــوا متصارعين فيما بينهم، كل منهم يعدّ العدّة ليوم يكون فيه سيّد القلعة وصاحب مصر، ومن ناحية أخرى كان هناك الشعب بطوائفه المختلفة التــي يؤلّــف بينهــا شــعور الكراهيــة للحاكمين، وأمّا الشعب المصري من المسلمين وغيرهم فكان يرقب عن كثب هذا الصراع الدائر، لا يخف إلى حكومته ولا تستثيره دواعيه إلاّ في القليل النادر، وكل ما كان يرجوه جوّاً من الاستقرار يتيح له أن يمارس حياته في هدوء ويسر[2].

ففي هذا الخضم المتباين والنزاعات المتتالية عاش وعاصر الإبشيهي عــدداً مــن الخلفاء والأمراء.

ثالثاً: الحياة الأدبيّة:

إنّ استيلاء المغول على رقاب الناس قيّد ألسنتهم وشغل عقولهم فــزادت قــرائحهم جموداً ممّا كانت عليه في العصر السابق، ولم ينبغ من الشعراء من يستحق الذكر خــارج مملكة المغول، لاسيما في مصر والشام. ولا تخلو البلاد الأخرى من شعراء مجيدين لكن يقال بالإجمال إنّ الشعر أصبح صناعة لفظية بعد أن كان قريحة فطرية واخــتلط الشــعر بالنثر، وقلّما نبغ شاعرٌ لم يشتغل بغير الشعر، فإنّ أكثرهم ألفوا الكتب في الأدب وجمــع الشعر والنكات والمواعظ والحكم ونحو ذلك. وابتذلت الصناعة الشعرية وتعاطاها النــاس بقضاء ساعات الفراغ فقط[3].

(١) مصر في العصور الوسطى، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧.

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ١٩٦٧م، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج٣، ص ١٢٢.

وكثر الناظمون من الباعة وأرباب الحرف من الخياطين والتجّار، والدهّانين ونحوهم. وليس هذا خاصاً بهذا العصر إذ كثيراً ما ظهرت القرائح الشعرية في طبقات العامّة، لكنّهم كانوا إذا نبغوا استغنوا عن صنائعهم بتقربهم من بعض الأمراء أو الخلفاء، فتشحذ قرائحهم ويأتون بالمعجزات، كما اتفق الكثيرون من شعراء العصر الأموي والعباسي. أمّا في العصر المغولي فنظراً لكساد بضاعة الأدب لا يجد صاحب القريحة الشعرية وسيلة للارتزاق بها، فيبقى في مهنته و يتعاطى الشعر للتسلية. وكان السلاطين المماليك يقربون الأدباء في الغالب ليؤلّفوا لهم التاريخ، أو كتب الحرب، أو الأدب أو العلوم الدخيلة أو الإسلامية (١).

وبالنسبة للعصر المملوكي فإننا نرى الذوق الأدبي ينقسم إلى لونين متباينين يمكن أن نطلق على أولهما (اللون الخاص) كما يمكن أن نطلق على ثانيهما (اللون العام). والأدب الذي يمثّل الذوق الخاص نلمس فيه حرص الأديب على الارتقاء بعبارته والتأنّق في لفظه، وعلى التهذيب والتشذيب فيما يعالجه من عمل أدبي، ويكاد الشعر الذي يمثل هذا الذوق ينحصر في جملة الأغراض التقليدية التي درج عليها الشعراء من مديح وغزل ورثاء إلى آخر ذلك(٢).

ويقصد باللون العام ذلك الذي يمثّل ذوق الجمهور من الناس، وقد اتّجه الأدباء إلى العّامة يرتضون أذواقهم منذ أمد ليس بالبعيد، بعد أن فقدوا حظوتهم في بلاط الخلفاء والملوك والسلاطين، وبعد أن جلس على كرسي الحكم غرباء عن اللسان العربي لا يفهمون أدبه، وإن فهموه نادراً ما يتذوقونه، ليس أدلّ على ذلك من هذه الشكوى التي ترد صارخة في شعر مصر المملوكية من كساد سوق الأدب وفساد الأذواق وضيعة الشعر(٣).

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص١٢٢.

(٢) أدب العصر المملوكي، قضايا المجتمع والفن، د/فوزي محمد أمين، ١٩٩٣م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٣٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٣٠.

وفي العصر المغولي تولّد ضرب من الشعر اقتضاه فساد الفصحى بتوالي الاختلاط بالأعاجم، فتولّدت طبقة من الشعراء عرّفها ابن خلدون[١] بالمستعجمة عن لغة مصر كلّها، ينظمون في أغراض الشعر المعروفة، مثل النسيب والمدح والرثاء والهجاء، لكن شعرهم يمتاز بخلوّه من الإعراب واحتوائه على كثير من الألفاظ العاميّة [٢].

وفي أواخر هذا العصر ظهر التاريخ الشعري، والمراد به ضبط تاريخ واقعة بأحرف تتألّف منها كلمة أو جملة، أو شطر يكون مجموع حروفه بحساب الجمل يساوي التاريخ الذي جرت فيه تلك الواقعة، يأتي بها الشاعر بعد لفظ تاريخ أو ما يشتق منها، ثمّ توسّع الشعراء في فنّ التاريخ الشعري ذلك حتّى صاروا ينظمون القصيدة وكل شطر منها تاريخ[٣].

(١) بن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم عبد الرحيم الحضرمي الاشبيلي الأصل التونسي، المعروف (بابن خلدون) عالم أديب ومؤرخ ولد بتونس سنة (٧٣٢هـ – ١٣٣٢م) ورحل إلى غرناطة من مؤلفاته (العبر) وديوان (المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، ومن كتبه (شرح البُردة) وكتاب (باقي الحساب) وغيره. توفي سنة (٨٠٨هـ – ١٤٠٦م). معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ص ١١٩– ١٢٠. والأعلام، ج٣، ص ٢٣٠.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ١٢٢.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص ١٢٤.

الفصل الثاني

الأغراض الشعرية في كتاب
"المستطرف في كل فن مستظرف"

ويشمل:

المبحث الأوّل: الغزل

المبحث الثاني: المدح

المبحث الثالث: الرثاء

المبحث الرابع: الهجاء

المبحث الخامس: الوصف

المبحث الأول

الغزل

الغزل في اللغة: "حديث الفتيان والفتيات، وهو اللهو مع النساء، ومغازلتهن ومحادثتهن، يقول: غازلتها، غازلتني، ورجل غزِل: متغزّل بالنساء"(١)، وكذلك الغزل من الموضوعات الشعرية المحببة إلى النفوس، وهو لغة العاطفة التي صوّر فيها الشعراء أشواقهم وأحاسيسهم نحو المرأة (٢)؛ لذا كان الشعراء من شغفهم يبدأون به قصائدهم.

ولقد شغلت المرأة مكاناً بارزاً ويظهر ذلك في تلك المعلقات التي لم تخلُ واحدة من ذكرها ووصف الهيام بها والحنين إلى لقائها، والجزع لفراقها، وفي مطالع قصائده من ذلك شيء كثير.

فذكر زهير بن أبي سلمى(٣) (أم أوفي) زوجته التي وجد لبينها وندم لفراقها ووصف دارها بالرقمتين في قوله:

دِيارٌ لها بالرقمتين كأنها   مراجع وشم في نواشر معصم(٤)

وامرؤ القيس(٥)، في مطلع معلقته استوقف رفيقه ليقفا عن تذكر المحبوبة في قوله:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ   بسقط اللوى بين الدخول وحوملِ(٦)

وكذلك لبيد (٧) الذي ذكر (إعفاء الدمن) وناح عليها بعد أن خلت من أناسها في قوله:

---

(١) لسان العرب، أبن منظور، مادة (غ ز ل) .

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، ط٨، ١٩٩٧م، مكتبة الرسالة، بيروت، ص ٢٨١.

(٣) هو: ربيعة بن رباح، خاله اسعد بن الغدير بن سعد بن مرّة، وابناه كعب وبجير، من مزُينة، كان من فحول الشعراء، ومن شعراء القصائد السبع الطوال، له ديوان شعر – ط– الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدنيوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١٩٦٦م، دار المعارف، مصر، ج١، ص ١٣٧–١٣٨. والأعلام، ج٢، ٥٢.

(٤) شرح القصائد السبع، ص٢٣٧.

(٥) هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب ولد بنجد، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، فثار عليه بنو أسد وقتلوه، وامرؤ القيس من فحول الشعراء في الجاهلية، وفي شعره رقة وجودة سبك. الشعر والشعراء، ج١، ص ٥٠–٧٠.

(٦) ديوان امري القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤ ١٤٠٥هـ– ١٩٨٤م، دار المعارف، ص٨.

(٧) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عبيد العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو احد أصحاب المعلقات، جمع شعره في ديوان ط، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٧٤، الأعلام، ج٥، ص٢٤٠.

عفقت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبّد غولها فرجامها[1]

والدعاء بسقيها بأمطار الربيع حتى تخضّر رباها ويعاوده جمال المنظر ويعاوده أنسها وتحدث عن أشواقه التي أثارت الحي[2].

فإذا تتبعنا العصور الأدبية نجدها لا تخلو من هذا الفن، إذ كان هناك لونان من الغزل، هما الغزل العفيف الذي يعبر فيه الشاعر عن عواطفه النبيلة نحو المرأة ويتعفف عن ذكر مفاتنها الجسدية، فيصوّر أخلاقها وشرفها وعفتها. وغزل آخر حسي يذكر فيه الشاعر مفاتنها ومحاسنها الجسدية وخير مثال للغزل العفيف تائية الشنفرى[3]، قال:

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها
إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ
تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها
لِجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ
تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتَها
إِذا ما بُيوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ
كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ
عَلى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمكَ تَبلَتِ
أُمَيمَةُ لا يُخزى نَثاها حَليلَها
إِذا ذُكِرَ النِسوانُ عَفَّت وَجَلَّتِ[4]

ترى الباحثة أنّ في هذه الأبيات غزل معنوي خالص في الخفر والطهر.

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة، ١٩٦٦م، بيروت، دار صادر، ص١٦٣.

(٢) معلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، بدوي أحمد طبانة، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ص ٢٣٦. ٢٣٦.

(٣) هو: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية، كان من فتاك العرب وعدائيهم، ومن أحد الذين تبرأت منهم عشيرته، وهو صاحب "لامية العرب".الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق على مهّنا، سنة (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢١، ص ١٨٥. الأعلام، ج٥، ص ٨٥.

(٤) ديوان المفضّليات، المفضّل بن محمد الضبّي، ١٩٢٠م، كلية اكسفورد، ص ٢٠٠- ٢٠١.

ومن الغزل العفيف يقول الشنفرى:

أَلا أَمُّ عَمرو أَجمَعَت فَاِستَقَلَّتِ
وَما وَدَّعَت جيرانَها إِذ تَوَلَّتِ

فَدَقَّت[1] وَجَلَّت[2] وَاِسبَكَرَّت[3] وَأُكمِلَت[4]
فَلَو جُنَّ إِنسانٌ مِنَ الحُسنِ جُنَّتِ[5].

يقول: إنّ أمّ عمرو عزمت على الرحيل دون أن تخبر جيرانها ويصفها بأنّها دقيقة الخصر عظيمة الكفل واكتمل حسنها، فلو أنّ إنساناً يجنّ من فرط الحسن لجنّت هذه المرأة. وهذا غاية التعبير عن حسنها وعفّتها.

واستمرّ هذان اللونان من الشعر في بقيّة العصور الأدبية، فنجد الشعراء ألهب حبّ المرأة قرائحهم فجادوا لنا بكلمات رائعة تنبض بالحيوية والإحساس، كما أنّ البعض من الشعراء تغزّلوا بالمذكر، وهو ما يسمى بالغزل الشاذ لأنه جديد في أدبنا العربي الذي لم يعرفه في تاريخه منذ الجاهلية حتى منتصف القرن الثاني، وقد مهّدت لظهوره عوامل كثيرة [6]. وبغض النظر عن الناحية الأخلاقية فيه فهو يعتبر نوعاً أو ظاهرة جديدة من الغزل العربي، ولكنّه يأخذ كثيراً من الغزل المؤنث في الوصف والتشبيه، مثل تشبيه النظرة بالسهم، والقامة بغصن البان، وأيضاً تشابهه في الهجر والصدّ. ومن مواضع الغزل التي اختارها المؤلف قول ابن نباتة[7] يتغزّل بغلامه قائلاً:

---

(١) دقيقة الجسم ليست مترهلة.

(٢) جليلة القدر.

(٣) مكتملة المحاسن.

(٤) طالت.

(٥) لامية العرب، شرح محمد بديع شريف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م، ص ١٧.

(٦) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، يوسف حسين بكار، (د-ت)، دار المعارف، مصر، ص ١٩٥.

(٧) هو: جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد الحسن بن نباتة، الفرقي الحذاقي المصري، ولد بالقاهرة سنة (٦٨٦هـ - ١٢٨٧م)، درس الحديث والفقه والأدب، شاعر وراجز وناثر، يمتاز شعره بالرّقة و حسن التورية، له ديوان شعر - ط. وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٦٢. وشذرات الذهب، ج٦، ص ٢١٢.

أَأَغصانُ بانٍ ما أَرى أَم شَمائلُ
وأَقمارُ تمٍ ما تَضمُ الغَلائِلُ
وبيضٌ رِقاقٌ أم جفونٌ فواترُ
وسمرٌ دِقاقٌ أَم قدودٌ قواتِلُ
وتلك نبالٌ أَم لحاظٌ رواشقٌ
لها هدفٌ مني الحَشَا والمقاتِلُ
بروحي أَفدي شَادِناً قد أَلفتُه
غدوتُ وبي شُغْلٌ من الوجدِ شاغِلُ
أَميرُ جمالٍ والملاحُ جنودُهُ
يجور علينا قدُّه وهو عَادِلُ
له حاجب عن مقلتى حَجَبَ الكرى
وناظره الفتان في القلبِ عامِلُ(١).

وصف الشاعر غلامه بصفات جميلة، فقال: إنّه فارع الطول كأغصان البان وهو بدر التمِّ الذي تضمّه الثياب الرقيقة، وله جفون فواتر ناعسة وسُمر دقاق وقامة جميلة ممشوقة له عينان نظراتهما كالنبال تهدف الحشا فتصيبيه في مقتل، فيقول إنّه يفديه بروحه، الذي شغلت قلبه ووجدانه، فهو أمير الجمال الذي تحرسه المُلح، وإنّه أمير جار على الشاعر بوصله وتمنّع، ولشدّة إعجاب الشاعر بعينيه وحاجبيه رجع مرّة أخرى يقول: إنّ نظراتهما الفاتنة اصطادت قلبه.

أبدع الشاعر في تشبيهه لغلامه بغصن البان مرّة، وبالقمر المكتمل مرّة أخرى وفي نظرات عينيه بالنبال، وكل ذلك ينصب في قالب بياني رائع.

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، بهاء الدين بن أحمد الإبشيهي، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ج٢، ص ١٦٨.

وقال البهاء زهير[1]:

يُعاهِدُني لا خانَني ثُمَّ يَنكُثُ
وَأَحلِفُ لا كَلَّمتُهُ ثُمَّ أَحنَثُ
وَذَلِكَ دَأبي لا يَزالُ وَدَأبُهُ
فَيا مَعشَرَ الناسِ اِسمَعوا وَتَحَدَّثوا
أَقولُ لَهُ صِلني يَقولُ نَعَم غَداً
وَيَكسِرُ جَفناً هازِئاً بي وَيَعبَثُ
وَما ضَرَّ بَعضَ الناسِ لَو كانَ زارَنا
وَكُنّا خَلَونا ساعَةً نَتَحَدَّثُ
أَمَولايَ إِنّي في هَواكَ مُعَذَّبٌ
وَحَتّامَ أَبقى في العَذابِ وَأَمكُثُ
فَخُذ مَرَّةً روحي تُرِحني وَلَم أَكُن
أَموتُ مِراراً في النَهارِ وَأُبعَثُ[2].

يقول الشاعر نتعاهد على عدم الخيانة، فيرجع عن عهده وأحلف ألاّ أكلمه ولكني سرعان ما أضعف فأناجيه. فصرنا على هذا الحال، فيا معشر العشّاق عنّا تحدثوا، ويطلب منه الوصل ويتألم الشاعر من نظراته العابثة بي، ويسأل الشاعر متحسّراً ماذا يضير الناس لو زارني مرّة وخلوت به ساعة نتحدّث فيها؟

فيقول له: يا مولاي إنّي في هواك معذّب. والى متى أبقى في غرامك وأمكث؟ ويطلب منه أن يأخذ روحه علّه يرتاح.

(١) هو: أبو الفضل زهير محمد بن علي بن يحيى، المهلبي، ولد في "نخلة" قرب "مكة" سنة (٥٨١هـ – ١١٨٧م)، ناثر مسترسل، وشاعر رقيق، وفي شعره شيء من المجنون. من فنونه المديح والغزل، له ديوان شعر –ط، توفي سنة (٦٥٦هـ– ١٢٥٨م). الشعر والشعراء، ج٥، ص ٢٧٦– ٢٧٧. الأعلام، ج٣، ص ٨٨.

(٢) شرح ديوان بهاء الدين زهير، شرح إبراهيم جزيني، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م، بيروت لبنان، ص ٥٠. والمستطرف، ج٢، ص٢٦.

لا تخلو أبيات الشاعر من الإعجاب بمحبوبه والتلهّف والشوق للوصول إليه ولا يقابله سوى بالصدّ والدلال. أكثر من الاستفهام متحسراً إلى متى يظلّ في غرامه معذّباً؟

وقال النابلسي[(١)]:

ما كنت أعلم والضمائر تصدق
إنّ المسامع كالنواظر تعشقُ
حتى سمعت بذكركم فهويتكم
وكذاك أسباب المحبّةِ تعلــقٌ
لقد قنعت من اللقاءِ بساعةٍ
إن لم يكن لي للدوام تطرّقُ
قد ينعش العطشان بلة ريقه
ويغصٌّ بالماء الكثير ويُشرقٌ
فعسى عيوني أن ترى لك سيّدي
وجهاً يكاد الحُسن فيه ينطقٌ[(٢)].

ونجد أنّ النابلسي يبدأ غزله بمجرّد سماع صوت المحبوب، فيرى حينئذ من دثــار الحب والهوى درجة أعلى، فعلى الرغم من تعلّقه بمحبوبه عند سماع صوته إلاّ أنّــه لــم يظفر بلقائه كثيراً وكان يأمل في ذلك، ولو قليلاً، فالقليل من رؤيته هي بمثابة جرعة ماء تروي الظامئ، إلاّ أنّ الكثير منه يؤدّي إلى الشرق وربما الموت، فتمنّى رؤية وجهه الذي يكاد ينطق بالحسن والجمال.

جسّد الشاعر الجمال كلّه في البيت الأخير، حيث جعل وجه محبوبه ينطِقٌ من شدّة الحسن.

---

(١) هو: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد الدمشقي الصالحي، الحنفي عالم وأديــب، لــه ثلاثــة دواوين. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط١، ١٤١٤هــ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ج٢، ص ١٧٦.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ١٧٠.

وقول الشاعر إنّ المسامع كالنواظر يشبه قول بشّار بن برد [1]:

يا قَومُ أُذني لِبعَضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ

وَالأُذنُ تَعشَقُ قَبلَ العَينِ أَحيانا[2]

وذلك يدّل على اشتراك الشاعرين في عشق الأذن للصوت قبل الرؤية وأنّ للأذن إحساس بالحب.

وقال أبو العتاهية[3]:

ولقد صبوت إليك حتى

صار من فرط التصابي

يجد الجليس إذا دنا

ريح التصابي في ثيابي [4].

وقال أبو العباس، الشهير بالنفيس[5]:

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعهُ

هل من سبيلٍ إلى لقياك يتفقُ

ما أنصفتك جفوني وهي دامية

ولا وفى لك قلبي وهو يحترق[6]

---

(١) هو: بشّار بن برد، وكنيته، أبي معاذ، فارسي الأصل، من مخضرمي الدولتين، شاعر مطبوع، ولد أعمى، كان يأتي في التشبيه بما لا يقدر عليه البصراء، له ديوان شعر _ط، مات مقتولاً سنة (١٦٧هـ- ٧٨٤م)، الأعلام، ج٢، ٥٢.

(٢) ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الجيل، ج١، ص ٥٣٥.

(٣) هو: إسماعيل بن القاسم، مولى عنزة، ولد سنة (١٣٠هـ- ٧٤٨م)، وفد إلى بغداد في مطلع خلافة المهدي فمدحه، وتكسّب بالشعّر، ترك المديح والغزل، وانتقل إلى الزهد، توفي سنة (٢١١هـ - ٨٢٦م). الأعلام، ج١، ص٢٣١.

(٤) ديوان أبي العتاهية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، دار بيروت للطباعة والنشر، ص ٦٩.

(٥) هو: أحمد بن عبد الغني بن أحمد، أبو العباس، الملقب بالنفيس، من لخم، شاعر أديب مصري له "علم الفقه" وله ديوان شعر. توفي سنة (٦٠٣هـ - ١٢٠٦م). المستطرف، ج٢، ص ١٨٧.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٧.

يتأثّر الشاعر لرحيل المحبوبة التي رحل معها الصبر ويتساءل عن السبيل إلى لقائها، صارت عيونه تمطر دماً ويرى أنّه ليس يوفّيها حقّها من الحزن، وكذلك قلبه احترق حزناً، ولا يكفي ذلك لوفائها.

عادة الشعراء تتبّع أخبار المحبوبة والحزن عليها عند الظعن، وقد أجاد الشـــاعر فـــي استخدامه للمجاز المتمثّل في الاستعارة، وذلك في جعله الصبر يتبع المحبوبة، والإنصاف للجفون والوفاء للقلب.

وقال جمال الدين بن مطروح [(١)]:

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى
صبٌّ على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعَهُ ويخفق قلبـــــه
مهما جرى ذكر العقيقِ مع اللـــوى
وإذا تـــألّق بارقٌ من بـــــارقٍ
فهناك ينشر من هواه ما انطـــوى
وبمهجتي رشاً أطالت عُذلي
فيه الملام وقد حوى ما قد حـــوى
فخذوا أحاديث الهوى عن صادق
ما ضلّ في شراع الغرام وما غوى
ما أبصرته الشمس إلاّ واكتست
خجلاً ولا غصن النقا إلاّ التوى
يروي الأراك محاسناً عن ثغره
يا طيب ما نقل الأراك وما روى [(٢)]

---

(١) هو: يحيى بن عيسى إبراهيم بن الحسين، المصري، الصعيدي، المعروف بابن مطروح، أديب شاعر وكاتب، ولد ونشأ بأسيوط، له ديوان شعر، توفي سنة (٥٩٢ – ٦٤٩هـــ = ١١٦ –١٢٥١م). شـــذرات الـــذهب، ج٥، ص٢٤٧ – ٢٤٩. ومعجم المؤلفين، ج٤، ص ١٠٩.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ١٧٢.

يصف الشاعر المحبوب بأنّ له أسنان تبرق كالبرق وتنشر بحديثها ما انطوى من أحاديث الغرام. وشبهه بالغزال في رشاقته، وقد بعد عنه وانقطع الوصل بينهما.

نجد أنّ الشاعر قد استخدم الصور الفنية ليتوصل إلى مبتغاه باستخدامه لحسن التعليل في جعله الشمس تكتسي حمرة خجلاً من جمال الممدوح، والتواء غصن النقا تواضعاً للمحبوب حين يتبادر إلى الذهن المعنى القريب وهو العطش، وإنما المراد هنا (روى): حكى وقصّ.

وقال آخر:

مليح يغار الغصن عند اهتزازه

ويخجل بدر التمّ عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره

وما فيه شيء بارد غير ريقه (١)

نرى أنّ الشاعر كغيره من الشعراء شبّه قامة محبوبه بالغصن، ما لمسناه هو أنّ الشعراء يشبهون من الطبيعة، فجعل الغصن يغار من جماله، والبدر المكتمل يتوارى عند ظهور وجه الممدوح الجميل، وذلك باستخدامه لحسن التعليل، في البيت الأوّل، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ في البيت الثاني إذ نفى عنه النقصان غيره خصره الضامر وليس فيه شيء بارد سوى ريقه.

وفي استخدامه (يغار الغصن)، و (يخجل البدر) المجاز المراد به الاستعارة المكنية.

وفي الغزل بالمذكر يقول يحيى بن أكثم (٢).

دناها جرى نحوي بمقلته الكحلا

فلمّا رأي ذلّي ثنى عطفه دلا

فتيمني شوقاً وأنحلني أسى

وأفقدني صبراً وأعدمني عقلا

(١) المستطرف، ج٢، ص ١٧٣.

(٢) هو: يحيى بن أكثم بن قطب التميمي الأسدي المروزي أبو محمد، قاضي رفيع القدر، عالي الشهرة يتصل نسبه بأكثم بن صفي الدين حكيم العرب، توفي سنة (٢٤٢هـ – ٧٥٧م). الأعلام، ج٨، ص ١٣٨.

إذا ما دعاه فرط سقمي لزورة

يناديه فرط العجب من عطفه كلا(١).

يقول الشاعر أن المحبوب دنا مني وأقترب بعينيه الكحيلتين، ولكنّه عندما رأي تلهّفي عليه، مال عني وجفل تدللاً فصباني شوقاً، فأضعف جسدي وقلّل صبري وأعدمني عقلي، وإذا طلبت منه أن يزورني مرّة عساني أن أبلّ برؤيته فيزداد دلاً، ويمنعه شدة إعجابه بنفسه أن يصلني.

زخرت أبيات الشاعر بألوان من البيان، وذلك في استخدامه للاستعارة في انعدام العقل ومناداة السقم للمحبوب، ومنع قوام المحبوب المعجب بنفسه من تلبية دعوته.

وقال ديك الجنّ(٢):

ولي كبد حرّى ونفس كأنّها

بكفّ عدوّ ما يريد سراحها

كأنّ على قلبي قطاة تذكّرت

على ظمأ ورداً فهزّت جناحها(٣).

احترق قلب الشاعر من لوعة الفراق واحترق كبده، فكأنّ نفسه أصبحت أسيرة بين يدي عدّو لا يريد سراحها، ومرّة أخرى يقول: قلبه كأنّه طائر حُبس وعندما عطش هزّ جناحيه وطار بحثاً عن الماء.

ترى الباحثة أن استخدام الشاعر لكلمة (الكبد) بلاغة في المعنى لأن أكثر ما يتألم المرء عند فقدان حبيب أو عند اشتداد حزنه كبده.

ومما قيل في الغزل بالمؤنّث للشيخ شمس الدين بن البديري(٤):

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ١٧٣.

(٢) هو: عبد السلام بن رغبان بن بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن، من شعراء العصر العباسي، له ديوان شعر– ط، توفي سنة (٢٣٥هـ – ٨٥٠م)، الأعلام، ج٤، ص ٥.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ١٨٥.

(٤) هو: علم الدين محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة السعدي، الاخنائي، المصري الشافعي، ولد بالقاهرة، سنة (٦٦٤هـ)، أخذ عن الدمياطي، وولي قضاء الإسكندريّة، ثمّ الشام، شرع في تفسير القرآن، توفي سنة (٧٣٢هـ). شذرات الذهب، ج٦، ص ٢٦٩-٢٧٠.

خيال سلمى عن الأجفان لم يغب

وطيفها عن عيناي غير محتجبِ

وذكرها انس روحي وهي نائيةٌ

والقلب ما زال عنها غير منقلبِ

عذابها في الهوى عذب ألذّ به

ومرّ هجرانها أحلى من الضربِ (١).

ذكر الشاعر اسم المحبوبة صراحة، (سلمى) وهي التي لم تغب عن أجفانه وطيفها الذي لم يحتجب عنه ولم يفارق عينيه، فيأنس بذكرها، وهي غائبة وقلبه باق على حبّها لم يتغيّر، فيجد لذّة في عذابها له ويقول: هجرانها وبعادها أحلى من العسل الأبيض.

استخدم الشاعر الطباق، حيث طابق بين (مرّ وأحلى).

وقال عفا الله عنه:

سقى طللاً حلّته سلمى معاهد

وحيّاه من دمعي مذاب وجامدُ

فربع به سلمى مصيف ومربع

وأرض نأت عنها قفارٌ جلامدُ

وحيث ثوت أرضاً فأعذب مورد

ولو كدّرت منها عليّ المواردُ

رعى الله دهراً سالمتني صروفه

وظلّت لياليه بسلمى تباعدُ

وقد غفل الواشون عني ولم أزل

ويقظان طرف البين عنّي راقدُ

(١) المستطرف، ج٢، ص ١٧٤.

وأيّامنا بالقرب بيض أزاهرٌ

وأوقاتنا بالوصل خضرٌ أمالــدُ

فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى

كما كنت لي أم حاد بالقلب حائدُ

وهل محيت آثار رسم حديثنا

وأنساك حفظ الودّ هذا التباعــدُ

وهل تذكرين العهد إذ نحن باللّوى

وقولك لا عاش الخئون المعاهد

وإن قلت إنّ الحبّ غيّره النوى

لعمري وجدّي بالحشاشة واقدُ

ومنك عندي تساوى الوصل والجفا

وفيك لقد هانت علّى الشدائــد

نصبت شراك الحب صدّت حشاشتي

فكيف خلاصي والهوى منك صائدُ

وجلّ مناي القرب منك وإنّما

إذا عظم المطلوب قلّ المساعــدُ(١).

في الأبيات السابقة نلاحظ أنّ الشاعر نهج نهج الشعراء الأقدمين في تعدد أغــراض القصيدة من الوقوف على الأطلال وذكر اسم المحبوب سلمى مرسلاً لها التحيّة المصحوبة بالسّقيا والأمطار، ويحيّيها بدمع جامد كان أو سائلٍ من فراقها، ويقول: إنّ الربع أو المكان الذي فيه سلمى لهو مكان مخضّر ومرتع أمّا مكانٌ نأت عنه فهو مكــان مقفــر وجملــد، وأرضها أعذب مورد وأصفاه وإن كدّر بالطمي ويتذّكر أيّام وصله بسلمى وكيف أنّ الدهر قد ساعدها في اللقاء والقرب؟ ويتعذّب الشاعر مكتوي بالليالي لفراق سلمى فيقــول: نــام الواشون وغفلوا وصار ليلي مسهّداً، فأيام قربي منها زواهر و خضراء ناعمــة فباللقــاء

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ١٧٥.

مزجت أرواحنا وقلوبنا وصرنا شخصاً واحداً فيسألها متحسراً هل ما زلت باقية على هوانا، أم تغيّر قلبك واشتغل بغيرنا. وهل سلوتي مناجاتنا وأحاديث الهوى وعهداً عقدناه معاً ونحن باللوى وقولك لا عاش الخائن للعهد القاطع للوصل؟ ويعاود سؤاله إذا كانت غيّرت ما كنتّه وحفظته له من حبّ ونقضت ما كان بينهما من مواثيق وعهود، وإذ قلت: إنّ الحبّ غيره البعاد وبددته الأيام، فما زال قلبي مضطرم بنيران الشوق حتى صرت مضرب المثل بين العشّاق وحامل لواء العشق بينهم فأصبحت مريض حبك صبور على البلاء شكور، فهانت علّي الشدائد حتى تساوى عندي الوصل والهجر.

فبعد أن وقع في شباك حُبّها يسأل الله كيف الخلاص وكف المفرّ منه؟ وهذا الهوى صائده، فكل ما يتمنّاه هو قربه منها. ويختم بالحكمة إذا صعب عليك أمر عظيم من لك أن يعينك عليه ويساندك فيه؟

هذه الأبيات مليئة بالشجن والحزن، إذ أنّ الشاعر لم يَدمُ قرب محبوبته وقد أكثر من الاستفهام بغرض التحسّر.

وقال الوأواء الدمشقي(١): عفا الله عنه:

يا من نفت عني لذيد رقادي

مالي ومالك قد اطلت سهادي

فبأي ذنب أم بأيّة حالة

أبعدتني ولقد سكنت فؤادي

وصددت عني حين قد ملك الهوى

روحي وقلبي والحشا وقيادي

ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا

قلبي أسيراً ما له من فادي

---

(١) هو: محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء، شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، رقيق المعاني، له ديوان شعر، توفي سنة (٣٨٥هـ– ٩٩٥م). الأعلام، ج٣، ص ٢٠٧.

لا غرو إن قتلت عيونك مغرماً

فلكم صرعت بها من الآسادي(١).

تحدّث عن التي حرمته النوم وجعلته مُسهّداً طال ليله، يقول: لقد بعدت عني ولكنّــك تسكنين قلبي، وعندما تملّكني حبّك وصرت أسيرك، صددت عنـــي وجفيتنـــي، فبطرفــكِ ونظراتكِ ملكتنيِ وملكت روحي حتى وصار قلبي أسيراً لك ما له فكــاك، لا يتعجــب إذا عيناها قتلته بالغرام، فكثيراً ما صرعت بها الآساد.

استخدم الشاعر أسلوباً جميلاً في التعبير عن إعجابه بمحبوبنه وعذابها له ونظــرات عينيها التي آلمته، إذ استعار للعين بالقتل للمغرمين مرّة والآساد مرّة أخرى، وأدخل (كم) الخبرية التي تفيد الكثرة.

وقال البهاء زهير:

إذا جنّ ليلي هام بذكركــم

أنوح كما ناح الحمام المطوّق

وفوقي سحاب يُمطر الهمّ والأسى

وتحتي بحـــار بالجوى تتدفّقُ

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها

تفكّ الأسارى دونه وهو موثــقُ

فلا أنا مقتول ففي القتل راحةٌ

ولا أنا ممنون عليه فيعُتقُ (٢).

يقول الشاعر: إذا أظلم الليل ذكرت المحبوبة وهام قلبي بحبّها وناح كما ينوح الحمام المطوّق الذي حُرم من حريته، ويقول إنّ فوقه سحاباً يمطر همّاً وأسى ومن تحته بحــار بالجوى تتدفّق، فأسألوا أمّ عمرو وهي المحبوبة كيف صار أسيرها؟ وهـــي التـــي تفــك

(١) المستطرف، ج٢، ص ١٧٣. ولم أعثر على الأبيات في ديوانه.
(٢) المستطرف، ج٢، ص ١٧٨. ولم أجد هذه الأبيات في ديوان البهاء زهير.

الأسرى وأنا موثوق! فأصبح حالي حزيناً فلا صرت مقتولاً ففي القتل راحة ولا معتوق فيرتاح بالي.

فالشاعر البهاء زهير قد اتفّق مع كل من الشاعرين مجنون ليلى[1] وجميل بثينة[2] في ذكرهما للحمام في مطلع الأبيات التالية نجد قيس بن الملوّح يقول:

ألا يا حمامي بطن ودّان هجتما

علّي الهوى لمّا تغنيتما ليّـــا

فأبكيتماني وسط أهلي ولم أزل

أبالي دموعُ العينِ لو كنت خاليا[3].

وقال جميل بثينة:

وما زِلتّمُ يا بُثنُ حتى لو أننِي مِنْ

الشُوقِ أَستَبْكِي الحَمْامَ بَكْى لِيّا [4].

فالبهاء زهير يقول: إذا حلّ الظلام بكي حين تذكره المحبوب كما ينوح الحمام المطوّق. أمّا مجنون ليلى يقول: إنّ تغريد الحمام يثير في قلبه الشجن، وقد أبكاه وسط أهله ولم يكن يبالي ذلك لو كان خاليا أو منفرداً، أمّا جميل بثينة يقول: لو طلبتُ من الحمام البكاء معي لبكى رثاءاً لما صل إليه حالي من الشوق.

ترى الباحثة أنّ أكثر الثلاثة تأثيراً وإجادة هو قيس ثمّ زهير يليهما جميل.

---

(١) هو: قيس من مزاحم العامري، ولد سنة (٦٨هـ- ٦٨٨م)، شاعر متيم، لقّب بالمجنون لهيامه بليلى بنت سعد التي حجب عنها، فهام على وجهه ينشد الأشعار، ويأنس الوحوش، ووجد ميتاً بوادي كثير الحجارة، تميّز شعره بالرقة والعاطفة وحلاوة الألفاظ له ديوان شعر- ط. الشعر والشعراء، ج٢، ص ٤٦٧. والأعلام، ج٥، ص ٢٠٨.

(٢) هو: جميل بن عبد الله بن معمر، ويكنى أبو عمرو وهو أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبته بثينة من قبيلة بني عذّرة وكانت بثينة، تُكنى بأمّ عبد الله، له ديوان شعر – ط-. الشعر والشعراء، ج٢، ص ٤٣٢- ٤٣٣. والأعلام، ج٢، ص ١٣٨.

(٣) ديوان قيس بن الملوّح، مجنون ليلى، رواية أبي بكر الوابي، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني، ط١، ١٢١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ص١٢٣. والمستطرف ج٢، ص١٧٨.

(٤) ديوان جميل بثينة، ط سنة (١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م)، دار صادر، بيروت، ص ١٣٩.

وقال مجنون ليلى:

وقد خبروني أنّ تيماء منزل ليلى
إذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنّا ستنقضي
فما للنوى يرمي بليلى المراميا
أعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ
وقد عشت دهراً لا أعد الليالي
وأخرج من بين البيوتِ لعلّني
أحدث عنكِ النفس باليل خاليا
ألا أيّها الركب اليمانون عرّجوا
عليّنا فقد امسى هواي يمانيا
أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها
اثنين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلّى لا والله لا أملك الهوى
إذا علم من أرض ليلى بدا ليا
خليلّى لا والله لا املك الذي
قضى اللهُ في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبّها
فهلاّ بشيء غير ليلى ابتلانيا(١).

الشاعر مجنون ليلى كغيره من الشعراء يبكي الأطلال ويتذكّر "تيماء" منزل ليلى، وذلك عندما أظلم الليل وألقى مراسيه، وها هي شهور الصيف أوشكت على الانقضاء، وما زال التباعد بينهما قائماً، ويقول: قد أصبحت أعدّ الليالي شوقاً، وقد مضى علّي دهراً لا أعدّ لياليه حتى أنعم بلقاء المحبوب، ويتنقل ليلاً خارج بيته لعلّه يجد السلوى في حديثه لها

(١) ديوان قيس بن الملوّح، مجنون ليلى، ص ١٢٣.

وتذكره، ويطلب من الركب القادم من اليمن أنّ يعرّج عليه فقد أصبح حبّه يمانيا، ويقول: إنّه يصلي، ولكنّه لا يدري إذا صلى الضحى ركعتين أم ثمان ركعات، ويخاطب صاحبيه بقوله: إنّه لا يملك قلبه فصار يميل نحو ليلى والجهة التي تسكن فيها، فقد قضى أن تكون ليلى لغيره وابتلاه بحبّها، ويتساءل مُلحاً في السؤال هل كان ابتلاؤه بشيء غير حب ليلى.

يلاحظ أنّ ألفاظ الأبيات سهلة وأسلوبها سلس منساب، وذلك يرجع لعاطفة الشاعر القويّة التي دفعته للتعبير الصادق، إذ نجده مغرماً أشد الغرام، فهو محبّ صادق أضناه هذا الحبّ وبلغ به الغاية في الصبابة والشوق.

استخدم الشاعر صوراً بلاغية مثل (الذكر) في قوله: أعدّ الليالي ليلة بعد ليلة والغرض منه التلذذ بما هو حبيب إلى النفس، وكذلك المبالغة في عدم معرفته أركعتين صلى صلاة الضحى أم ثمان، وإن دلّ ذلك على شيء إنمّا يدلّ على انشغاله بالمحبوبة حتى صار لا يميّز.

ونجد في قوله قضاها لغيري وابتلاني بحبّها، مجافاة للقدر وعدم الإيمان بالقضاء، بل ويسمى بلوى ويتمنى لو ابتلاه الله بشيء آخر.

وقال صفي الدين الحلي [(١)]:

أبت الوصال مخافة الرقباءِ
وأتتك تحت مدارع الظلماءِ

أصفتك من بعد الصدود مودّة
وكذا الدواء يكون بعد الداءِ

أحيت بزورتها النفوس وطالما
ضنّت بها فقضت على الأحياءِ

(١) هو: صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي، الإمام الأديب البارع، ولد سنة (٦٧٧هـ) كان شاعراً حسن الصناعة، بارعاً في الصياغة، أوّل من نظم البديعيّات، وله قصائد "الارتقائيات" في مدح الملك المنصور. الأعلام، ج٤، ص ١٤١.

أمست بليل والنجوم كانّها

درّ بباطن خيمة زرقـــاءِ[1].

يقول الشاعر صفي الدين: إنّ المحبوبة رفضت ملاقاته خشية الرقباء إلى أن يحـــلّ الليل ويظلم، ودون ذلك فهي تتكرّم عيه بالصفاء والمودّة فبزيارتها ردّت روحه بعـــد أن أعيتها بالبعاد، ويذكر وقت مجيئها وهو ليلاً.

يشبه الشاعر هجران محبوبته بالداء ووصلها بالدواء، كما استخدم تشبيه التمثيل في تصوير النجوم اللامعة على صفحة السماء الزرقاء بالدر المنثور على خيمة زرقاء وهـــو تشبيه صورة بصورة.

وقال الوأواء الدمشقي:

قالت متى الظعنُ يا هذا فقلت لها

إمّا غداً أو لا فبعد غـــــدِ

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت

ورداً وعضّت على العُنّابِ بالبرد [2].

تسأله عن موعد الرحيل فلا يدري أغداً أم بعده، فتتأثّر لذلك وتتساقط الدموع من عينيها لؤلؤاً، وعضّت على أناملها ندماً وحسرة.

وقال أبو الطيّب المتنبئ[3].

بأبي الشموس الجانحات غواربا

اللابسات من الحرير جلاببا

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص ٧٠٥، والمستطرف، ج٢، ص ١٧٩.

(٢) يقال أن الأبيات للأمير يزيد بن معاوية ولكنها نسب البيت للوأواء الدمشقي فـــي المســـتطرف، ج٢، ص ١٨٠، وفـــي "الصناعتين" لأبي هلال العسكري، تحقيق، د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص ٢٧٣. والعمدة، بن رشيق القبرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، ١٩٨١م، بيروت، ج٢، ص ٢٥٨.

(٣) هو: أحمد بن الحسين بن عبد الصمد، الكوفي الكلبي، أبو الطيّب المتنبئ، شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، لـــه الأمثال الثائرة والحكم البالغة، ولد بالكوفة، سنة (٣٠٣هـ- ٩١٥م)، أتصل بسيف الدولة بن حمدان ومدحـــه، وأشـــهر فنونه المدح والهجاء والفخر والحكمة له ديوان شعر -ط، شذرات الـــذهب، ج٣، ص(١٣، ١٤، ١٥). الأعـــلام، ج١، ص١١٥.

المنهبات عيوننا وقلوبنا

وجناتهنّ الناهبات الناهبـــا

الناعمات القاتلات المحييات

المبدعات من الدلال غرائبا

حاولن تفديتي وخفن مراقباً

فوضعن أيديهنّ فوق ترائبا[1].

يقول الشاعر: أفدي بأبي الشموش وهي التي كنّى بها للنساء اللابســات جلابيـبهنّ، وهي من الحرير، إنّ وجناتهنّ قد أذهبت قلوبنا وعقولنا فصارت نهباً لها وهنّ النّاعمــات قتلنه بالهجر والدلال.

أرى في الأبيات السابقة قوّة الأسلوب وجمال ومتانة الألفاظ.

وقال الشريف الرضي [2]:

وتميس بين مزعفر ومعصفرٍ

ومعنبرٍ وممسكٍ ومصندلِ

هيفاء إن قال الشباب لها انهضي

قالت روادفها اقعدي وتمهّلي

وإذا سألت الوصل قال جمالها

جودي وقال دلالها لا تفعلي[3].

يقول الشاعر: لم تترك هذه المرأة طيباً ولا عطراً جميلاً إلاّ وتطيبــت بــه، وهــي فارعة القامة، حسناء.

---

(١) شرح ديوان المتنبئ، عبد الرحمن البرقوقي، (د–ت)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص ٢٢٥. والمستطرف، ج٢، ص ١٨١.

(٢) هو: محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن الرضي العلوي الحسيني الموسوي، ولد ببغداد سنة (٣٥هـ–٩٧٠م) لــه ديوان شعر ط، جمع بين جزالة اللفظ ومتانة المعنى، وغلب عليه الحماسة والفخر، وبرع في الرثاء والغزل العفيــف. توفي سنة (٤٩٦هـــ– ١٠١٥م). الأعلام، ج٦، ص ٣٢٩– ٣٣٠.

(٣) المستطرف. ج٢، ص ١٨٢.

وقال ابن منقذ [1]:

لما رأيت النجم ساه طرفه

والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعشٍ في الحداد سوافر

أيقنت أنّ صباحهم قد ماتا[2]

استخدم الشاعر أسلوب الشرط في تقديمه وتأخيره للجواب والاستعارة في جعله "النجم يسهو"، والكناية في قوله: "بنات نعش".بما أن الغزل من أكثر الأغراض الشعرية بين شعراء العربية في مختلف عصور الأدب ،نجد أن المؤلف قد اختارما هو ظاهرٌ شفاف الجوهر يطرب الحزين ويتحف الرصين.

---

(١) هو: أحمد بن نصر الله بن منقذ، الأمير شرف الدين، ولد بنصبين سنة (٥٩٤هـ)، شاعر بارع له نثر في الترسّل، شعره كثير مطبوع، من أغراضه المدح والرثاء والفخر والعتاب، والغزل، والوصف، له كتاب "الشيب والشبّاب"، وكتاب "الاعتبار". شذرات الذهب، ج٤، ص ٢٧٩ -٢٨٠. والأعلام، ج١، ص ٢٩١.

(٢) المستطرف. ج٢، ص ١٩١.

المبحث الثاني

المدح

المدح في اللّغة: هو حسن الثناء، وهو المديح[1]. والمديح اسم مشتق منه[2] وهو يدلّ على وصف محاسن بكلام جميل، ومدحه: أحسن عليه الثناء[3].

وفي المصباح المنير: "مدحته مدحاً... أثبتّ عليه بما فيه من الصّفات الجميلة خلقيّة كانت، أو اختياريّة، ولهذا كان المدح أعمّ من الحمد"[4].

"والمدح من أهمّ أبواب الشعّر العربي، وله مكانة كبيرة في العصر الجاهلي، وخاصّة بعد أن تكسّب الشعراء في الجاهلية بالشعر، واتّخذوه صناعة، ومدحوا به الملوك والرؤساء، وغيرهم، وكان الشعراء في الجاهليةّ يمدحون أبطال القبيلة وساداتها، ويشيدون بمكانتهم بين القبائل" [5].

أمّا في الاصطلاح الأدبي، فإنّ المدح "ذلك الغرض الشعري الذي يختصّ بهذا النوع من الثناء والإطراء، الذي يتوجّه به الشّاعر إلى ممدوح معيّن" [6].

ويرى ابن رشيق[7] في باب المديح: وسبيل الشّاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشارة؛ بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة... فإذا مدح الكتاب عمل طاقته وبلغ مراده[8].

---

(١) لسان العرب، مادة (مدح).

(٢) جمهرة اللغة، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط١، ١٣٤٥، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد، الدكن، ج٢، ص ١٢٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٩٧٢م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ج٥، ص ٣٠٨.

(٤) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، للرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيّومي، ص ٥٦٦.

(٥) الحياة الأدبيّة في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، ط ١، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٦) المصطلح النقدي في نقد الشّعر، إدريس الناقوري، ط٢، ١٩٨٤م، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ص٤٦٢.

(٧) هو: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، أديب ناقد ولد في "المسلية" بالمغرب، مال إلى الأدب وقال الشعر، ورحل إلى القيروان، سنة (٤٠٦هـ)، مدح ملكها، من مؤلفاته "العمدة في صناعة الشعر ونقده ط " و "قراضة الذهب ط، في النقد" و"الشذور ونقده" في اللغة، وله ديوان شعر- ط. الأعلام، ج٢، ص١٩١.

(٨) العمدة، ج٢، ص ١٥٣.

وقد عرف العرب المديح، كما عرفته الأمم الأخرى، فمنذ وُجد الإنسان وجدت معه الرغبة في المدح والثناء، إعراباً وتعبيراً عن الإعجاب والتقدير، بوسيلة مناسبة، تعارف عليها هذا المجتمع أو ذاك، فقد اكتشفت كتابات على أوراق البردي، والمسلات والقبور، وقصور بابل وتماثيل اليونان والرومان، نقلت إلينا صيغاً كثيرة لهذا المديح، لا تختلف في مضمونها، فجميعها يعلّي من شأن الممدوح ويبرز شجاعته وسطوته وقوّته، وعلمه"[١].

ولقد شهد العصر الجاهلي، والصحراء العربية مولد الشعر العربي وتدفقه من وجدان الشعراء، وعلى ألسنة الرواة. وكان المديح يحتلّ حيّزاً كبيراً في دواوين أشهر شعراء العربية"[٢].

فالمديح لم يكن في وقت مبكر من العصر الجاهلي، يقال في موقف يستحقّ الإشادة، أو عندما يرى شيئاً عظيماً، فكان يمتدحه، لا من أجل التكسّب؛ بل إكباراً وإجلالاً بما قام به[٣].

وقد هذّب الإسلام المديح ووجهّه الوجهة السليمة، ووظّف الشعر في خدمة العقيدة، فجاء مديح شعراء الإسلام منجّماً من تعاليم الدين القويم، فهو ليس طمعاً في عطاء، أو تعصّباً لقبيلة؛ بل لخدمة العقيدة وجهاداً في سبيلها[٤].

والعصر العبّاسي الثاني هو عصر الازدهار الفكري عند العرب في الفلسفة والأدب والفنون، لم يكن الشعراء المادحون الذّين تعاقبوا عبر السنين الطويلة من الجاهلية حتّى أواخر العصر العباسي من مستوى واحد، ولم يكونوا جميعاً من المبدعين؛ ولكن شعر المديح كان على الرغم من ذلك يسير نحو الرقي حتّى بلغ ذروته في منتصف العصر العبّاسي أيّام المتنبي وغيره[٥].

---

(١) المديح، سامي الدهّان، ط٢، ١٩٦٨م، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص٧.

(٢) قصيدة المديح حتّى نهاية العصر الأموي (بين الأصول والإحياء والتجديد)، وهب رومية، ١٩٨١م، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ٢٨.

(٣) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو إسحاق، ١٩٦٢م، دار الشروق الجديد، ص ٢٠.

(٤) السيرة النبويّة، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقّا وزميليه، ط٢، دار الكنوز الأدبيّة، ج٣، ص ١٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٥٩-٢٦٠.

ومن أحسن ما مُدح به ﷺ، قول حسّان بن ثابت[١] رضي الله عنه:

وأحسن منكَ لم ترَ قَطُ عيني

وأجمل منلكَ لم تلدْ النساءُ

خُلقت مبرأً من كلّ عيبٍ

كأنّك قد خُلقت كما تشاءُ[٢]

تعدّ أبيات حسان في النبي صلى الله عليه وسلّم من أجمل وأصدق أبيات قيلت في المدح، إذ لا زيف ولا خداع، بل نعته الله تعالى في القرآن بكمال الأخلاق، في قوله تعالي (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [٣] وخلقه سبحانه مبرأ كامل الخِلقة، حلو الشمائل.

وكذلك قوله في فتح مكّة:

عدمنا خيلنا إن لم تروها

تثُير النقعَ موعدها كداءُ

فإمّا تُعرضوا عنّا اعتمرنا

وكان الفتح وانكشف الغطاءُ

وإلّا فاصبروا لجلاد يومٍ

يعزّ الله فيه من يشـــاءُ

وقال الله قد أرسلت عبداً

يقول الحقّ إن نفع البلاءُ

شهدتُ به وقومي صدّقوه

فقلتم لا نجيب ولا نشاءُ

---

(١) هو: أبو الوليد حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلّم، وأحد المخضرمين، دافع عن الإسلام في معارك القول ضد المشركين، كفّ بصره في آخر عمره، توفي بالمدينة سنة (٥٤هـــ). الشـــعر والشعراء، ج١، ص ٢٢٣. والأعلام، ج٢، ص ١٧٥.

(٢) ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، تحقيق د/ وليد عرفات، ١٩٧٤م، دار صادر، بيروت، ج١، ص ٤٤١. والمستطرف، ج١، ص ٢٨٩.

(٣) سورة القلم ، الآية (٤) .

(٤) ديوان حسان ، ج١ ص ١٧-١٨.

وجبريل أمين الله فينا

وروح القدس ليس له كفاءُ(٤).

يهدد حسّان الكافرين، فيقول لهم: أنتم أمام أمرين: إمّا أن تسكتوا عنّا فندخل مكّــة، ونعتمر بالحجّ؛ لأداء الفريضة. وإمّا تحاربونا فنفتك بكم ويقسم بأنّ يعدموا خيلهم التي تثير الغبار في المعركة لقوّتها وتدريبها، وأنّ ديننا هو من عند الله،وعلى رأسنا رسوله الكريم الذي جاء بالحقّ يبشّر به المسلمين وإنّي قد آمنت به وقومي صدقوه، وهذه الرّسالة مرسلة لنا من الله تعالى مع جبريل عليه السّلام أمين الله وروح القدس الذي ليس له كفاء.

وقال عبد الله بن رواحة(١) رضي الله عنه في مدح الرسول ﷺ:

لو لم تكن فيه آيات مبينّة

كانت بديهته تنبيك بالخبرِ(٢)

وكذلك مدحه كعب بن زهير(٣)، قائلاً:

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به

مهندٌ من سيوف الله مسلولُ(٤)

حيث شبّهه بالنور؛ لهدايته للمسلمين، "وبالسيف" كناية عن صفة الشجاعة.

ويقول في مدح الأنصار:

من سرّه كرم الحياةِ فلا يزل

في مقنب من صالحي الأنصارِ

---

(١) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، صحابي، يعدّ من الأمراء والشعراء الراجزين، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الإثني عشر، توفي سنة (٨هــ- ٦٢٩م). طبقات فحول الشعّراء، ابــن ســلام الجمحي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج١، ٢٢٣.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٢٨٩.

(٣) هو: أبو المضرّب كعب بن زهير بن أبي سُلمى، المازني، شاعر من أهل نجد له ديوان شعر، هجا الرسول ﷺ فأوعده، فجاء إلى النبي مستأمناً وأنشده لاميته المشهورة، فأهداه الرسول ﷺ بردته، توفى سنة ٢٦هــ. الشعر والشــعراء، ج١، ص ١٥٤. وطبقات فحول الشعراء، ج١، ص ١٠١-١٠٢.

(٤) ديوان كعب بن زهير، ط سنة ١٩٦٥م، المكتبة العربية، القاهرة، ص ٦.

دربوا كما دربتْ أسوُد خفيّةٍ

غُلب الرقابِ من الأسود ضواري[١].

تخيّل الشاعر أنّ الفرسان حيوانات شرسة فشبّههم بالأسود الضـــارية تكشّـــر عـــن أنيابها، غليظة رقابهم أشدّ ضراوة عند لقاء العدو.

وقال كعب بن مالك الأنصاري[٢] في مدح آل هاشم:

يا آل هاشم الإله حباكم

ما ليس يبلغه اللّسان المفصل

قوم لأصلهم السيّادة كلّها

قدماً وفرعهم النّبيّ المرسل [٣].

يقول فيهم: إنّ الله حباهم وخصّاهم بما لا يستطيع اللّسان بوصفه هم أصل السّيادة منذ القدم، ونسلهم من النبّي صلى عليه وسلّم، وقال الإبشيهي: لمّا حججت وزرته صلى الله عليه وسلّم تطفّلت على جنابه المعظّم وامتدحته بأبيات مطوّله وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشّريفة، تجاه الصندوق الشّريف،وأنا مكشوف الرأس، أبكي. من جملتها:

يا سيّد السّادات جئتك قاصداً

أرجو رضاك واحتمي بحماكا

والله يا خير الخلائق إنّ لي

قلباً مشوقاً لا يروم سواكـــا

أنت الذّي من نورك البدر اكتسى

والشّمس مشرقة بنورِ بهاكـــا

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٥، والمستطرف، ج١، ص ٣٠١.

(٢) هو: كعب بن مالك الأنصاري السلمّي مؤاخي طلحة بن عبيد الله، وهو أحد الثلاثة الذين خلّفوا وتاب عليهم، وأحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلّم المجيبين عنه، وشهد المشاهد غير تبوك، وذهب بصره آخر عمره، توفّي سنة (٥٠هـ). شذرات الذهب، ج١، ص ٥٦.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٢٩٢.

أنت الذّي لمّا رفعت إلى السماء

بك قد سمت وتزيّنت لسراكا

وبك الخليل دعا فعادت ناره

برداً وقد خمدت بنورِ سناكـــا

ودعاك أيّوب لضّر مسّه

فأزيل عنه الضّر حين دعاكـــــا

أنا طامع في الجود منك ولم يكن

لابن الخطيب من الأنام سِواكا

فأجعل قراي شفاعة لي في غدٍ

فعسى أرى في الحشر تحت لواكا

صلّى عليك الله يا خير الورى

ما حـــنّ مشتاق إلى مثواكـــا

وعلى صحابتك الكرام جميعهم

والتّابعين وكـــلّ من والاكـــا(١).

قصد الشّاعر خير الأنام يرجو رضاه والحمى بحماه ﷺ، ويقول: إنّ البدر والشّمس استمدّا نورهما منه، وتزيّنت السّماء بسراه، وأنت الذي دعاك الخليل عندما اشتدّ عليه أذى قومه فصارت ناره برداً وسلاماً، وشفي أيوب من الضّر عندما ناداك، يطمع الشّاعر فـــي شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلّم وأن يحشر تحت لوائه، فصلى الله عليه وسلّم وعلى صحابته الكرام.

وكذلك في قول حسان في مدح الرسول ﷺ الآذان وتأسر القلوب وهو ماألفناه في شعره وعاطفته الصادقة :

(١) المستطرف، ج١، ص ٢٨٩- ٢٩٠.

(٢) الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) تأليف الإمام يحي بن حمزة العلوي ١٢٢٢هــ - ١٩١٤م ، دار الكتب الجنوبية مطبعة المؤتلف بمصر ، ج٣ ، ص ١٩٣.

ما أن مدحت محمداً بمقالتي

لكن مدحت مقالتي بمحمد [٢]

وقال الحارث بن ربيعة[١] في رجل من آل المهلّب:

فتى شطره دهران فيما ينوبه

ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطرُ

فلا من بقاة الخير في عينه قذى

ولا من زئير الحرب في أذنه وقرُ[٢].

يصف الشاعر ممدوحه بالشّجاعة والجود، إذ تجده لا يتجاهل سؤال المحتاج ولا يذعن ولا نكساً أو ورعاً عند الحرب.

وقال القاسم بن أميّة بن أبي الصلت الثقفي[٣]:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم

تركوه ربّ صواهلٍ وغيانِ

وإذا دعوتهم ليوم كريهة

سدّوا شعاع الشّمس بالفرسانِ[٤].

تحمل هذه الأبيات معاني الفروسية والشجاعة في هؤلاء القوم حتّى ضيفهم الذي يحلّ بهم يدرعونه ويدججونه بالسّلاح، ولا يتركونه أعزلاً.

كلّ الأبيات السابقة تشير إلى معنى مشترك وهو الشّجاعة والكرم. ونجد الشاعر الأخير قد أجاد في وصف ممدوحه بالشّجاعة؛ إذ جعلهم ينهضون صغارهم وكبارهم ولكثرتهم كأنّهم يسدّون شعاع الشّمس.

---

(١) هو: الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزوميّ، من التّابعين، من أهل مكّة، أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر، قال الجاحظ: كان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم. الأعلام، ج٢، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٢٩١.

(٣) هو: قاسم بن أبي الصلت الثقفي، شاعر ابن شاعر، حكيم من أهل الطائف، يعدّ من الصحابة، عاش إلى ما بعد سيدنا عثمان بن عفّان، ورثاه، وله شعر في "مجالس ثعلب" و "الحماسة الصغرى" و "سمط اللألي"، توفي ما بعد سنة (٣٥هـ). الشعر والشّعراء، ج٢، ص ٤٣٣.

(٤) المستطرف، ج١، ص ٢٩٢.

ونجد أنّ فنّ المديح في البيئة الأمويّة لم يكن شيئاً جديداً، فقد عُرف من قبل في الجاهلية والإسلام، ولكن الجديد هو ازدهاره كثيراً بعد ركود، وقد دخلته مقومات جديدة واتّجاهات جديدة، فكان الشّعراء مقرّبين من الخلفاء والأمراء الأمويين، فتغنوا بفضائلهم ممّا أرضى كبريائهم، وحبّهم للزهو والظهور، فأغدقوا عليهم العطايا والأموال. وخير مثال على ذلك، مدح جرير[1] لعبد الملك بن مروان[2]، حيث خلع عليه كلّ فضيلة عربية من كرم وأريحيّة، وجعله مثلاً أعلى، فقال:

أغثني يا فداك أبي وامّي

بسيبٍ منك إنّك ذو ارتياح

سأشكرإن رددتَ علّى ريشي

وأنبت القوادمَ من جناحي[3].

استخدم الشاعر اللون البياني المتمّثل في التشبيه، إذ شبّه نفسه بالطائر، وعطاء الخليفة بالقوادم التي لا يستطيع الطيران بدونها. عاب النقّاد على جرير استخدامه للشرط في مخاطبته للخليفة في قوله: "سأشكر إن أعطيتني" فإذا لم يعطه ما هو المعنى المراد إذن من ذلك؟

وكان الفرزدق[4] هجّاء لعمر بن هبيرة[5] فلّما سُجن ونقب له السّجن وسار هو وبنوه تحت الأرض، قال فيه:

---

(١) هو: أبو حرزة جرير بن عطية بن حذيفة، الحنفي بن بدر الكلبي، اليربوعي، من تميم كان هجاؤه مرّاً لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، يمتاز شعره بوضوح المعاني، وفصاحة الألفاظ، ومتانة التركيب. الأعلام، ج٢، ص١١٩.

(٢) هو: أبو الوليد عبد الملك بن مروان الخليفة، كلن فقيهاً وناسكاً، ولا أقرأ لكتاب الله منه، توفي سنة (٨٦هـ)، شذرات الذهب، ج١، ص٩٧. وتاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله المنشاوي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، مكتبة الإيمان المنصورة، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) ديوان جرير، شرح محمد حبيب، تحقيق د/ نعمان محمد أمين، دار المعارف، مصر، ص ٧٧.

(٤) هو: أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، لقب بالفرزدق، تميز شعره بالقوة والجزالة، توفي سنة (١١٠هـ)، له ديوان شعر ط. الشعر والشعراء، ج١، ص ١١١. والأعلام، ج٨، ص ٩٣.

(٥) هو: أبو المثّنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي، الفزاري، أمير من الدهاة الشّجعان، من أهل الشّام، وهو بدوي أمّي. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق مأمون الصاعرجي، ط٧، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأعلام، ج٥، ص ٦٨.

ولما رأيت الأرض قد سدّ ظهرها

ولم يبقَ إلاّ بطنها لك مخرجا

دعوت الذّي ناداه يونس بعدما

ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا[1].

يدعو الشّاعر لعمر بأن الله يفرّج همه، ويخرجه من تحت الأرض بالدعاء الذي نادى به سيّدنا يونس الله سبحانه وتعالى وهو في بطن الحوت، لعلّ بهــذه الأبيــات يســتطيع الفرزدق أن يمحو ما علق من أثر هجائه لعمر في أبيات أخرى [2].

وقال زهير بن أبي سلمى:

لو كان يقعد فوق النّجم من كرمٍ

قوم بأوّلهم أو مجدهم قعــدوا

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم

طابوا وطاب من الأولادِ ما ولدوا

إنس إذا أمنوا جنّ إذا فزعوا

مرزوان بهاليل إذا جهلوا

محسرون على ما كان من نعمٍ

لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا[3]

وقال أبو العتاهية:

إني آمنت من الزمان وصرفه

لمّا علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع النّاس من إجلاله

جعلوا له حرّ الوجوه نعالا

(١) ديوان الفرزدق، ط سنة ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م، دار صادر، ج١، ص ١١٧، والمستطرف، ج١، ص ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٢.

(٣) شرح ديوان زهير، صنعة الإمام أبي العباس الشيباني، ط سنة (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)، الــدار القوميّــة، القــاهرة، ص ٢٨٢.

إنّ المطايا تشتكيك لأنّها

قطعت إليك سبائباً ورمالا

فإذا وردن بنا وردن خفافاً

وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا[١].

كلا الشاعرين أجاد في وصف ممدوحيهم بالكرم، فالشاعر الأوّل زهير جعل قومه يرتفعون إلى مكانة عالية في السماء، والشّاعر الثاني أبو العتاهية ظلّ مطمئناً آمنــاً مــن صروف الزّمان، وذلك عندما علقت يداه بالأمير، زاد عليه زهير في وصــفهم بأصــالة النّسب وبشجاعتهم شبههم بالجّن إذا فزعوا، وبالأنس إذا أمنوا وعلى كلّ ما هم عليه يقول: إنهم محسودون على هذه النّعم. أمّا أبو العتاهية فيؤكد على كرم الأمير، وذلــك برجــوع المطايا، وهي ثقالاً محمّلة بالكثير.

"وفي عهد بني العبّاس لم يمت شعر المديح، بل ظلّ ينمــو إلــى جانــب الفنــون الأخرى، ولكنّ الصفة التّي سيطرت عليه هي التكسّب، وأصبح الشّاعر العباسي بلبلاً في القصر يغرّد بفضائل الممدوح ويتغنّى بعظمته وجاهه وسلطانه، واتّخذه الملوك نديماً لهــم يطربون لقوله، ويخلعون عليه، ويخصّونه بالمال"[٢].

"اجتمع الشعراء بباب المعتصم، فبعث إليهم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النميري[٣] في أمير المؤمنين الرشيد[٤]؟:

إنّ المكارم والمعروف أودية

أحلك الله منها حيث تجتمع

---

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣٧٧. والمستطرف، ج١، ص ٢٣٩.

(٢) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ص ٢٠٠.

(٣) هو: أبو القاسم منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النميري، شاعر من أهل الجزيرة الفراتيّة. قدم من بغداد أيــام الدولة العبّاسية، واتّصل بهارون الرشيد ومدحه، وله أخبار كثيرة ونوادر. الشّعر والشعراء، ج٢، ص ٧٣٦. والأغاني، ج١٣، ص ١٤٠-١٥٨. الأعلام ج٧، ص ٢٩٩.

(٤) هو: أبو جعفر الرشيد هارون بن المهدي، استحلف بعهد من أبيه بعد موت أخيه الهادي سنة ١٧٠. ومات فــي الغــزو بطوس من بلاد خراسان، سنة (١٩٣هــ). تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٣ – ٢٩٦.

إذا رفعت أمراً فالله رافعه

ومن وضعت من الأقوام متّضع

من لم يكن بأمين الله معتصم

فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفع

إن أخلف الغيثُ لم تخلف أنامله

أو ضاق أمراً ذكرناه فيتّسع

فليدخل، فقال محمّد بن وهب[١]: فينا من يقول خير منه، وأنشد:

ثلاثة تُشرق الدنّيا ببهجتها

شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

يحكي أفاعليه في كل نائلة

الغيث واللّيث والصمّامة الذكر

فأمر بإدخاله، وأحسن صلته"[٢] نلتمس في أبيات النميري في مدح الرشيد مبالغة تظهر في حرصه على كسب ودّ الأمير؛ حتّى لو يجافي ذلك الدّين ويبعد عن العرف، ويظهر ذلك في قوله: إذا رفعت أمراً رفعه الله، والذّي لا يعتصم بالخليفة لا تنفعه صلواته الخمس، وجعل عطاءه يفوق الغيث، ليس فحسب بل إذا عَسر عليهم أمراً دعوا الخليفة فسرعان ما تفرّج.

وكذلك وصف محمد بن وهب ممدوحه بالكرم في أسلوب تشويق، إذ قدّم الخبر وأخر المبتدأ المتوالي (شمس الضحى، وأبو إسحاق، والقمر) ويظهر الإحساس بعدم صدق العاطفة لربط المعنى بالعطاء.

وهنالك كثير من الشّعراء الذّين أجادوا في هذا الغرض، فأجود ما قيل في المدح،

(١) هو: علي بن محمد بن وهب المسعري، صاحب أبي عيد القاسم بن سلام. معجم الأدباء، ج٤، ص ١٨٥٨.

(٢) العمدة، ج٢، ص ١٥٦.

وقول الحطيئة[1]:

نمشي إلى ضوء أحساب أضأن لنا

ما ضاعت اللّيلة القمراء للساري[2].

وقول الأعشى[3]:

فتى لو يباري الشّمس ألقت قناعها

أو القمر الساري لألقى المقالدا[4].

وقول الأخطل[5]:

شمس العداوة حتّى يستفاد لهم

وأعظم النّاس أحلاماً إذا قدروا[6].

وقال أبو الطمحان القيني[7]:

أضاءت له أحسابهم دجى اللّيل

حتّـــى نظم العقد ثاقبـــه[8].

---

(١) هو: أبو مليكة جرول بن أوس بن ناصب بن مالك العبسي، ويعرف بالحطيئة، شاعر مخضرم، أسلم وارتد بعـــد وفـــاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر وحبسه عمر بن الخطّاب، له ديوان شعر- ط، توفي سنة (٤٥هــ). شذرات الذهب، ج١، ص ١١٨. والأعلام، ج٢، ص ١١٨.

(٢) ديوان الحطيئة، تحقيق، نعمان أمين طه، ط١، ١٣٧٨هــ- ١٩٥٨م، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص ٧٩.

(٣) هو: أبو بصير ميمون بن قيس، من سعد بن ضبيعة بن قيس، كان أعمى، أبوه قيس يدعى (قتيل الجوع)، وكان جاهلياً وأدرك الإسلام. الشّعر والشعراء ج١، ص ٢٥٧.

(٤) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح د/ محمد محمد حسين، ١٩٧٢م، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١١٥.

(٥) هو: أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني ثعلب، والأخطل لقب غلب عليه، شاعر أموي، ولد بالحيرة، واتصل بالأمويين ومدحهم، وهجى الأنصار، وأجاد الفخر والهجاء، الشعر والشعراء، ص ٣٩٣. الأعلام، ج٥، ص ١٢٣.

(٦) ديوان الأخطل، تحقيق فخر الدين قباوه، حلب، دار الأصمعي للنشر، مطبعة الأصيل، ١٣٩١هــ- ١٩٧١م.ص ١١٢.

(٧) هو: حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاعة، شاعر فارسي معمّر، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام ولـــم يـــر النبي صلى الله عليه وسلّم. الشّعر والشعراء، ج١، ٣٠٤. والأعلام، ج٢، ص ٢٦٨.

(٨) العمدة، ج٢، ص ١٥٧. والمستطرف، ج١، ص ١٧٢.

يقول النابغة[1]:

فإنّك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبدَ منهنّ كوكبُ[2].

وللمتنبي في المديح:

ليت المدائح تستوفي مناقبه

فما كليب وأهل الأعصر الأولِ

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به

في طلعة البدر ما يغنيك عن زحلِ

وقد وجدت مكان القول ذا سعة

فإنّ وجـــدت لساناً قائلاً فقـــلِ[3].

تظهر الصورة البيانية المتعددة في المعني الواحد ، وذلك من خلال اشتراك الشعراء في الأبيات السابقة لبيان حال ممدوحيهم وتعريف صفتهم حينما جعلوهم كالشمس أو كالبدر لما في تلك الصفات من حضور وعموم الفائدة وفي كونهم الأصل .

قول أبي نواس[4]

في مدح الخصيب:

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا

فأيّ فتى بعد الخصيب تزور

فتى يشري حسن الثناء بماله

ويعلم أنّ الدائرات تدور

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٣٣١.

(٢) ديوان النابغة، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص ١٨.

(٣) ديوان المتنبي، ص ٣٣٨. والمستطرف، ج١، ص ٢٩٣.

(٤) هو: الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح، الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، له ديوان شعر- ط. وهو من الطبقة الأولى من المولدين، كثير المجون، مولع بالخمر والغلمان وأجود شعره "الخمريات". الشعر والشعراء، ج٢، ص٦٨٠. والأعلام، ج٢، ص٢٢٥.

فما فاته جود ولا حلّ دونه

ولكن يسير الجود حيث يسيرُ[1].

وقال الحسين بن دعبل الخزاعي[2]:

ملك الأمور بجوده وحسامه

شرفاً يقود عــدوّه بذمامه

فأطاع أمر الجود في أمواله

وأطاع أمــر الله في أحكامِه

وقيل: أجود ما قيل في المدح قول زهير:

تراه إذا ما جئته متهللاً

كأنّك تعطيه الذّي أنت سائلهْ[3].

وقول جرير:

ألستم خَير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راحِ[4].

ولأبي تمّام[5]:

كريم كريم الأمهات مهذّبٌ

تدفّق يمناه النّدى وشمائله

---

(١) ديوان أبي نواس، (د–ت)، دار صادر، بيوت، ص ٣٢٨. والمستطرف، ج١، ص ٢٩٤.

(٢) هو: أبو علي دعبل بن رزيق، من خزاعة، كان جده رزيق مولى عبد الله بن خلف الخزاعي، وكان عبد الله كاتباً لعمر بن الخطاب. الشعر والشعراء، ج٢، ص ٨٤٩. ومعجم الأدباء، ج٣، ١٨٨٤.

(٣) شرح ديوان زهير، ص ١٤٣. والمستطرف، ج٢، ص ١٦٨.

(٤) ديوان جرير، ص ٧٧.

(٥) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان، بشعره قوّة وجزالة، لــه تصــانيف منها "فحول الشعراء، وديوان الحماسة، و "مختارات أشعار القبائل" و " نقائض جرير والأخطل، له ديوان شــعر– ط. الأعلام، ج٢، ص١٦٥.

هو البّحر من أيّ الجّهاتِ أتيته

فلجّته المعروف والجودُ ساحِلُهْ[1].

بالرغم من اشتراك الشعراء في أبياتهم السابقة في وصف الممدوح بالجود ، إلا أنهم قد نهجوا أسلوباً مختلفاً مما جعلنا نحس بالأريحية في العطاء والكرم وتدفق الخير مما أضفى علي قولهم قوةً وجمالاً .

وقول أبي نواس:

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ

فأنت كما نثني وفوق الذّي نثني

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحه

لغيرك إنساناً فأنت الذّي نعني[2].

لم يكتفي الشاعر بإضفاء صفات الثناء علي ممدوحه بل زاد عليه أن الألفاظ لم تسخّر لغيره وخُصّت به دون الآخرين .

ولجمال الدين بن نباتة:

والله ما عجبي لقدرك إنّه

قدر على باغي مداه بعيدُ

إلّا لكونك لست تشكو

في هذه الدّنيا وأنت وحيدُ[3].

يقول ابن نباتة في ممدوحه إنّه سامي القدر عالي المكانة، لا يشكو الوحشة والانفراد؛ ولكنّه تفرّد في التخلّق بالخصال الحميدة.

وقال صفي الدين الحلّي:

أتثني فتثنيني صفاتك مظهراً

عيّاً وكم أعيت صفاتك خاطبا

---

(١) ديوان أبي تمام، ١٩٦٤م، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٩. والمستطرف، ج١، ص ٢٧٧.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ٤١٥. والمستطرف،ج١، ص ٢٩٣.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٧. والمستطرف، ج١، ص ٢٩٥.

لو أنني والخلق جمعاً ألسن

نثني عليك لما قضيت الواجبا[١].

تحيّر الشّاعر في وصف ممدوحه؛ إذ كلّما أثنى عليه وزاد في مدحه ربت هذه الصّفات وتفاقمت، ويقول: لو أنّ كلّ الخلق كانوا ألسناً لمدحه لما قضوا الواجب ولما فعلوا.

وقال الحسين بن مطير[٢]:

لو يعبد النّاس يا مهدّي أفضلهم

ما كان في النّاس إلاّ أنت معبود

أضحت يمينك من جود مصوّرة

لا بل يمينك منّها صوّر الجّود

لو أنّ من نوره مثقال خردلة

في السّود طرّاً إذن لابيضت السّود[٣].

يقول: لو كانت العبادة للأفضل؛ لكنت أنت المعبود، وإنّ الجود أُستمدّ من كفّيك، ويجيد فن مدحه في البيت الأخير فيقول: لو أعطى من نوره بمقدار حبّة خردل، لما بقى أسود في الأرض، ولصاروا جميعهم بيضاً.

وقال آخر:

أوليتني نعماً وفضلاً زائداً .

وبررتني حتّى رأيتك والدا

أقسمت لو جاز السجود لمنعم

ما كنت إلاّ راكعاً لك ساجدا[٤].

---

(١) ديوان صفي الدين الحلّي، ص٩٨. والمستطرف، ج١، ص ٢٢٥.

(٢) هو: الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي، مولى بني أسد بن خزيمة، وابن مطير من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعبّاسية، فصيح، متقدّم في الرجز والقصيد، يعدّ من فحول المحدثين، معجم الأدباء، ج٣، ص١١٥٧. والأعلام، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٢٩٥.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٦.

أحاط بنعمه وأفضاله التي زادت عليه، وبراه حتّى جعله له والداً، ويقسم لو يجوز السجّود لصاحب نعمة أو منعم لكنت الذّي ركعت له وسجدت. وتظهر المبالغة والغلو في جعل السجود لممدوحه .

وقال آخر:

لو كان يقعد فوق الشّمس من كرم

قوم لقيل اقعدوا يا آل عبّاس

ثمّ ارتقوا في شعاع الشّمس وارتفعوا

إلى السّماء فأنتم سادة النّاس(١).

ولأبي فراس الحمداني(٢):

لئن خلق الأنام لحبّ كأس

ومزمار وطنبور وعود

فلم يخلق بنو حمدان إلاّ

لمجد أو لبأس أو لجود(٣).

يقول: إذا خلق الآخرين للهو والخمر والغنا والعشق، فإنّ بني حمدان لم تخلق لمثل ذلك؛ وإنّما خلقوا للمكارم، وهي المجد والبأس والجود

وقال آخر:

ثناؤك في الدّنيا من المسك أعطر

وحظّك في الدّنيا جزيل موقّر

وكفّك بحر والأنامل أنهر

رعى الله كفاً فيه بحر وأنهر

---

(١) المصدر السابق ، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) هو: أبو فراس الحارث بن سعيد حمدان،التغلبي، الربعي، الحمداني، ولد سنة (٣٢٠هـ- ٩٣٢م) أمير، شاعر، فارس، وهو ابن عم سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبّه و يصطحبه في غزواته، له ديوان شعر مطبوع، ومؤلّفات أخرى، توفي سنة (٣٧٥هـ- ٩٦٨م). شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٤. والأعلام، ج٢، ص ١٥٥.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، ١٢٨٥هـ- ١٩٦٦م، دار بيروت للطباعة والنشر، ص ٩٧. والمستطرف، ج١، ص ٢٩٧.

أعيذك بالرّحمن من كل حاسد

فلا زالت الحسّاد تغبى وتصغر

لساني قصير في مديحك سيدي

لأنّي فقير والفقير مقصّـــر[1].

يقول فيه: إنّ مديحه وسيرته هي أعطر من المسك، وحظّه موفور مـــن المكـــارم، يشبهه بالبحر في الجود، وأنامله بالأنهر في العطاء، ويعيذه بالرّحمن من شرّ كلّ حاســـد، ويرى الشّاعر أنّ لسانه قصير، وكلامه قليل في مدحه؛ وذلك لأنه فقير معدم، والفقير في رأيه كثيراً ما ينتابه التقصير، والهدف من ذلك الإشارة إلى عطايا السّــلطان، والكســـب المادّي .

بما أن عصر الابشيهي قد سادت فيه الاضطرابات السياسية وعمت الفوضي مما أثر ذلك علي الأدب بنوعيه ، نجد أن الشعراء قد تقربوا من الملوك والسلاطين وأكثروا مـــن الإشادة ببطولاتهم وفتوحاتهم وزخر فن المديح بمعاني شتى .

---

(١) المستطرف، ج١، ص٢٩٧.

المبحث الثالث

الرثاء

الرثاء في اللغة: "رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً ومرثية، إذا بكاه بعد موته. قال فإن مدحه بعد موته قيل رثاه يُرثيه رثية، ورثيتُ الميت رثياً ورثاء ومرثاةً ومرثيــةً. ورثيتهُ: مدحتهُ بعد موته وبكيتهُ. ورثوت الميّت أيضاً إذا بكيته وعدّدت محاسنه، وكذلك، إذا نظمت فيه شعراً"(١).

و "رثيت الميت من باب رثى و (مرثية) أيضاً و (رثوته) إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذا إذا نظمت فيه شعراً"(٢)

وكلمة رثاء في الاصطلاح: " مدح الميّت، ويتضّمن الحديث عن شجاعة المرثي وكرمــه ونبله، وما قام به من جليل الأفعال، وتعداد مآثره"(٣).

وقد اختار المؤلّف أشعارا في الرثاء لبعض الشعراء فالقارئ لأبياتهم يحسّ بأفئــدتهم الحزينة المفجوعة بالفقد، فيصورون عواطفهم أدباً نجد بين طياته حروفاً مليئــة بــالحزن والأسى.

ومن النماذج التطبيقية للرثاء في كتاب "المستطرف" ما روي عن أبي بكــر الصــدّيق (رضي الله عنه). إذ قال:

لمّا رأيت نبيّنا متجندلاً

ضاقت علّى بعرضهنّ الدورُ

فارتاع قلبي عند ذاك لموته

والعظم ما حييت كسيــــرُ

أعتيق ويحك إنّ خلّك قد ثوى

والصبر عندك ما بقيت يسير

---

(١) لسان العرب، مادة، (رثى) .

(٢) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد أبي بكر عبد القادر الرازي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٣٧، ص ٢٣٣.

(٣) أدب العرب (مختصر تاريخ نشأته وتطوّره، وسير مشاهير رجاله) مارون عبود، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٨١.

يا ليتني متّ قبل مهلك صاحبي

غيّبت في لحد عليه صخورُ

فلتحدثن بدائع من بعده

تعيأ بهنّ جوانح وصـــدورُ[1].

كان موت النبي ﷺ وانتقاله للرفيق الأعلى بمثابة فاجعة للمسلمين، وأصحابه، إذ فقدوا القائد والمرشد، فعبّر سيدنا أبو بكر عن حزنه تعبيراً صادقاً، وبعاطفة حزينة مردّها حبّــه للحبيب، فقال: إنّ الديار قد ضاقت عليه، وعظمه صار كسيراً لا يجبر، وتعجّب من نفسه إذا هي حرّة طليقة تهنأ بالعيش وصاحبه وُرىّ بالثرى وضمّته الصخور، فتمنّى لو هلــك قبله. ويقول: بعد موتك سوف تحدث بدائعاً وفتناً تتعب منها القلوب كما رثاه حسّــان بــن ثابت قائلاً:

نبّ المساكين أنّ الخيرَ فارقهم

مــع النبّي تولّــى عنهم سحــرَا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي

ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطَرا

أم من نعاتب لا تخشى جنادعه

إذا اللّسان عتا في القول أو عثَرا

كان الضياء وكان النور نتبعه

بعد الإله وكان السمّع والبصَرا[2].

كان حسّان بن ثابت من أشدّ الصحابة تأثراً بموت الرسول صــلى الله عليــه وســلّم، ويظهر ذلك في الكثير من قصائده التي رثاه فيها، حيث ذكر محاسنه التي لا تحصــى ولا تعد، وأحصى ما استطاع معرفته، وذلك تصوير لما يحسه بموت الرسول من فقد المسعف

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٠.

(٢) ديوان حسان بن ثابت، ج١، ص ٤٢١.

المعين وانقطاع ذلك الموصول ،ففي أبياته السابقة يقول: خبّر المساكين والفقراء بأنّ الخير قد فارقهم، وكان لهم الغيث والرزق، وهو الهدى، ونور الله، وملء السمع والبصرا.

شبّه حسان الرسول صلى الله عليه وسلم بالنور والضياء، لهدايته للمسلمين.

ورثاه أبو سفيان بن الحارث[1]، قائلاً:

أرقت فبات ليلي لا يزول
وليل أخي المصيبة فيه طولُ
وأضحت أرضنا ممّا عراها
تكــاد بناجــــوانبها تميــلُ
فقدنا الوحي والتنّزيل فيّنا
يـــروح به ويغدو جبريـــلُ
وذاك أحقّ ما سالت عليه
نفوس النّاس أو كادت تسيل
نبيّ كان يجلو الشّكّ عنّا
بما يوحى إليه وما يقــولُ
ويهدينا فلا نخشى ملاماً
علينا والرّسول لنا دليـــلُ
أفاطمٌ إن جزعت فذاك عذرٌ
وإن لم تجزعي فهو السبيلُ
فقبرُ أبيك سيّدُ كلّ قبرٍ
وفيـــه سيّدُ النّاس الرســـولُ[2].

تجسّد حزن الشّاعر في تجافي النوم لمقلتيه، وصار ليله طويلاً، فنجـد السّـعادة فـي البكاء، وعظمت مصيبة المسلمين بعده، وكادت الأرض تميل من الهول والجزع، فكيف لا

(١) هو: أبو سفيان بن الحارث، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلّم، المغيرة بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي، أخو نوفل بن ربيعة. سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ج١، ص١٤٧.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٣٠١.

وقد فقدوا الوحيّ والتنّزيل، فكان يجلو عنهم الشكّ، وكان دليلهم وهاديهم. فخاطب فاطمة ابنته إذ أنها أكثر من اكتوى بهذه النّار فيقول: من حقّك أن تجزعي؛ ولكن إذا صبرتي فهو سبيل كلّ شخص، فقبر أبيك سيّد كلّ القبور؛ لأنّه يضمّ خير الأنام.

تزخر الأبيات السابقة بالصور الجماليّة التي عبرّت عن حزن الشاعر فكنّى عن طول الليل في عدم زواله، واستعار الميلان للأرض، واستخدم المجاز المرسل في جعله النفوس تسيل بدلاً عن الدماء.

وبكت السيّدة فاطمة أباها في أبيات بكاءً حزيناُ بقولها:

أُغبر آفاق السّماء وكُورت
شمس النّهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبيّ كئيبةٌ
أسفـاً عليه كثيرة الرّجفانِ
فليبكه شرقُ البلادِ وغربُها
وليبكِه مُضرٌ وكلّ يمانِ(١)

مضمون الأبيات أنّ السّماء صارت غباراً بسقوط شمسها وكوكبها، فليبكه شرق البلاد وغربها، وكلّ من هم باليمن، ومضر، وحتّى الأرض حزنت عليه وطال ظلام اللّيل متأثراً.

يظهر أسلوب الكناية الذي استخدمته في جعلها الشّمس تتساقط، والاستعارة في جعلها الأرض كئيبة حزينة مرتجفة. كما اقتبست من القرآن الكريم كلمة (كُورّت) من الآية (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)(٢).

إلى جانب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم نجد في كتاب المستطرف رثاء الشّهداء والخلفاء، ويغلب على معاني الرثاء الحزن والأسى على فقد أولئك الأبطال، ثـمّ الرضـا

---

(١) العمدة، ج٢، ص ١٥٣.

(٢) سورة التكوير،الآية (١) .

بقضاء الله، والتسليم به، والعزاء بأنّ الله أعدّ لأولئك الجنّة. فلمّا مات سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، رثاه سيدنا عمر بن الخطّاب بهذه الأبيات بعد أن رجع من دفنه:

ذهب اللّذين أحبّهم
فعليك يا دنيا السّلام
لا تذكرين العيش لي
فالعيش بعدهم حرامُ
إني رضيع وصالهم
والطّفل يؤلمه الفطامُ[١].

عبّر سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عن حزنه، بتشبيهه لحرمانه من الرسول وأبي بكر، كحرمان الطفل الرضيع من أمّه، وهذا أشدّ ما يكون من الألم، ومردّ هذه العاطفة حبّه الصادق الذي لا يشوبه زيف. كما رثت ليلى الأخيليّة[٢]عثمان بن عفان رضي الله عنه بقولها :

أبعد عثمان ترجو الخير أمتّه
وكان آمناً من يمشي على ساقِ
خليفة الله أعطاهم وخوّلهم
ما كان من ذهب جُوم وأوراقِ
فلا تكذب بوعد الله واتقه
ولا توكل على شيء بإشفاقِ
ولا تقولّن لشيء سوف أفعله
قد كتب الله ما كل امرئ لاقِ[٣].

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٣٠١.

(٢) هي: ليلى بنت عبد الله بن الرّحال الأخيلية، من بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكيّة، شعرها متين السّبك، يجري على النهج القديم، أكثره في رثاء (توبة) وكان خطيبها فرفض أبوها أن يزوّجه بها، لأنّه ليس من بني عامر، توفيّت بخراسان، ودفنت بجانب قبر توبة سنة ٨٠هـ. الشعر والشعراء،ج١، ص ٣٥٩. والأعلام، ج٥، ص ٢٤٩.

(٣) العمدة، ص ١٥٣-١٥٤.

تقول الشاعرة: لا ترجو الأمة خيراً بعد فقدها لخليفتها عثمان، وفقد الأمن كلّ من سار على ساق، وفي أبياتها دعوة صريحة بتقوى الله، والتوكّل عليه، واليقين به، وتظهر الحكمة في أبياتها والموعظة، والنزعة الإيمانيّة مردّها تقواها. وعزّى الإمام الشافعي[(١)] رضي الله عنه صديقاً له بقوله:

إنّا نعزّيك لا أنا على ثقة

من الحياة ولكن سنّة الدّينِ

فما المعزى بباق بعد ميته

ولا المعزّى ولو عاشا إلى حينِ[(٢)].

تتجلّى في أبيات الإمام الشافعي قوّة إيمانه بالموت، وأن المعزّي ليس بمخلّد بعد معزّيه، وإنما سوف يلحق به ولو بعد حين.

كما نجد أنّ هنالك من الشعراء من رثى الملوك والأمراء، فمنهم مقاتل ابن عطيّة[(٣)]، حيث رثى الوزير نظام الملك [(٤)] بقوله:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤةً

يتيمةً صاغها الرّحمن من شرفِ

عزّت ولم تعرف الأيام قيمتها

فردّها عندما عزّت إلى الصّدفِ[(٥)].

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطّلب بن مناف، القرشي المطّلبي الشافعي، وأحد أصحاب المذاهب الأربعة. شذرات الذهب،ج٢، ص ٩-١١. ووفيات الأعيان، ج٤، ص ٢١-٢٢.

(٢) ديوان الشافعي، جمع وتحقيق زهدي يكن، سلسلة المخطوطات العربية، د-ت، ص ١٧٨. والمستطرف، ج٢، ص ٢٩٨.

(٣) هو: علي بن مقاتل بن عبد الخالق الحموي، ولد سنة (٦٩٥هـ- ١٢٩٥م) زجّال، من أهل حماة، كان شاعراً غلب عليه الزّجل، فاشتهر به، جمعت أزجاله في (ديوان) من مجلّدين، الأعلام، ج٥، ص ٢٣.

(٤) هو: الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو على الملّقب بقوام الدين، نظام الملك، وزير حازم عالي الهمّة، أصله من نواحي "طوس" له منشورات بعنوان "أمالي نظام الملك" في الحديث ط. المرجع السابق، ج٢، ص ٢٠٢.

(٥) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٢.

ورثى أحمد بن يوسف[١]، الأمير يلبغا بقوله:

ألا إنّما الدنّيا غرور وباطل

فطوبى لمن كفاه منها تفرّغا

وما عجبي إلاّ لمن بات واثقاً

بأيّام دهر ما وعى حقّ يلبغا[٢]

وقال المتنبي في مرثيّته لأبي الشّجاع فاتك[٣] لروم:

الحزنُ يقلق والتجمّل يُردعُ

والدّمعُ بينهما عصيّ طيّعٌ

يتنازعان دموع عين مسهّدٍ

هذا يجيئُ بها وهذا يرجعُ

النوم بعد أبي الشّجاع نافرُ

واللّيلُ مضني والكواكب ظُلّعُ[٤].

عندما يكون الرثاء للملوك أو الوزراء أو الأمراء تُحسّ ببعد العاطفة الصادقة، وأحياناً اختفاءها من بعض الأبيات، فإذا ما وازنّا بين الشعراء الثلاثة نجد أن مُقاتل شبّه فقيده باللؤلؤة اليتيمة التي صاغها الله في شرف، وتلاعبت بها الأيّام، ولم تعرف قيمتها، فساوتها بالصّدف، فهذا التشبيه لا حِسٌ فيه ولا جمال وأمّا الشاعر الثّاني أحمد بن يوسف في مرثيّته للأمير يلبغا نجده ينطق بالحكمة والعبرة أكثر منها مرثاة وشجي، فالدّنيا هي غرور وباطل، ويتعجّب في الذي يسعى لها دون أن يدرك ما يحدث للأمير. وكّنى عن

(١) هو: أحمد بن يوسف الكاتب بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء المعروف بالكاتب، وزير كبار الكتّاب، ولى (ديوان الرسائل). الأعلام، ج١، ص ٢٧٢.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٢.

(٣) هو: فنا خسرو الملقّب بعضد الدولة بن الحسن، الملقب بركن الدولة بن بويه، الديلمي (أبو الشجاع) تولى ملك فارس وملك الموصل، وبلاد الجزيرة، صنّف له أبو علي الفارسي "الإيضاح"، كما صنّف له أبو إسحاق الصابي كتاب "الناجي". الأعلام، ج٣، ص ١٨٣.

(٤) ديوان المتنبي، دار الجيل، بيروت، ص ٤٩١.

للموت. وأمّا المتنبي فهناك تنازع في عواطفه، بين الحزن والصبر، فصار دمعه طيعاً وفارقه النّوم، وشاركه هذا الحزن، الأرض والكواكب الطلّع.

والنّساء أشجى النّاس قلوباً وحزناً عند المصائب، وأشدّهم تأثيراً عند موت الأعزّاء، لما في تركيبة المرأة من ضعف واضطراب العاطفة، فهناك العديد من الشاعرات اللائي طرقن هذا النوع من الشّعر. فكان لمصائب الخنساء[١] بأخويها أثر فاد على حياتها، فعاشت حزينة تقول شعر الرثاء فيهما حتّى وفاتها، ويعدّ شعرها أصفى الشّعر الجاهلي وأسلمه من النّحل[٢].

"ولقد قدّر الأقدمون شعر الخنساء قدره، ويكاد يجمع مؤرخو الأدب على أنّ جميع من قالوا الرثاء بعد الخنساء قد تأثّروا بها، لما في شعرها من عمق في العاطفة وصدق في التفجّع"[٣]. حيث قالت في رثاء أخيها صخر:

وإنّ صخراً لوالينا وسيدنا

وإنّ صخراً إذا نشتوا لنحّارُ

و إنّ صخراً لمقدام إذا ركبوا

وإنّ صخراً إذا جاعوا لعقّارُ

و إنّ صخراً لتأتّم الهداة به

كأنّه علم في رأسه نـارُ[٤].

الإلحاح العاطفي وتكرار الألفاظ، وخاصّة تكرارها (صخراً) يبيّن مدى حزنها على أخيها. كما يظهر حسّها المفجوع، ويدلّ التكرار كذلك على توكيد وإثبات كلّ الصفات الجميلة لأخيها صخراً.

---

(١) هي: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحيّة السلميّة، من بني سليم من قيس بن غيلان من مضر من أهل نجد، من أشهر نساء العرب، أدركت الإسلام، لها أربعة بنين شهدوا القادسيّة واستشهدوا فيها. الشعر والشّعراء، ج١، ص ٢٠٦. والأعلام، ج٢، ص ٨٦.

(٢) شرح ديوان الخنساء، دار مكتبة، الحياة، بيروت، ص ٨.

(٣) المرجع السابق، ص٨.

(٤) المرجع السابق، ص٤٨-٤٩.

وقال سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه للخنساء: أخبريني بأفضل بيت قلته في أخيك، فقالت:

وكنت أعير الدّمع قبلك من بكى

فأنت على من مات بعدك شاغِلُهْ[١].

أرى في بيت الخنساء بلاغة في التعبير وإصابة في المعنى، حيث أنّها كانت تعير دموعها لأصحاب المصائب لعدم حاجتها لها، ولكن بعد موت أخيها تحتاجها، وهو شغلها الشاغل. كما رثت جليلة بن مرّة[٢] زوجها كليباً، حين قتله أخوها جسّاس، بقولها:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا تعـ	جلي باللّوم حتى تسألـي
فإذا أنت تبينت التى عنـــد	ها اللوم فلومي واعذلـي
أن تكن أخت امرئ لميت على	جزع منها عليه فأفعلـي
إنّي قاتلة مقتول فلـــ	عل الله أن يرتاح لـي
يا قتيلاً قوّض الدهر بـــه	سقف بيتي جميعاً من علٍ
هدم البيت الذي استحدثتـهُ	وسعى في هدم بيتي الأوّلِ
ليس من يبكي ليومين كمن	إنما يبكي ليوم ينجلي
درك الثأر شافية وفـي	دركي ثأري ثكل المثكّل
ليته كان دمي فاحتلبـوا	درراً منه دمي من أكحلي[٣].

كانت مصيبة جليلة عظيمة، وذلك في فقدها زوجها الذي قتله أخوها، ومصيبة أخرى تنتظرها، وهي أخذ الثأر منه، فيجب أن تخفف عنها اللّوم تلك التي تلومها، فإنّها أصبحت قاتلة مقتولة، وقضم ظهرها وهدم بيتها الذي شيدته وسوف يهدم بيتها الأول، وهو بيت أبيها. فتمنّت لو تفدي أخيها حتّى لو احتلبوا دمها.

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٢. ولم أعثر على هذا البيت في ديوان الخنساء.

(٢) هي: جليلة بنت مرّة (٨٠هـ- ٤٠١٥م) الشيبانيّة شاعرة فصيحة، من ذوات الشأن في الجاهلّية، وهي أخت جسّاس – قاتل كليب- وكانت زوجة كليب. الأعلام، ج٢، ص ١٣٣.

(٣) العمدة، ج٢، ص ١٥٣-١٥٤.

الأبيات السابقة مليئة بالعاطفة الحزينة التي نلمس من خلالها أصالة العرب ورقـــي مستوى المرأة المتألمة.

وقالت ريطة بنت عاصم(1):

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي

على رزئهن الباكيات الحواسرُ

غدو كسيوف الهند ورأ حومة (2)

بدار المنايا والقنا متشاجرُ

ولو أنّ سلمى نالها مثل رزئنا

لهدّت ولكن محمل الرزء عامرُ(3).

تقول الشّاعرة: إنّ الديّار أبكتها، فهي حزينة على المصائب التي حلّت بأهل الديّار، مشبهة لهم بسيوف الهند القوية يذودون عن الموت، ووصفت فرسان قبيلتهـا بالشّـجاعة، صانوا حريمهم وحافظوا عليهنّ بالقنا، وإنّ ما تحملوه من مصائب لو حلّت بغيـرهم لمـا صبروا عليها.

بجانب التشبيه استخدمت الشاعرة الاستعارة، وذلك عنـدما جعلـت للمنايـا داراَ، وتشاجر القنا.

ليست النساء وحدهن من يشجون ويرثين الأحباب، كـذلك نجـد أنّ الكثيـر مـن الأزواج اللّذين بكوا نسائهم، وتذّكروا الأيام التي جمعتهم. ولا شكّ أنّ الشعور فـي تلـك اللّحظة يكون صادقاً ومعبراً.

فنجد جريراً قد رثى زوجته أم حرزة، قائلاً:

---

(1) هي: ريطة بنت عاصم، شاعرة مقلّة من شواعر العرب في الجاهلّية، ويتّضح من شعرها أنّ قبيلتها هي قبيلة عامر، وقد رثت قومها؛ لما أصابهم في يوم من أيّام العرب، أعلام النساء، تأليف عمر رضا كحالة، ط١٠، ١٤١٢هـــ- ١٩٩١م، مؤسسة الرسالة، بيروت،ج١، ص ٤٧٧.

(2)موقع في المعركة يشتد فيه الطعن .

(3)المستطرف ، ج٢ ، ص ٣٤٠ .

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ

ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولهتي قلبي إذ علتي كبرة

وذو التمائم من بنيك صغارُ

لا يلبث الأحباب أن يتفرقوا

ليـــل يكرُّ عليهم ونهـــار

كانت إذا هجر الحبيبُ فراشها

حزن الحديث وعفّت الأسرارُ[1].

يقول: لولا الخجل لأنهمرت دموعي، ولزرت قبرك؛ لأنّ الحبيب يـــزور حبيبـــه، وصار قلبي بعد فراقك ولهان، وإنّ الكِبرَ قد حال بيني وبين دموعي أن تنهمر، وأطفالـــك ما زالوا صغاراً في حاجة إليك. كما يصفها بالعفّة، وحفظ أسرار زوجها حتّى إذا غـــاب عنها ونأى.

نلمس الحزن في أبيات الشاعر، إذ فقد زوجه وأمّ عيّاله، واستخدم في التعبير عـــن ذلك أسلوب البيان المتمثّل في الكناية، وقوله: "ذوو التمائم" كناية عن صغر سنّهم وقولـــه: "لهف قلبي" كناية عن شدّة تعلقه بها وشوقه لها. كما استخدم الاستعارة في قوله: "علتنـــي كبره" و " حزن الحديث" و "عفّت الأسرار".

وأشدّ ما يكون الحزن في رثاء الأبناء؛ لأنّهم الأقرب للنفوس؛ وتعلقهم بها لحداثـــة سنهم وحلاوة صفاتهم وصفاء نفوسهم، ويمثل هذا النّوع محمّد بن عبد الله العتبي[2] فـــي رثائه ابنه، قائلاَ:

أضحت بخدي للدموع رسوم

أسفاً عليك وفي الفؤاد كلوم

---

(١) ديوان جرير بشرح محمد حبيب، تحقيق د/ نعمان محمّد أمين، دار المعارف، مصر، ص ٨٦٢، ٨٦٤-٨٦٥.

(٢) هو: أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان الأمويّ البصريّ، المعروف بالعتبي أديب وشاعر، له من الكتب: "الخليل والأعاريب" أشعار النساء". معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٧٩. وشذرات الذهب ج١، ص ١١٤.

والصبر يحمد في المواطن كلّها

إلاّ عليــك فإنّه مذمــوم[1].

وقال ابن الرومي[2] في قصيدة يرثي فيها ابنه الأوسط، والتي في مطلعها يخاطــب عينيه:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي

فجودا فقد أودي نظيركما عندي

توخّي حِمامُ الموت أوسط صبيتي

فلله كيف اختار واسطة العقدِ

طواه الردى عني فأضحى مزاره

بعيداً عن قُربٍ قريباً عن بعدِ

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها

وأخلفت الآمال ما كان من وعدِ

وأنت وإن أُفردت في دار وحشةٍ

فاني بدارِ الأنسِ في وحشةِ الفردِ[3].

وقال آخر يرثي ابنه:

كنت السواد لمقلتي

يبكي عليك النّاظرُ

من شاء بعدك فليمت

فعليك كنت أحاذرُ[4].

---

(١) المستطرف، ج٢، ص٣٠٤.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، وقيل بن جورجيس، المعروف بابن الرومي، مولي عبد الله بن عيســى بــن جعفر المنصور، وله قصائد مطوّله، وله ديوان شعر– ط. شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٥٨. والأعلام، ج٤، ص ٢٩٧.

(٣) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الأمير على مهنّا، (١٤١١هــ– ١٩٩١)، منشورات دار مكتبة الهلال، ج٢، ص ١٤٥–١٤٦.

(٤) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٢.

إذا ما وازنّا بين أبيات الشّعراء الثلاثة في مدى حزنهم لفقدهم لأبنائهم نجد أن ابن الرومي كان أكثرهم إصابة للمعنى وأصدقهم عاطفة؛ وذلك عندما طلب من عينيه أن تعيناه على البكاء، وذكر القبر وجعله داراً لابنه.ومن شعر الرثاء الذي اختاره المؤلف في رثاء الأصدقاء، قول أحدهم في رثاء صديقا له من الكرماء :

ما درى نعشه ولا حاملوه

ما على النّعش من عفافٍ وجودٍ(١).

وصفه بالجود والكرم، مستخدماً أسلوب الكناية.

ورثى أبو العلاء المعري(٢) صديقه أبا الخطّاب الجبليّ(٣)- وكان أديباً وفقيهاً ومات شاباً- فقال فيه:

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوُح باك ولا ترنم شادِ
وشبيه صوت النأي إذا قيـ س بصوت البشير في كلّ نادِ
أبكت تلكم الحمام أم غنـ نت على فرعٍ غُصنها الميّادِ
خفّف الوطء ما أظنّ أديم الأ رض من هذه الأجسادِ
تعبٌ كلّها الحياة فما أعـ سجب إلاّ من راغبٍ في ازديادِ(٤).

نظرة المعرّي للموت تختلف عن غيره، فلم يره في صورته الضيّقة شيئاً مكرراً على النّاس؛ بل هناك فلسفة واضحة في أبياته، إذ لا فرق عنده في سماع صوت البشير المترنّم أو نوح النأي، ولا تغريد الحمام أو بكاؤه، ويجب على السائرين في الأرض أن يخففوا

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٤.

(٢) هو: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داؤود بن المطهّر، له التصانيف المعروفة المشهورة والرسائل، وله من النظم "لزوم ما لا يلزم" من خمسة أجزاء، و "سقط الزند" توفي سنة (٤٤٩هـ). شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٨٠-٢٨٢. والأعلام، ج١، ص ١٥٧.

(٣) هو: محمد بن علي بن إبراهيم، أبو الخطاب، الشاعر المعروف بالجُبلّي، نسبة إلى "جبُل"، توفي سنة (٤٣٩هـ). وفيات الأعيان، ج٧، ص ٢٤٨.

(٤) سقط الزند، لأبي العلاء المعري، تحقيقد/ السعيد السيّد عبادة، ط١، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، معهد المخطوطات العربيّة، ص ٣٨٩-٣٩٢.

الوطء، لأنّ هذا الثرى ما هو إلاّ من رفات الأجساد، كما ذكر متاعب الحيـــاة، وتعجّـــب فيمن يرغب في الازدياد منها.

ولأشجع السلمي[1]، في الرثاء:

وما كنت ادري ما فواضل كفّه
على الناس حتّى غيبته الصفائحُ
وأصبح في لحد من الأرض ميتاً
وكان حيّاً تضيق به الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تفض
فحسبك منّي ما تكنّ الجوانحُ
وما أنا من رزء وان جلّ جازع
ولا بسرور بعد فقدك فارحُ
لئن حسنت فيك المراثي بذكرها
فقد حسنت من قبل فيك المدائحُ[2]

هذا الرثاء أقرب ما يكون مدحاً، وصفه بالكرم، وقطع على نفسه وعداً بأنه سيبكيه ما بقى حيّاً، فإذا نضبت مقلتيه، بكته الجوانح. فإذا أحسنت فيك المراثي، فليس هذا بالغريب؛ لأنه قد حسنت فيك قبل ذلك المدائح.

وقال العبّاس بن الأحنف[3]:

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكاء
أجاب البكاء طوعاً ولم يجب الصبرُ

(١) هو: أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي، من بني سليم، من قيس غيلان، كان معاصراً لبشار، ولد ونشأ فـــي البصـــرة، وانتقل إلى الرقّة واستقرّ في بغداد، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى، فقرّبه الرشيد. الأعلام، ج١، ص ٣٢١.

(٢) المستطرف، ج١، ص٣٠٢.

(٣) هو: أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي، شاعر غزل رقيق، قال عنه البحتري: انه أغزل الناس، وأصـــله من اليمامة في نجد، ونشأ ببغداد، وتوفّي بها سنة (١٩٢هـ– ٨٠٨م) خالف الشعراء في طريقتهم، فلم يمدح ولم يهـــج، بل كان شعره غزلاً وتشبيهاً. شذرات الذهب، ج١، ص ١٣٤– ١٣٦. والأعلام، ج٣، ص ٢٥٩.

فإن ينقطع منك البكاء فانه

سيبقى عليك الحزن ما بقى الدّهر[١]

لشدة حزن الشاعر وجزعه بمن فقد دعا الصبر والبكاء لعيناه، فأجابه البكاء ولم يجيبه الصبر. شخص الصبر والبكاء على سبيل الاستعارة المكنيّة، واستخدم الكناية في قولـــه: "سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر" كناية عن شدة الحزن.

وقال الفقيه منصور بن إسماعيل المصري[٢]:

سالت رسوم القبر عمّن ثوى به

لأعلم ما لاقى فقالت جوانبه

أتسأل عمّن عاش بعد وفاته

بإحسانه إخوانه وأقاربـــه[٣]

عبّر الشاعر عن حزنه باستخدامه للاستفهام الإنكاري في البيت الثاني، في استمرارية الإحسان والعطاء حتّى بعد الموت.

وقال الصدفي[٤]:

يا غائباً في الثرى تُبلى محاسنه

لله يوليك غفراناً وإحساناً

إن كنت جرعت كأس الموت واحدة

في كلّ يوم أذوق الكأس ألواناً[٥]

---

(١) ديوان العباس بن الأحنف، دار صادر، ١٩٦٥م، بيروت، ص ١٦١. والمستطرف، ج٢، ص ٣٠٢.

(٢) هو: أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي، الضرير، المصري الشافعي، فقيه، أديب، شاعر، مشـــارك فـــي علوم كثيرة، أصله من رأس العين بالجزيرة، من مضنّفاته: الهداية وزاد المسافر والواجب، توفي ســـنة (٣٦٠هـــ – ٩١٨م). الأعلام، ج٢، ص ٩١٣.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ٣٧٠.

(٤)هو: عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، ولد سنة (٢٨١هــ– ٤٩٤م) مؤرخ، محدّث، نسبته إلى "الصدف"، قبيلـــة حميريّة نزلت مصر، له تاريخان أحدهما كبير، "في مصر ورجالها". والثاني صغير في "ذكر الغرباء الـــواردين علـــى مصر" الأعلام، ج٣، ص ٢٩٤.

(٥) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٤.

يناديه متحسراً أنت الذي غُيبت في الثرى وبليت محاسنك، فانك قد تجرعت الموت مرّة واحدة، ولكنّني أذوقه في كلّ يوم ألواناً منه.

ولبعض الكتاب في ابن مقلة[1]:

استشعر الكتّاب فقدك سالفاً
وقضت بصحّة ذلك الأقلامُ
فلذلك سودّت الدواة كآبة
أسفاً عليك وشُقّت الأقلامُ[2]

ابن مقلة كان كاتباً فرثاه بعضهم بقوله: فقدك الكتّاب منذ أن كنت طريحاً في الفراش، وطال بعدك بعد موتك، صوّر حزنه باستخدامه لحسن التعليل، حيث أنكر سواد الدواة وانشقاق الأقلام، وعلّل على ذلك بالحزن على ابن مقلة.

وقال الحسين بن مطير الأسدي، يرثي معن بن زائدة -رحمة الله عليه-:

هلمّا إلى معن وقولا لغبره
سقتك الغوادي مربعا ثمّ مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خطّت للسماحة موضعا
ويا قبر معن كيف ورأيت جودهُ
وقد كان منه البرّ والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميّت
ولو كان حيّاً ضقت حتّى تصدّعا
فتى عاش في معروفه بعد موته
أُناس لهم بالبرّ قد كان أوسعا

---

(١) هو: أبو علي محمد بن علي بن مقلة، أديب، شاعر حسن الخطّ، من وزراء، ولد في بغداد وولي جباية الخراج، واستوزره المقتدر العباسي، ثمّ غضب عليه ونفاه إلى فارس وتوفي سنة (٣٢٨هـ- ٩٤٠م). الأعلام، ج٥، ص ٣٤.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٣٧١.

ولما مضى معن مضى الجود كله

وأصبح عرنين المكارم أجدعا[1].

بما أنّ الدافع من الرثاء عاطفة إنسانية مبعثها الحزن والأسى، نجد أن الأبيات التى اختارها المؤلف جاءت دون مقدمات غزلية أو تعدد في الأغراض الشّعرية .

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٣٠٤. وتروى هذه الأبيات لمروان بن أبي حفص في ديوانه:

فيا قبر معن كيف كنت أوّل حفرة

من الأرض خطّت للسماحة مضجعا

كما نفى أشرف أحمد عرعره الذي شرح ديوان مروان بن أبي حفص نسبة هذه الأبيات إلى ديوانه. (ديوان مروان بن أبي حفص)، تحقيق اشرف أحمد عرعره، ص ١٣٥. كما وردت نسبة الأبيات السابقة للحسين بن مطير في وفيات الأعيان عند ترجمة معن ذائدة. وفيات الأعيان، لأبن خلكان، ج٤، ص ٤٦٢-٤٦٣. وصاحب العمدة يقول الأبيات لمروان بن أبي حفص. العمدة، ابن رشيق، ج٤، ص ١٤٨. ونسبها الجاحظ في البيان والتبيين للحسين بن مطير، ج٤، ص ٨٤.

المبحث الرابع

الهجاء

الهجاء في اللّغة: "هجا، هجاه، يهجوه هجواً. وتهاجاء (ممدود) شتمهُ بالشّعر، وهو خلاف المدح"(١).

و "الهجاء خلاف المدح. وقد هجوته هجواً وهجاء وتهاجاء، والمرأة تهجو زوجها، أي تذمّ صُحبته"(٢).

والهجاء في الاصطلاح: هو تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه، أو جماعة تنتقم منها. والشّاعر الهاجي ينفس بأهاجيه عمّا يعتلج في صدره من ضغائن وأحقاد، ولذلك كان الهجاء سلاحاً من أسلحة القتال يضعف به الشاعر معنوية خصومه والبحث عن معايبهم"(٣).

وقد برع الشعراء في فن الهجاء من حيث البلاغة والفصاحة، فعرضوا للأنساب والأحساب والأعراض والأخلاق وصوّروها خيال صادق أو كاذب، لا يبالون بما يعترض سبيلهم من سمعة تتحطّم أو كرامة تتهشّم، أو نسب ينهار، أو عرض يفضح، فقد كان الهدف النصر على الخصم ليس غير، يتناولونه من نواحيه، فيبرزونه في شكل مخذٍ ويضعونه موضع السخرية والحِطّة والضِعّة، فإذا بلغوا من ذلك ما يريدون انتصر هجاؤهم وظهروا على عدوّهم واشتهروا بين الأقوام، وارتفعوا إلى ذروة الأدب"(٤).

وقد عرّف الإبشيهي الهجاء بقوله: "القصد من الهجاء الوقوف على ملحة وما فيه من ألفاظ فصيحة، ومعان بديعة، لا التشفّي بالأعراض والوقوع فيها، وليس هو دليلاً على إساءة المهجو، ولا صدق الشاعر فبما رماه، فما كلّ مذموم بذميم، وقد يهجي الإنسان

---

(١) لسان العرب، مادة (هجو) .

(٢) الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، مصر، مادة (هجو) .

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٣٩.

(٤) الهجاء، تحقيق لجنة من أدباء الأقطار العربية، ١٩٦٠م، دار المعارف، القاهرة، ص ١١.

بهتاناً وظلماً، أو عبثاً وإرهاباً، ورضي الله تعالى عن شخص يمدحه فقال: (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[1]، وغضب على آخر فقال: (مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ*عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ)[2].

إن الله تعالى مدح المؤمنين ورفعهم درجات، وأمّا من سخط عليهم فذمّهم لذلك شجع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ودفعهم إلى الدخول في هذه الحرب الكلامية الجديدة دفاعاً عن المبادئ السامية والدين الحنيف، فاجتمع حوله رجال حموه. ومنهم الذّين دافعوا عنه بألسنتهم، فالشاعر الذّي يمثّل الهجاء في ذلك العصر هو حسّان بن ثابت الأنصاري، له قصيدة يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلّم، ويهجو أبا سفيان[3]، فيقول:

هجوت محمّداً فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولست له بكفؤ

فشرّكما لخيركما الفداءُ

هجوت برّاً حنيفاً

أمين الله شيمته الوفاءُ

فمن يهجو رسول الله منكم

ويمدحه وينصره سواءُ

فإنّ أبي ووالده وعرضي

لعرض محمّد منكم وقاءُ[4].

في هذه الأبيات يظهر حبّ الشّاعر للرسول ﷺ، وإخلاصه ووفائه له، حيث يضع كلّ شيء فداء له، فيعدد ما يملك من والد وولد وعرض وكلّ هذا وقاء للرسول صلى عليه

(١) سورة ص ، الآية (٣٠) .

(٢) سورة القلم ،الآيتان (١٢) و(١٣) .

(٣) هو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش وقائدهم له هنّات صعبة، ولكن أدرك الإسلام توفى بالمدينة سنة (٣١هـ). سير أعلام النبلاء، ص ١٠٥.

(٤) ديوان حسّان، ج١، ص ١٧-١٨.

وسلّم، ويسخر من أبي سفيان في قوله: من يمدح رسول الله منك أو يهجوه سواء، فلا أجر ولا ثواب.

ولم يخلُ الهجاء من التعرّض للمرأة، "فقد تناول الشعراء المرأة بألسنتهم ليضعوا من قدرها وقدر أسرتها، فيصفونها بأسوأ الأوصاف، ويبلغون بذلك مبلغاً بعيداً لا تستسيغه الأذواق السليمة، ويصورون انحطاط عفّتها بالحقّ أو بالباطل، سواء أكانت زوجاً أم أمّاً أم شقيقة"(١).

فيقول جرير في نساء بني تغلب – قبيلة الأخطل-:

نسوان تغلب لا حلم ولا حسب
ولا جمال ولا دين ولا خفر(٢).

وهنا جردهن من العقل والدين والجمال والحياء الذي تتزّين به المرأة فلا عفّة ولا شرف.

ومن ذلك هجاء الحطيئة لأمّه قائلاً:

تنحّي فاجلسي عنّا بعيداً
أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً
وكانوناً على المتحدّثينا
حياتك ما علمت حياة
وموتك قد يسرّ الصالحينا(٣).

أيّ هجاء أشدّ من ذلك؟ يصف فيه الشاعر أُمّه بأقبح الصفات وإنّها غربالاً لا تحفظ سراً، وناراً تصلي من يقترب منها، وإنّ موتها راحة للعالمين، مستخدماً أسلوب البيان المتمثل في التشبيه لتقريب الصورة وتقريب الشبه.

---

(١) الهجاء، ص ١٢.

(٢) شرح ديوان جرير، تحقيق محمّد إسماعيل عبد الله الصاوي، ١٩٦٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٢٦٣.

(٣) ديوان الحطيئة، ص ٢٧٧. والمستطرف، ج٢، ص ٣٠٨.

نجد أنّ طبيعة الحطيئة فظّة غليظة، وشخصيته معقّدة، لا تلمس بداخلــه الإحســاس بالعاطفة تجاه الأم، ممّا دفعه لذلك الهجاء. هجا بعضهم امرأة بقوله:

لها جسم برغوث وساق بعوضة

ووجه كوجه القرد بل هو أقبح

تبرق عينيها إذا ما رأيتها

وتعبس في وجه الضجيع وتكلح

له منظر كالنّار تحسب أنها

إذا ضحكت في وجه الناس تلفح

إذا عاين الشيّطان صورة وجهها

تعوّذ منها حين يمسّي ويصبح[1].

لم يترك شيئاً قبيحاً إلاّ وشبّهه بها، كالبرغوث جسمها، وساقها ساق الباعوض، وأقبح ما يكون وجهها الذي يشبه وجه القرد، تعبس في وجه الضجيع وتلسع مثل جهنّم، يبالغ في وصفها بالقبح وبلغ حد المبالغة في ذلك بأن الشيّطان إذا نظر إليها تعوّذ منها حين يمســي ويصبح. وأبو نواس لا يكاد يقصّر في تناول الأخت، فيقول:

نيلت بأدنى المهور أختهم

قسراً ولم يدمُ أنف خاطبها[2].

يصوّر الأخت رخيصة بيعت بمهر بخس أو بدراهم معدودات؛ لأنّ ما فيها لا يشــرّف خاطبها، كناية عن وضاعة النسب، وعدم العفّة.

"رأينا أنّ هدف الهجاء هو الحطّ من قدر المهجو في غالب الأحيان، وذلك بأن يجعله الشاعر ضحكة وتفكهه للناس، فيصوّره بصورة مزرية وساخرة، صادقة أو كاذبة تغربه من الدمامة وتلفت النظر إليه، وتثير الضحكات لتخيله سواء أكان ذلك رجلاً أو امرأة"[3].

---

(١) المستطرف، ج١، ص٣١٢.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ٨٩.

(٣) الهجاء، ص٢٥.

فقال جرير يهجو أمّ الأخطل، ويصوّر منخريها:

غليظة جلد المنخرين مُصنة

على أنف خنزير يشدّ نقابها[١].

ولبعضهم في عظيم أنف:

لك وجه وفيه قطعة أنف

كجدار قد دعّموه ببغلة[٢].

وقال آخر:

رأينا للزركلي جدار انف

يضاهي في تشامخه الجبالا

تصدّى للهلال لكي يراه

فلولا عظمه لرأى الهلالا[٣].

بين الشعراء الثلاثة نجد أنّ هجاء جرير لأم الأخطل هو الأشدّ سخرية وبشاعة، حيث رسم جلد منخريها في غلظة، ولها أنفاً كالخنزير قد شدّ عليه النّقاب، فليس في النظر إلى وجهها جمال، أو دلال أو نشوة، وإنّما بشاعة تفوق الخنزير من القدر الوضيع والحرمة.

وقال زياد الأعجم[٤] في احتقار واستخفاف مهجويه:

أأنتم أولى جئتم مع النمل والدّبا

فطاروا وهذا شيخكم غير طائر

---

(١) شرح ديوان جرير، ص ٥٣.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣١٢.

(٣) المصدر السابق، ج١، ٣١٣.

(٤) هو: ابن عبد القيس، أبو أمامة العبدي، المعروف بزياد الأعجم، مولى عبد القيس، قيل له الأعجم للكنة كانت فيه، أدرك أبا موسى الأشعري، وعثمان بن أبي العاص، عدّه ابن سلاّم في الطبقة السادسة من الشعراء، معجم الأدباء، ج٣، ص ٣٥٢.

قضى الله خلق النّاس ثمّ خلقتم

بقيّة خلــق الله آخــر آخــر[1].

بلغ الشاعر حداً بعيداً في هجائهم، وتقليل شأنهم، فشبههم بصغار الجراد والنّمل، وسخر من شيخهم، وأنّ الله تعالى قد أخّر خلقهم وتكوينهم.

وهجا حمّاد عجرد[2] بشاراً، فقال:

ويا أقبـــح مـــن قـــرد

إذا مـــا عمي القـــرد[3]

إذ جعل منظره أقبح من القرد الأعمى.

وكذلك قال بشار عندما قعد حماد لتأديب ولد الأمين[4]:

قل للأمين جزاك الله صالحة

لا يجمع الله بين السخلِ والذئبِ

السّخل يعلم أنّ الذئب آكله

والذئب يعلم ما بالسّخل من طيبِ[5].

وقال بشّار محذراً ولد العبّاس، لا تجتمع مع الذئب؛ لأنّ نيّة الذئب الفتك والافتــراس، فرمى بشّار حمّاد بسوء الأخلاق، والشذوذ، ويعدّ ذلك غاية الإقذاع.

هجا حسّان بن ثابت بني عبد المدان، الذين بارك الله لهم بســعة الصّــدور، وطــول الأجسّام وغلظها، فكانوا يفتخرون بذلك، على غيّة، حتّى كسفهم حسّان بقوله:

---

(١) العمدة، ج٢، ص ١٩٢.

(٢) هو: حمّاد بن عمر، من أهل الكوفة، مولى بني سواءة بني عامر بن صعصعة، وكان معلّماً وشــاعراً محســناً. الشــعر والشعراء، ج٢، ص ٧٧٩. ومعجم الأدباء، ج٣، ص ١١٩٦.

(٣) الأغاني،لأبي الفرج الأصفهاني، ج١٣، ص٣٣٣. والمستطرف، ج١، ص٣٠٨.

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن الرشيد، كان وليّ عهد أبيه، فولّي الخلافة بعده، وكان من أحسن الشباب صورة، وله فصاحة وبلاغة. تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٧.

(٥) ديوان بشّار، شرح حسين حموي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الجيل، بيروت، ج١، ص ١٠٧. والمستطرف، ج١، ص ٣٠٨.

لا بأس بالقّوم من طول ومن غلظ

جسم البغال وأحلام العصافيرِ[1].

ومنهم من هجا نفسه عاتباً، فإنّ الحطيئة همّ بهجاء ولم يجد من يستحقّه، فقال:

أبت شفتاي إلاّ تكلّما بسوء

فلا أدري لمن أنا قائِلُـــهْ

أرى لي وجهاً قبّح الله خلقه

فقبّح من وجه وقبّح حاملُهْ[2].

وقال أبو دلامة[3]. يهجو نفسه:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة

فلست من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة قلت قرداً

وخنزيراً إذا نـــزع العمامة[4].

كلا من الشاعرين الحطيئة وأبو دلامة هجا نفسه، وأظهر السّخرية والفكاهة، واشتركا في التشّبيه بالقرد، لما في ذلك من قبح المنظر، وإنّ أبا دلامة زاد عليه بالخنزير، وذلـــك عندما ينزع العمامة عنه.

وقال آخر في الهجاء:

إذا رمت هجواً في بلان تصدّني

خلائق قبح عنه لا تتزحزحُ

---

(١) ديوان حسّان، ص ٢١٤.

(٢) ديوان الحطيئة، من رواية بن حبيب عم ابن الأعرابي، أبي عمرو الشيباني، شرح ابن السكيت، ١٩٥٦م، بيـــروت، ص ٢٥٧. والمستطرف، ج١، ص ٣٤٨.

(٣) هو: زند الجون، مولى بني أسد كان منقطعاً إلى أبي العباس السفاح، وكان يستحسن شعره. معجـــم الأدبـــاء، ج٣، ص ١٣٢٧. والشعر والشعراء، ج٢، ٧٧٦. والأعلام، ج٣، ص ٤٩.

(٤) المستطرف، ج١، ص ٣٠٩.

تجاوز قدر الهجو حتّى كأنه

بأقبح ما يهجى به المرء يمدحُ(١).

في رأي الشاعر إنّ هذا البلان قد فاق حدّ الهجو حتّى أنّ كلّ قبيح فيه هو مدح له.

ولصفي الدين الحلّي، في أحمق طويل اللّسان:

لو أنّ قوّة وجهه في قلبه

قنص الأسود وأنفذ الأموالا(٢).

"وقد كانت صور الهجاء مستمّدة من البيئة الجاهلية، ومن العرف السائد والمثل التي تعارف عليّها، فالكرم مفخرة لدى العرب، والبخل أقسى ما يُهجى به المرء"(٣) ومن ذلك قول الأعشى(٤):

تبيتون في المشي ملأ بطونكم

وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا(٥).

قال: إنهم ينامون ملأ البطون وجاراتهم ساغبات يتضوّرن جوعاً، في هذا الهجاء شدّة وقساوة.

ولكن ابن الرومي يهجو البخيل في صورة فنيّة جميلة، لا نجد محيداً عن روايتها، حيث رسم له صورة رائعة من البخل، وجعل يقتر بالتنفس، ولشدّة تعوده على البخل، صارت أعضاؤه شحيحة كلّها، فصار يتنفس من منخر واحد لا يجود بالهواء، فقال فيه:

يقتّر عيسى على نفسه

وليس بباق ولا خالد

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٣١٢.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣١٣. ولم أعثر على البيت في ديوان الشاعر.

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص١٠٢.

(٤) هو" أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن جندل، شاعر جاهلي. الشعر والشعراء، ج١، ص ١٧٨. والأعلام، ج٧، ص ٣٤١.

(٥) ديوان الأعشى، ١٩٦٦م، دار صادر، بيروت، ص١٠٢.

فلو يستطيع لتقتيره

تنفّس من منخر واحد[١].

وقال ابن الأعرابي[٢] إنّ أهجي بيت قاله المحدثون، قول محمد بن وهب:

لم تند كفّاك من بذل النوال كما

لم ينـــد سيفك مذ قلّدته بدم[٣].

جمع في هجائه صفة البخل، وكنى لذلك بقوله: "لم تند كفّاك ببذل" وصفة الجبن، كنّى لها بقوله: "لم يند سيفك بدم".

وللأخطل في هجاء قوم بالبخل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم

قالوا لأمّهم بولي على النار[٤].

البيت الأول أشدّ هجاءاً؛ لأنّه جمع ضروبا من الحط من قدر المهجو، وفيه امتهان لأمّهم وابتذالها.

ومنذ زمن بعيد حرص العربي على الانتماء إلى القبيلة والعصـــبية والاعتمـــاد علـــى أقرانه وأبناء عشيرته وأسرته، يدافع عنها ويخشى لها الأذى سواء كانت حروباً أو هجاءً يسير بين قبيلته بالسيرة السيّئة، وكان الرجل من نمير إذا قيل له ممّن؟ يقول: مـــن نميـــر وأمال بها عنقه، فلما هجاهم جرير بقوله:

فغض الطرف إنّك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً[٥]

صار إذا قيل لأحد: ممّن؟ يقول من بني عامر:

---

(١) ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقّاد، ط٢، ١٩٣٨م، القاهرة، ص٣٢١.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، كان مولى لبني هاشم؛ لأنّه من موالي العباس بن علي بن عبد الله ب العباس بن عبد المطلب. معجم الأدباء، ج٦، ص ٢٥٣٠، والأعلام، ج٧، ص ١٣٤.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٣٠٥.

(٤) ديوان الأخطل، ص ٣٧٠.

(٥) شرح ديوان جرير، ص ٧٥.

وأكثر قبيلة لاقت من الهجو ومرارته بقول جرير في هوان، تغلب:

لو أنّ تغلب جمّعت أحسابها

يوم التّفاضل لم تزن مثقالاً[1]

وقال الفرزدق لجرير:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ[2].

وقال بشر بن أبي خازم[3] يهجو أوس بن حارثة سيّد من سادات قبيلة بني لأم :

ألا أبلغ بني لأم رسولاً

فبئس محلّ راحلة الغريبِ

إذا عقدوا لجار أخفروه

كما غرّ الرّشا من الذنوبِ

وما أوس ولو سوّدتّموه

بمخشي العرام ولا أريبِ[4].

يقول: بلّغوا – أيها الرواة– هذه الرّسالة عنّي إلى قبيلة بني لأم، وقولوا لهم: إنكم بئس القوم لمن يلجأ إليكم من الغرباء، أو يحتمي بكم، فإنّكم قوم غدّارون لا توفون بـالمواثيق، وتقطعونها كانقطاع الحبل، فيهوي الدلو سريعاً، وإنّ أوساً سيدّكم لرجل ضعيف، ليس فيه قوّة الرّجال، ولا شراستهم، وإنّه غبّي لا يصلح للسيّادة.

وقال الفرزدق يهجو بني كليب:

ولو ترمي بلوم كليب

نجوم اللّيل ما وضحت لساري

---

(١) ديوان جرير، ص ٤٥٣.

(٢) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٥٣.

(٣) هو: بشر بن أبي خازم، من بني أسد، جاهلي شهد حرب أسد وطيّ، وشهد هو وابنه نوفل الحلف بينهما. الشعر والشعراء، ج١، ص٢٧٠. والأعلام، ج٢، ص ٥٤.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق، د. عزّة حسن، ١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م، دمشق، ص ٢٢.

ولو لبس النّهار بنو كليب

لدنّس لؤمهم وضـــح النهـــار

وما يغدو عزيزاً بني كليب

ليطلب حاجـــة إلاّ بجـــار[1].

يقول: إنّ بني كليب قد بلغوا من اللّوم مبلغاً كبيراً، فإذا رُمي بهم نجوم اللّيل لما أنارت للساري، وظلّت ظلاماً، وكذلك يُدنس لؤمهم النّهار، ولا يهنأ بجـــوارهم جـــار، ولا زوي حاجة.

ومن أخبث الهجاء ذلك الذّي شكّل المقارنة والمخايرة نجد قول الحطيئة في مدحـــه بغيضا وهجاءه للزبرقان بن بدر[2]، بقوله:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً

ذا فاقة عاش في مستوعر شاسِ

جار لقوم أطالوا هون منزله

وغادروه مقيماً بيـــن أرماسِ

ملّوا قراه وهرّته كلابهم

وجرّحـــوه بأنياب وأضـــراسِ

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعـــمُ الكاسي[3].

أبيات الشاعر أدت الغرض وذلك في إذلال المهجو ورميه بالالتفات عن الكرم والنبل، والمعروف عند العرب أنّ نسيان الجار يعدّ مذّلة، وفي إكرامه معزّة، فاســـتخدم الشـــاعر كلمة الكلاب التي تدفع الناس عن بيوتهم فيصبح ضيفهم جائعاً خائفاً غير آمن.

---

(١) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٥٣.

(٢) هو: الزبرقان بن بدر، التميمي السعدي، صحابي، قيل اسمه حصين، ولقّب الزبرقان، ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم صدقات قومه، كلن شاعراً فصيحاً شعره فيه جفاء، توفي سنة (٤٥هـ– ٦٦٥م). الإصابة في تمييز الصـــحابة، لابـــن حجر العسقلاني، تحقيق محمد علي البجاوي، ط١، ١٤١٢هـــ، دار الجيل، بيـــروت، ج٢، ص ٢٨٣. والأعـــلام، ج٣، ص ١٤١.

(٣) شرح ديوان الحطيئة، ص ٢٨١-٢٨٢.

وكذلك قوله مادحاً بني أنف الناقة، وهاجياً الزبرقان بن بدر:

ألم أُك جاركم فتركتموني

لكلبي في دياركم عواءُ

وآنيت العشاء إلى سهيل

أو الشعرى فطال بي الإناءُ

فلمّا كنت جاركم أبيتم

وشرّ مواطن الحسب الإباء

ولمّا كنت جارهم حبوني

وفيكم كان لو شئتم حباءُ(١).

يميّز بينهم بالكرم المتمثّل في حفاوته، وإيوائه له عند الحاجة، هؤلاء هم بنو أنف النّاقة، وهجاء الزبرقان بالبخل ووضاعة النّسب.

ومن التفضل في الهجاء، قول ربيعة بن عبد الرحمن الرّقي(٢):

لشتّان ما بين اليزيدين في النّدى

يزيــد سليم والاغرّ بن حاتمِ

فهمّ الفتى الأزديّ إتلاف ماله

وهمّ الفتى القيسيّ جمع الدّراهمِ

فلا يحسب التّمام أنّي هجوته

ولكنّني فضّلت أهل المكارمِ(٣).

يفضّل الشاعر في أبياته بين يزيد بن سليم ويمدحه بالكرم، أمّا الفتى القيســيّ فهجــاه بالبخل، والحرص على جمع الأموال.

---

(١) ديوان الحطيئة، ص ٩٨.

(٢) هو: أبو شيابة أو ثابت، بن ربيعة بن ثابت الأنصاريّ، كان ينزل الرّقة وبها ولد ونشأ، أشخصه المهدّي إليــه، فمدحــه بعدّة قصائد، وأثابه عليها مالاً كثيراً، وكان الرّشيد العباسي يأنس به، وله معه ملح كثيرة. طبقات الشعراء،ابن المعتــز، تحقيق عبد الستّار أحمد الفرّاخ، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م، دار المعارف، مصــر، ص١٥٧-١٧٠. معجــم الأدبــاء، ج٣، ص١٢-١٣. والأعلام ج٣، ص ١٦.

(٣) العمدة، ج٣، ص ١٧٣.

وقال زهير يهجو قوماً:

وما أدري وسوف إخال أدري

أقوام آل حصن أم نساءُ

فإذا تكُ النّساء مخبّئات

فحقّ لكلّ محصّنة هداءُ[١].

يقول: إنّ كانوا رجالاً فسيوفون بعهدهم، وإن كانوا نساءً فمن شأن النّساء الغدر، وقلة الوفاء، وإنّما يصلحن للزواج والتخبئة في الديار.

وليس في الهجاء أبعد من تناول الخلفاء والملوك، وتصوير شأنهم وقلّـة همّهـم فـي الحكم، واضطراب الوضع، وأعاب كذلك الشعراء على الخلفاء لهوهم وإضـاعة الملـك، فقال دعبل:

إنّي من القوم الذين همو همو

قتلوا أخيـك وشرّفوك بمقعدِ

شادوا لذكرك بعد طول خموله

واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ[٢].

حيث قال الأمين: لم يذاع لك صيت، ولم يشتهر إلاّ بعد موت أخيك فارتفع قدرك بعد أن كان في الحضيض الأوهد.

وللشريف أبي يعلى الهاشمي البغدادي[٣] في نظام الملك أبيات، يهدده بالهجاء، يقول:

أيجمل يا نظام الملك أنّي

أعاود من ذراك كما قدمت

وأصدر عن فعالك سوء حالي

بأفـواه السّقاة وما وردت

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٧٣-٧٤.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣٠٧.

(٣) هو: حمزة بن أحمد عليّ بن محمد بن علي بن العباس الحسيني الدمشقي، الشافعي، الشريف عزّ الدين، فقيه مؤرخ، من تصانيفه: "الإيضاح على تحرير التنبيه" و "طبقات في النحاة واللغويين" وغيرهما. معجم المؤلفين، ج١ ص ٦٥٤.

يدلّ على فعالك سوء حالي

ويخبر عن نوالك إن كتمت

إذا استخبرت ماذا نلت منه

وقد عمّ الورى كرماً سكتّ[١].

يعلم الشاعر بأنّ له سلاح يمكنه من الفتك بنظام الملك، وهو هجاؤه لــه، ولا شــيء يجعل الملك آمناً سوى إجزال العطاء للشاعر.

ومن الذين عرّضوا بالهجو في شعرهم، الخوارزمي[٢] الذي قال في أبي جعفر:

أبا جعفر لست بالمنصف

ومثلك إن قال قولاً يفي

فإن أنت أنجزت لي ما وعدّت

وإلاّ هجيت وأدخلت في

ولقد علم الناس ما بعد في

فقطّ الحديث ولا تكشف[٣]

يحذره بالوفاء بوعده وإلاّ فسوف يقوم يهجوه هجاءً يسير بين الناس، ويدلّ ذلك علــى ثقة الشاعر بنفسه في ما يمكنه لأبي جعفر وثقته بشعره.

ومدح السراج الورّاق[٤] إنساناً فلم يجزه،فكتب يعرّض له بالهجاء، ويهدده، بقوله:

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٣١١.

(٢) هو أبو سعيد، أحمد بن محمد بن علي بن نمير الخوارزمي، الشافعي الضرير من مشاهير وفضلاء خوارزم، وأدبائهــا وشعرائها، أحد أئمة المذاهب في بغداد، توفي سنة (٤٤٨هــ). معجم الأدباء، ج١، ص ٤٤٨. وسير أعــلام النــبلاء، ج١٨، ص ٨-٩.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٣١١-٣١٢.

(٤) هو: عمر بن محمد بن محمود بن حسن الورّاق، أكثر شعره في المواعظ والحكم، روى عنه ابن أبــي الــدنيا، وجمــع عدنان العبيدي بغداد ما وجد من شعره في ديوان، توفي سنة (٢٢٥هــ- ٨٤٠م). شــذرات الــذهب، ج٥، ص ٤٣١-٤٣٢. والأعلام، ج٥، ص٦٣.

أعد مدحي عليّ وخذ سواه

فقد أتعبتني يا مستريح

ولا تغضب إذا أنشدت يوماً

سواه وقيل هذا صحيح[١]

فالشاعر يهجو ممدوحه، وكان أسلوبه قاسياً في الهجاء، وطلب منه إلاّ يغضب إذا بدّل قوله فيه بعد المدح هجاءً .

وقد أحسن الأديب كمال الدين بن محمد بن مبارك[٢] الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها، حيث قال:

دار سكنت بها أقلّ صفاتها

أن تكثر الحشراتُ في جنباتها

الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ

والشر دان من جميع جهاتِها

وبها ذبابُ كالضبابِ يسدُ

عين الشمسِ ما طربي سوى غنّاتها

ولها خفافيش تطيرُ نهارها

مع ليلها ليست على عاداتِها

ولها ذنابيرٌ تُطنُ عقارباً

حرّ السموم أخفّ من زفراتها

وبها عقارب كالأقارب رتّع

فينا حمانا الله لدغ حماتِها

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٣١٢

(٢) هو: كمال الدين علي بن محمد بن المبارك، كان أبوه ظهير الدين محمد الأعمى، خطيب القدس، ولد في أوائل القرن السابع الهجري- أوائل القرن الثالث عشر الميلادي- وكان مقرئاً في التربة الأشرفية، بدأ بن الأعمى في نظم الشعر أيام صلاح الدين الأيوبي، وقد عاش طويلاً، ثمّ انقطع في آخر عمره إلى الفليجة، توفي سنة (٦٩٤هـ- ١٢٩٣م). شذرات الذهب، ج٥، ص ٤٢١.

والجنّ تأتيها إذا جنّ الدّجى

تحكي الخيول الجردُ في حملاتها

والنّار جزء من تلهّب حرّها

وجهنّم تعــزى إلـــى لفحاتِها

شاهدتُ على أرجائها

ورأيت مسطوراً على جنباتهـــا

لا تقربوا منها وخافوها ولا

تلقــوا بأيديكم إلى هلكاتها[١].

لم يترك الشاعر وهو يهجو هذه الدّار شيئاً قبيحاً إلاّ وأسكنه فيها، فصـــوّر لنـــا ذلـــك المشهد في صورة خياليّة جميلة. وهكذا تنوعت أبيات الشعر التي اختارها المؤلـــف فـــي الهجاء والتي جعلتهم يتشفون من خصومهم والنيل منهم بالسخرية والإقذاع .

(١) المستطرف،ج١، ص ٣١٠-٣١١.

المبحث الخامس

الوصف

الوصف في اللغة: وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة حلاّه، والهاء عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية ووصفك الشيء بحليته ونعته. وتواصفوا الشيء من الوصف، وقوله عزّ وجلّ: (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)(١)، أراد ما يصفونه من الكذب. واستوصفه الشيء: سأله أن يصفه له. واتّصف لشيء: أمكن وصفه(٢).

وفي اصطلاح العلماء إنّ الوصف- كما عرّفه قدامة:(هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنّما يقع على الأشياء المركّبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركّب، ثمّ أظهرها فيه، وأولاها به، حتّى يحكيه ويمثّله للحسن بنعته)(٣).

والشعر إلاّ أقلّه راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه، وليس به؛ لأنّه كثيراً ما أتى في أضعافه. والفرق بين الوصف والتشبيه، إنّ هذا إخبار عن حقيقة الشيء وإنّ ذلك مجاز مرسل(٤).

وأحسن الوصف ما نعت الشيء حتى يكاد يمثّله عياناً للسّامع، كما قال النّابغة الجعدي(٥)، يصف ذئباً افترس جؤزراً:

فبات يزكّيه بغير حديدة

أخو قنص يمسي ويصبح مفطرا

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (١١٢) .

(٢) لسان العرب،مادة (وصف) .

(٣) العمدة، ج٢، ص ٢٩٥.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٩٤.

(٥) هو أبو ليلى بن قيس بن جعدة بن كعب، شاعر جاهلي، أتى رسول صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة،وأسلم، مات بأصفهان. الشعر والشعراء، ج١، ٢٠٨. الإعلام، ج٥، ص ٢٠٧.

إذا ما رأي منه كراعاً تحرّكت

أصاب مكان القلب منه وفرفرا(١).

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه، ومثّل للموصوف في قلب سامعه. ولما كان الوصف عند العرب أشبه بالحقيقة العلمية، كان الشاعر منهم لا يتعاطى إلى ما يحسن من ذلك ضرورة. وقد يشارك في أوصاف كثيرة؛ ولكنّه ينفرد بالشّهرة في بعضها، من جهة العلم، لا من جهة الصناعة، فكلّما كان أعلم بأجزل الموصوف وحالاته واقدر على استقصاء هذا العلم في شعره، كان ابلغ في الوصف وأولى بالتقديم فيه. وإنّ أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج من علم وصرفته روعة المبالغة الشعرية، وكل وصف لا يكون على هذين أو أحدهما فهو نذير من الكذب. وتكثر بالباطل؛ لأنّ لا سبيل المصنوع المتكلّف، ولا يسلم متعاطيه من الخطأ(٢).

وقال بعض المتأخرين: أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً، وأصل البصر الكشف والإظهار. يقال: قد وصف الثوب الجسم، إذا نمّ عليه ولم يستره، ومنه قول ابن الرّوميّ:

إذا وصفت ما فوق مجرى وشاحها

غلائلها ردّت شهادتها الأزر(٣).

إلا إنّ الشعراء والبلغاء إذا وصفوا شيئاً بالغوا في وصفه، وطلبوا الغايّة لقصوى التي لا يعدوها شيء إن مدحاً فمدحاً، وان ذماً فذماً(٤).

وبما أنّ الفرس صديق العربي في عيشه، كذلك في الحرب والسلم في الحياة الجادّة والهازلة، حين يحارب الإنسّان أو يصطاد الحيوان، يصطحبه في السرّاء والضرّاء وحين البأس؛ لذلك أحب العربي هذا الحيوان، ورأي فيه نجدة وملاذاً، فهناك صورة صنعها الشعراء في هذا الحيوان الأنيس. ومن هذه الحيوانات اختار الإبشيهي، وصف امرئ القيس لفرسه، فقال:

---

(١) ديوان النابغة الجعدي، صنعة ابن السكيت، تحقيق د/ شكري فيصل، دار الفكر، د-ت، ص ٤٢.

(٢) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط٢، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج٣، ص٥٤.

(٣) ديوان ابن الرومي، شرح انطون نعيم، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، دار الجيل، بيروت، ص ٢٣١.

(٤) العمدة، ج٢، ص ٢٩٥.

وقد أغتدي والطيّرُ في وكناتِها

بمنجردٍ قيــد الأوابــدِ هيكلِ

مكرّ مفرٍ مقبل مدبر معاً

كجلمودِ صخرٍ حطه السيلُ من علِ

مسحّ إذا ما السّابحات على الونى

أثرنّ الغبارَ بالكديــدِ المركّلِ(١).

يخرج الشّاعر للصيد في الصبّاح الباكر، قبل نهوض الطيور ومغادرتها أوكارها، على فرس قليل الشّعر، ضخم الهيكل، لا يستطيع الطرائد أن تهرب منه لشدّة سرعته، فهو قيد لها، وهو سريع في كرّه وفرّه، وإقباله وإدباره، فلا يستطيع الناظر أن يميّز بــين واحــدة وأخرى، فهو في هذه الحالات مثل صخر عظيم قذف به السيل مــن الأعــالي، ويؤكــد لسرعته مرّة أخرى بقوله: مسحّ، فالخيل الأخرى السّريعة تتعب، فتركل بحوافرها الأرض الصلبة، فتثير الغبار، ولا يتعب هو.

وقال آخر في وصف الأسد:

عبوسٌ شموس مصلخد مكابد

جرئ على الأقران للقرن قاهرُ

براثنه شثن وعيناه في الدّجى

كجمر الغضى في وجهه الشّر ظاهرُ

يديل بأنياب حداد كأنّها

إذا قلّص الأشداق عنها خناجــر(٢).

---

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبــراهيم، ط٤، ١٩٨٤م، دار المعــارف، ص ١٩. والمســتطرف، ج٢، ص٧٣.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٧٣.

وصفه بأنّه عابس وصلب وقويّ وشجاع، يتصدّى للدهر بجبروته وقوّتـــه، وبراثنـــه قويّة، وعيناه كالدّجى، وهي كالجمر، ويظهر عليها الشّر. وإذا كشّر عن أنيابه، فهي حادة كأنّها الخناجر.

نجد أنّ الشّاعر قد أشترك مع الفرزدق في وصفه، عندما وصف الفرزدق الذئب فدعاه ليلاً ليشاركه عشاءه، فقال:

وأطلسَ عسّال وما كان صاحباً

دعوتُ بناري موهناً فأتاني

فلمّا دنا قلت: أدنو دونك أنّني

وإيّـــاك في زادي لمشتركان

فقلتُ له لمّا تكشّر ضاحكاً

وقائم سيفي من يـــدي بمكان

تعش فإن عاهدتني لا تخونني

نكن مثل من يا ذئبُ يصطحبان(١).

فالفرزدق يقص حكايته مع الذئب، ويبعد عن المفردات الغريبة في وصـــفه يتجلـــى وصفه بأنّ هذا الذئب أغبر اللّون يضطّرب في مشـــيه يمنـــة ويســـرى، ولـــيس بأهـــل للمصاحبة، لأن من شيمته الغدر، ويطلب منه ألّا يخونه فيصيرا أخوين.

انطلق كثيراً من الشعراء في العصر العبّاسي والأموي، وحتى العصر الجاهلي فـــي التغنّي بالخمر والسقّاة، والكؤوس، وأصوات المغنيين والمغنّيات، والغلمـــان، ولـــم يخـــل ديوان شاعر في تلك الحقبة من وصف الخمر سواء شربها أم لم يشربها، فقال في وصفها صفي الدين الحلّيّ:

بدت لنا الراح في تاج من الحبب

فخرجت حلّة الظلماء باللّهبِ

(١) ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٣٢٩.

بقية بكر إذا زوّجت بالماء أولدها

أطفال درّ على مهد من الذّهبِ

بقيّة من بقايا قوم نوح إذا

لاحت جلت ظلم الأحزان والكرب

بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا

يعيد أرواحنا من شدّة الطّرب(١).

يتلاعب الشّاعر بالألفاظ، ويتفنّن في وصف الخمر فهي كالتّاج المرصّع وهي كـالبكر التي زوّجت، وولدت أطفالاً كالدّر، وعلى مهد من الذهب، فإذا ظهـرت جلّـت لطلّتهـا الأحزان والكرب، فيصف حاله ومن معه فبشربها صاروا صرعى، وفي غايـة الطـرب والنشّوى.

وقال سيف الدّولة بن حمدان(٢) في ساق:

وسـاقٍ للصبوح دعـوته

فقام و في أجفانه سنة الغمضِ

يطوف بكاسات العقار كأنجم

ما بيـن منفضّ علينا ومنقضِ

وقد نشرت أيدي النّجوم مطارفاً

على الجوّ أو كنّا والحواشي على الأرضِ

يطرّزها قوس السّماء بأصفر

على أحمر في أخضر تحـت مبيضِ

كأذيال خود أقبلت في غلائل

مصبّغة والبعض أقصـر من بعضِ(٣).

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) هو: علي بن عبد الله بن حمدان، التغلبي الربعي، أبو الحسن، سيف الدولة، الأمير صاحب المتنبئ، وهو أوّل من ملـك حلب من حمدان، وتوفي بها سنة (٣٥٦هـ). الأعلام، ج٤، ص ٣٠٥.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٢٩٤.

طاف الساق بكأس وما زالت أجفانه تقاوم النّعاس، فكأنّ لكاس في يده أنجـــم انتثـــرت على الجو وانتشرت على الأرض مطرّزة أشبه في تعدد ألوانها بقوس قزح من اصـــفرار واخضرار، ومبيض، وكأنّها أذيال حسناء مزدهية ومتدرّجة في طولها.

وقال بديع الزمان الهمذاني[1] في وصف أحدهم بالكرم:

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكباً

لو كان طلق المُحيّا يُمطر الذهبا

والدّهر لو لم يخنُ والشّمس لو نطقت

واللّيث لو لم يصدّ والبحر لو عذبا[2]

استمّد الشاعر من عناصر الطبيعة صوراً لممدوحه ، فهو كالمطر المنهمر، ويعطـــي بوجه طلق باشٍ و كالدّهر إذا لم يخن، وكالشّمس إذا نطقت وأفصحت، ومثل اللّيث إذا لم يغدر، والنّهر إذا صفا وعذب. فاستخدم في ذلك التشبيه المتعدد.

ولعبد الله بن المبارك[3] في وصف قوم خاشعة قلوبهم لله:

إذا ما اللّيل أظلم كابدوه

فيسفر عنهم وهم ركـــوعُ

أطار الخوف نومهم فقاموا

وأهل الأمن في الدّنيا هجوعُ[4].

يطيلون في السجود والركوع ليلاً، خوفاً وخشية، قليلاً ما ينامون، والذّي أمن الحيـــاة، هو من اطمئن قلبه، وطال نومه.

---

(١) هو: أحمد بن يحيى، أبو الفضل أحد أئمة الكتاب، له مقامات، أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها، وكان شـــاعراً، ولـــد بهمذان سنة (٣٨٠هـ). وأكثر مقاماته في الارتجال. له دوان شـــعر- ط. شـــذرات الـــذهب، ج٣، ص١٥٠- ١٥١. والأعلام، ج١، ص ١٨٥.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٢٩٥.

(٣) هو: عبد الله بن المبارك بن أبو عبد الرحمن المروزي، مولى حنظلة، كان من الربّانيين في العلم، ومـــن المتصـــوفين بالحفظ والزهد، وأول من صنّف الرقائق. الأعلام، ج٤، ص ١١٥.

(٤) المستطرف، ج١، ص ١٠.

وقال يزيد بن معاوية[1]:

وكأس يرينا آية الصّبح في الدّجى
فأوّلها شمس وآخــرها بــدر
مقطّبة ما لم يزورها مزاجها
فــان جاءها جاء النسيم والبشــر
فيا عجباً للدّهر لم يخل مهجة
من العشق حتّى الماء يعشقه الخمر[2].

رسم الشّاعر صورة جميلة للكأس، فجعله كاللّيل الذّي حلّ عليه ضوء الصّبح، فهـي مقطّبة، إذا لم تمزج بالماء. فيتعجّب من الدّهر الذي لم يخل من العشق، فحتّى هذه الخمر يعشقها الماء، ويغرم بها، فاستخدم أسلوب المجاز المتمثّل في الاستعارة المكنية، إذ جعـل الخمر يحبّ ويعشق، مثل الإنسان تماماً.

وقال ابن وكيع[3] في وصف لون الخمر:

وصفراء من ماء الكروم كأنّها
فراق عــدو أو لقــاء صديق
كأنّ الحباب المستدير يطوّقها
كواكب درٌّ في السّماء عقيقي
صبّت عليها الماء حتّى تقوّقصت
قميص يعــار من قميص شقيق[4]

---

(١) هو: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأمويّ، ثاني ملوك الدولة الأمويّة في الشام، ولى الخلافة بعـد وفـاة أبيـه سـنة (٦٠هـ). الكامل، لابن الأثير، ج١، ص ٥٠. والأعلام، ج٨، ص ١٨٩.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ١٩٣.

(٣) هو: أبو محمد بن علي بن أحمد بن محمد (وكيع) بن خلف، أصله من بغداد، ولد في "تنيس" قرب "دميـاط" بالقـاهرة، شاعر بارع، ظريف، خفيف الروح، وقّف شعره على الوصف والغزل، ومال إلى المجون، له "المصنف بين سـرقات المتنبئ"، توفي سنة (٣٩٣هـ). شذرات الذهب، ج٣، ص ١٤١- ١٤٢. ووفيات الأعيان، ج١، ص ٢٤٣، ٢٤٥.

(٤) المستطرف، ج٢، ص ١٩٥.

يقول: إنّها صفراء، ولكنّ هناك شعور متناقض يُحسّ به عند شربها، فهو فرّحته بإبعاد العدو عن وجهه، وكذلك فرحته بالمحبوب فاستخدم المحسّن البديعي المتمثّل في المقابلة (فراق عدو، لقاء حبيب) وفي البيت الثّاني أضفى صورة جماليّة متمثّلة في التشبيه، حيث شبّه الحباب، وهو على الكأس يطفو، كأنّه كواكب مصنوعة من الدرر، ومنتشرة على سماء لونها عقيقي، وعندما صُبّ عليها الماء، تداخلت ألوانها؛ فصارت مثل الوشي المتعدد الألوان.

وقال يزيد بن معاوية:

وشمسة كرم برجها قعر دنّها

وطلعتها السّاقي ومغربها فمي

مدام كثير في إناء كغضّة

وساقٍ كبدر مع ندامى كأنجمِ[1]

يصف الخمر المصنوعة من الكرم بالشّمس في لونها الذهبي، وإنائها كالفضّة، وساقيها كالبدّر، وشاربيها كالأنجم.

وابن المعتز[2] يصف السقاة وصفاً طريفاً جميلاً حين يقول:

وكأنّ السّقاة بين النّدامى

ألفات من السطور قيامُ[3]

وللصنوبري[4] في وصف الطبيعية والخمر:

---

(١) المصدر السابق ، ج٢،ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) هو: عبد الله بن الخليفة بن المعتز بن الخليفة المتوكل بن الخليفة المعتصم بن الخليفة هارون الرشيد، ولد سنة (٢٤٧هـ)، شاعر مكثر، مجيد حسن الطبع، جيد القريحة، بليغاً، صاحب صناعة، له ديوان شعر- ط. شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٢١-٢٢٤.

(٣) ديوان ابن المعتز، ١٣٨١هـ- ١٩٦١م، دار صادر، بيروت، ص ٤٠٨.

(٤) هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين بن مرّار، الضبّي، الحلبّي، المعروف بالصنوبريّ، شاعر اقتصر أكثر شعره على وصف البساتين والأزهار، جمع شعره في كتاب سُمّي "الروضات" – ط. شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٢٥. الأعلام، ج١، ص ٢٧٠.

الجوّ بين مضمّخ ومضرّجٍ

والرّوض بين مزخرفٍ ومدبّجِ

والثّلج كالنّـــار فقم بنـــا

نلهو بـــربة كـــرمة لم تمزجِ[1]

الصنوبري أحبّ شرب الخمر قرب النّار، فرأي في ذلك اجتماع الراح ونار الخدّ ونار الحشا في الصبّ، فالرّوض مزخرف ومخضرّ.

وممّا أجاد فيه الشعراء منذ عهد بعيد، وصف المرأة وإبداء محاسنها، وأكثر الإبشيهي من هذا النوع في كتابه المستطرف ومثال لذلك قول ابن المعتز:

عليم بما تحت العيون من الهوى

سريع بكسر اللحظ والقلب جازعُ

فيخرج أحشائي بعين مريضة

كم لان متن السيّف والحدّ قاطعِ[2]

يصف ابن المعتز تأثير نظرة المحبوبة على قلبه الوله بحبها، فهي كطعنة السيف فـــي أحشائه.

وقال آخر في وصف الشعر:

بدت ثريّا قرطها وشعرها

متصل بكعبها كما ترى

يا عجباً لشعرها لمّا ابتدى

من الثريا فانتهى إلى الثّرى[3]

أراد الشّاعر من وصفه لها أن يبيّن طول شعرها الذي لامس كعبيها، فيقول: إنّ أولـــه في الثريّا، ونهايته في الثرى، كناية عن طوله.

(١) الوصف، لجنة من أدباء الأقطار العربية، ص ٧٤.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣٢٦. ولم أعثر على البيتين في ديوانه.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٣٢٥.

وممّا أجاد فيه الشّعراء في الوصف، وصف المعارك، إذ قال بشّار بن برد:

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه[(١)]

يشبه غبار المعركة ولمعان السّيوف، باللّيل المظلم الذّي تساقطت كواكبه.

وللمتنبئ أيضاً أبيات في مدح سيف الدولة، ووصف المعركة، فيقول:

وجيش يثني كلّ طود كأنّه

خريق رياح واجهت غصناً رطباً

كأنّ نجومَ الليلِ خافت مغاره

فمدّت عليها مــن عجاجته حجبا[(٢)]

يقول إنّ الجيش العظيم يزحف في المعركة، ولكثرته كأنّه يحرّك الجبل ويشقه إذا مر به، أو كأنّه عاصف لاقى غصناً رطباً، فعصف به ورماه.

وفي البيت الثّاني صورة مجازيّة، إذ استعار للنجوم الخوف من الجيش، فاتّخذت غبار المعركة ستراً لها حتّى لا يراها.

ويقول المتنبئ أيضاً في مدح سيف الدولة، ووصفه في معركة:

يهزّ الجيش حولك جانبيه

كما نفضت جناحيها العقابُ[(٣)]

نرى أن الشاعر رسم صورة جميلة مستخدماً ألفاظاً أدّت الغرض، فصــوّر ســيف الدولة وسط المعركة، والجيش عن يمينه وعن يساره متحركاً بصورة العقاب الذي ينفض جناحيه، فوجه الشبه بينهما صورة منتزعة من متعدد، وهي صورة شيء في الوسط ثابت وأطرافه متحركة.

---

(١) ديوان بشّار، ج١، ص ٢٧٣. والمستطرف، ج١، ص ٨٤.

(٢) شرح ديوان، المتنبئ، البرقوقي، ص ١٩٤-١٩٥.

(٣) شرح ديوان المتنبئ، ص ٢٠٥.

ووصف البحتري[1] إيوان كسرى بالمدائن وصفاً جميلاً، بالغ في الإجادة، ممّا ينتابك وأنت تقرأ أبياته كأنّك أمام هذا الإيوان، وكأنّك تراه بأمّ عينيك، قال في ذلك:

فإذا ما رأيت صورة إنطـــــا   كية ارتعت بيـــن رومٍ وفـــرسِ
والمنايـــــا مواثل وأنشـــــر   وان يزجي الصفوف تحت الدرفسِ
في اخضرارٍ من اللباسِ على أصــ   فر يختال في صبغـــــــة ورسِ
وعراكُ الرجالِ بين يديـــــــه   في خفوتٍ منهم وإغماض جرسِ
من مشحّ يهوي بعامل رمـــح   ومليح من السّنان بترسِ
تصف العين أنّهم جدُّ أحيـــــا   ء لهم بيـــن إشـــارة خُـــرسِ
يصيبني فيهم ارتيابي حتـــــى   تتقـــرّاهم يـــداي بلمـــس[2]

تعجّب الشاعر من منظر الفرس والروم وهم في غمار المعركة، فوصف لبسهم، فكان بين اخضرار واصفرار، كأنّه مصبوغ بالورس، وهناك عراك وطعن، ولكن في خفوت أو صمت تام، قذف بالرمح وصدّ بالترس، وكأنهم أحياء خُرس، يقول: ينتابني شعور بـــأنهم أحياء من دم ولحم، فأمد يدي حتّى أتحسسهم.

الأبيات تزخر بالجرس الموسيقي، وقوّة الألفاظ، وإجادة في المعنى، فنقلنـــا الشّـــاعر لوصف لوحة، كأنّها حقيقيّة وليست خيال.

والبحتري[3] أجاد في وصف السحابة والبرق فرسمهما رسما موفقاً حين قال:

ذات ارتجاز كحنين الرّعد
مجرورة الذيل صدوق الوعد

---

(١) هو: أبو عبادة الوليد بن البحتري، ولد في مدينة "منبج" شرق "حلب" سنة (٢٠٦هـ- ٨٢٢م) كان فصيحاً بارعـــا فـــي الشعر، ظاهر المعاني، حلو الألفاظ، سهل التراكيب. شذرات الذهب، ج٢، ص ١٨٦-١٨٨.

(٢) ديوان البحتري، شرح وتقديم، حنّا الفاخوري، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الجيل، بيروت، ص ١٨-٢٠.

(٣)هو: أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن سملال بن جابر، البحتري، الطائي، الشاعر المعروف، كان فاضلاً أديبـــاً، فصيحاً بليغاً وشاعراً، ولد ونشأ بـــ "منبج" من أعمال "حلب" سنة (٢٠٦هـ)، من تصانيفه "الحماسة" و "معاني الشـــعر" توفي سنة (٢٨٤هـ). شذرات الذهب، ج٢، ص ١٨٦- ١٨٨.

مسفوحة الدمّع بغير وجدٍ

لهـــا شبـــم كنسيم الـــوردِ

ورنّة مثل زئير الأسد

ولمـــع برق كسيوف الهندِ

جاءت بها ريح الصبا من نجدٍ

فانتثرت مثل انتثار العقدِ

فراحت الأرض بعيش رغدٍ

من وشيّ أنوار الربى في بردِ

كأنّما غدرانها في الوهدِ

يلعبن من حبابها بالنّرد(١)

ففيها الرّعد وصدق الوعد، وهي كزئير الأسد، ولمعها كسيوف الهند، وقد دفعتها ريح الصبّا من جهة نجد فانتثرت مثل انتشار العقد، فتلوّنت الأرض بالنور والزهر، وأصبحت الغدران منها يرقصن بالحباب، كما يعلب بالنّرد، وهذا تشبيه حسيّ، حيث شبّه كلّ شـــيء منها بشيء يضارعه، ثمّ كسى الأبيات عاطفة الحنين والدّمع والوجد.

وقال ابن تميم(٢).

في وصف حديقة:

وحديقة ينساب فيها جدول

طرفي برونق حسنها مدهوشُ

يبدو خيال غصونها في مائه

فكأنّما هو معصم منقوشُ(٣)

(١) ديوان البحتري، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) هو: محمد بن يعقوب بن عليّ، المعروف بابن تميم الحموي، شاعر من الأمراء، له ديوان شعر– ط. معجم المـــؤلفين، ج٣، ص ٧٧٦.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ٢٠١.

يصف الحديقة وينساب وسطها جدول الماء، والأشجار تحيطه وتنعكس صورتها على الماء، مثل المعصم أو الأسورة المنقوشة.

وقال ابن الرومي في وصف النرجس:

أما تراه ومرّ الريح يعطفه

كأنّه زعفران فوق كافور

إذا بدا في اختلاف من محاسنه

أراك كيف اختلاط النّار بالنّور[(١)]

يصف الشاعر ورد النرجس عندما يهب عليه النسيم، كأنّه الزعفران الذي خلط بالكافور، فاختلفت محاسنه، وكثرت كاختلاط النار بالنور.

ومن أحسن ما وصف به الصبر، قول محمود الوراق:

إنّي رأيتُ خير معولا

في النّائبات لمن أراد معولا

ورأيت أسباب القناعة أكّدت

بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا

فإذا نبا بي منزل جاوزته

وجعلت منه غيره لي منزلا

وإذا غلا شيء عليّ تركته

أرخص ما يكون إذا غلا[(٢)]

اتّخذ الشّاعر الصبر سلاحاً يعينه على نائبات الدهر، وهو قنوع، فهو يسعى لأسباب القناعة، ولا يجري للأشياء الغاليّة التي ترهقه، وإنّما قليلها يكفيه، وقال الإبشيهي في الصبر:

---

(١) ديوان ابن الرومي، ج٣، ص ٢٢٨. والمستطرف، ج٢، ص ٢٠٥.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٤٨.

ما أحسن الصّبر في الدنيّا وأجمله

عند الإله وأنجاه من الجزع

من شدّ بالصبر كفا عند مؤلمه

ألوت يداه بحبل غير منقطع(١)

يقول: الذي يتمسّك بالصبر عند النائبة أو المصيبة حتماً يجد الفرج، ولا يندم، فشبّه الصّبر بالحبل المتين الذّي لا يخذل صاحبه.

وقال ابن الأحنف، في وصف فقير:

يمشي الفقير وكلّ شيء ضدّه

ويوم نعيم فيه للناس انعمُ

وتراه مبغوضاً وليس بمذنبٍ

ويمطر يوم البؤس من كفه الدّم

فلو أن يوم البؤس خلّى عقابه

على الناس لم يصبح على الأرض مجرمِ

ولو أن يوم الجّود خلّى يمينه

عن المال لم يصبح على الأرض معدمِ(٢)

رسم الشاعر صورة حزينة للفقير الذي يعيش في بؤس وضنك، وكلّ شيء ضدّه، فهو مبغوض بين الأنام دون أن يرتكب أدنى ذنب.

وقال ابن الرّومي:

ما انس إنّ انس خبازاً مررت به

يدحو الرّقاقة وشك اللمح بالبصرِ

---

(١) المستطرف ، ج٢، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ٢١. ولم أجد الأبيات في ديوانه.

ما بين رؤيتها في كفه كرة

وبين رؤيتها قــوراء كالقمــرِ

إلا بمقدار ما تنداح دائرة

في صفحة الماء يرمي فيه بالحجرِ(١)

وصف ابن الرومي خبازاً مرّ بجواره يبسط الرقاقة فشبه سرعة انبساطها بسرعة الدائرة في الماء تقذف بحجر . نجد أن هذا الغرض لم يحظ بحيز كبير بين الأغراض الأخــرى في اختيارات الإبشيهي لشعر الوصف، ولكنه أكثر من ذكر الخمر ووصفها .

(١) ديوان ابن الرومي، ج٣، ص ١٩٧- ١٩٨.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية في كتاب " المستطرف في كل فنّ مستظرف"

ويشمل:

تمهيد: مفهوم الصورة الفنيّة عند النقاد القدامى والمحدثين.

المبحث الأوّل: التشبيه

المبحث الثاني: الاستعارة.

المبحث الثالث: الكناية

المبحث الرابع: المجاز

المبحث الخامس: اللغة والأسلوب.

تمهيد:

مفهوم الصورة الفنيّة عند النقّاد القدامى والمحدثين

أ/ مفهوم الصورة الفنيّة عند النقاد القدامى:

تعريفها في اللغة: في المعاجم جاءت مدلول الصورة حول الشّكل الخارجي، فقد جاء في "القاموس المحيط": "الصُورة بالضمّ، والجمع صُور، وصِور، فقد صوّر فتصوّر. وتستعمل بمعنى النّوع والصفة[١].

وفي "لسان العرب": "والصورة في الشكّل، وقد يراد بالصوّرة الوجه من الإنسان أو الهيئة، وعلى معنى صنعته، يقال: صورة الفعل كذا، أي: هيئته. وصورة الأمر كذا، أي: صنعته"[٢].

وقد أشار النّقّاد القدامى إلى الصورة الفنيّة من خلال حديثهم عن التصوير في الشّعر. يقول الجاحظ[٣] في ذلك: "الشّعر صناعة وضرب من النّسيج وجنس من التّصوير"[٤].

وابن طبا طبا[٥] لا يختلف مفهومه للصورة الفنّيّة عن الجاحظ؛ إذ يرى "الشّعر صناعة، والشّاعر صانعاً كالنّسَاج الذي يفوق وشيّه، وكالنّقّاش الذي يصنع الأصباغ، وفي أحسن تقاسيم نقشه، وكناظم الجواهر الذي يؤلّف بين النفيس منها والثمين الرائق، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها[٦].

---

(١) القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروز آبادي، دار الحديث، القاهرة، مادة (صور) .

(٢) لسان العرب، مادة (صور) ج٨، ص ٣٠٤.

(٣) هو: عمرو بن بحر الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، من المعتزلة، ولد بالبصرة سنة (١٦٣هـ-٧٨٠م)، من تصانيفه "الحيوان" و"البيان والتبيين" و"البخلاء" توفى سنة (٢٥٥هـ-٨٦٩م)، معجم الأدباء، ج٢، ص ١٨٧. والأعلام ج٥، ص ٧٤.

(٤) الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٨م، ج١، ص ١٣٢.

(٥) هو: أحمد بن محمد إبراهيم العلوي المعروف بابن طبا طبا، أبو القاسم نقيب الطالبين بمصر، من مؤلفاته "عيار الشعر" توفى سنة (٣٤٥هـ-٩٥٦م). معجم المؤلفين، ج٣، ص ٢٣٩.

(٦) عيار الشعر، ابن طبا طبا، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، (١٤٠٥هـ-١٩١٥م)، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ص ١١.

ويقول قدامة بن جعفر(١): "إنّ المعاني كلّها معروضة للشّاعر، وله أن يتكّلم منهـا فيما أحبّ وآثر، من أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه، وإذا كانت المعـاني للشّـعر بمنزلة المادّة الموضوعة فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة فيها مثـل الخشـب للنّجارة والفضّة للصياغة"(٢).

وانتهج عبد القاهر الجرجاني(٣) في مفهومه للصورة الفنّية معنىً لا يختلـف عـن نظريّة النّظم، فيقول: "ومعلوم أنّ سبيل التّصوير والصّياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبّر عنه، سبيل الكلام يقع التصوير عليه، فكأنّما كان محاولاً إذا أردت النّظر في صوغ الخاتم والنظر إلى الفضّة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل، وتلـك الصـنعة كذلك، محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزيّة في الكلام أن تنظـر فـي مجـرّد معناها"(٤).

---

(١) هو: قدامة بن جعفر بن زياد، أبو القاسم، أديب من كبار الكتاب، من أهل بغداد، من مصنفاته "نقد الشعر" و"صنعة الكتابة" توفى سنة (٣١٩هـ) معجم الأدباء، ج١٧، ص ١١٢-١١٥، والأعلام، ج٢، ص١٢٦.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ١٩٦٣م، مكتبة الكليات الأزهرية، ص١٤.

(٣) هو: أبو بكر عبد الله بن عبد الرحمن الجرجاني، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسن بن أخ الأستاذ علي الفارسـي من مصنفاته، "أسرار البلاغة في علم البيان" و"دلائل الإعجاز" توفى سنة (٤٧١هـ). سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٣.

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضـا، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، ببيروت، لبنان، ص ١٦٩.

ب/ مفهوم الصورة الفنيّة عند النقاد المحدثين:

أمّا عن مفهوم الصورة الفنيّة عند النقّاد المحدثين: فنجد أنّ الدكتور علي إبـــراهيم في كتابه "الصورة الفنيّة في شعر دعبل الخزاعي" عرفها بأنها سمة بارزة مـــن ســـمات العمل الأدبي، وإحدى المكوّنات الأصليّة لبناء القصيدة، ولا يخلـــو عمـــل شـــعري مـــن التصوير. وقد اتّسع مفهوم الصّورة ليحوي ما هو أبعد من الوسائل البلاغيّـــة المعروفـــة، فكأنّ في كلّ تعبير أدّى تصوير فني ينبعث من مقدرة الشّاعر علـــى تركيـــب عباراتـــه وتنسيق كلماته، وعلى قدرته في استنباط الإيحاء الفنّي الكامن في باطن الألفـــاظ، وفـــي علاقتها مع بعض، فيكسب التعبير جمالاً"[١].

ويقول الدكتور أحمد علي دهمان: "ويتّضح من عبارة الجرجاني: أنّ الصناعة عنده تعني الصورة، والصّورة تعني الصناعة أو النّظم، ومعيار الجودة ليس في المادّة المكوّنة للصورة في التشكيل الفنّي، لأنّ الصّورة التي تجعل الفضّة خاتماً أو سواراً"[٢].

"والصورة تعبّر عن تجربة الشّاعر الفنّيّة التي يرمز بها للواقع، كما يتخيله، وقد لا تسعفه الألفاظ في اللّغة العاديّة، فيري نفسه مدفوعاً بثورة خياله إلى تشكيل علامات لغويّة خاصّة يؤلّفها بخياله المبدع؛ ليعبّر عن رؤية خاصة به"[٣].

وللعقّاد[٤] رأي في ذلك، فيقول: "للشّاعر أن يسدّ نقص التّاريخ حيث سكت وله أن يفتنّ في تصوير حقائق التّاريخ؛ ليبعثها جديدة، ويلبسها ثوب الحياة المشهودة، والشّـــاعر الذي يتّسم بهذه السّمات يتحرّى الجّمال الذي يطابق الحقّ في الفنّ والمثـــل الأعلـــى، وإن خالف الحقّ المحدود في الحروف والأرقام[٥].

---

(١) الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، د/ علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف، مصر، ص٢٤١.

(٢) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د/ أحمد علي دهمان، ١٩٥٩م، دار طلايل، دمشق، ص٢١٩.

(٣) الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، ص ٢٤١.

(٤) هو: عباس محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، إمام في الأدب المصري، من الكتّاب المكثرين فـــي الصـــحف والتصنيف والتأليف، من مصنفاته "عن الله وعبقرية محمد ﷺ" و"مراجعات في الأدب والفنون" وغيرها، الأعـــلام، ج٣، ص ٢٦٦.

(٥) عباس العقاد ناقداً، د/ عبد الحي دياب، ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص٣٩٨.

"وقد مالت بعض دراسات الصورة إلى انتهاج الاتّجاه البلاغي، فأخذ التشبيه الجانب الأكبر في تشكيل الصّورة، وتوضيح مفهومها، ثمّ حلّت الاستعارة محلّ التشبيه في تحقيق التصوير المنشود، وإن عدّ التشبيه في مرحلة أسبق من الاستعارة في الظّهور والكثـــرة، فإنّ الاستعارة تتعاون معه لتطبع الصّورة بنسق من النّضوج الفنّـــي، والأداء المتطـــوّر.. فتجتمع الصّورة بين التشبيه والاستعارة وغيرهما من وسائل الأداء المجازي والتصـــوير البلاغي"(١).

كما يري عبد القاهر الجرجاني أنّ عبقريّة الشّاعر الفذّة تتمثّل في قدرتـــه الذهنيّـــة على أن يرى ما لا يراه سواه، ويكشف العلاقات الخفيّة التي تقوم بين الأشياء، فيجعلهـــا تتوافق وتتألّف برغم أنواعها المختلفة وأجناسها المتباعدة"(٢).

"وتميل دراسة أخرى إلى انتهاج الاتّجاه الجمالي في التشكيل، فالفنّ إدراك جمـــالي للواقع، ولأنّ العمل الفنّي تشكيل جمالي لموقف من هذا الواقع، فالمشكل الذي يواجه الفنّان مشكل تشكيل، والفنّان عمله حرّ ولا يمكن أن يكـــون إلاّ حـــرّاً، لأنّـــه يتخطّـــى حتمـــاً وبالضّرورة الأطر الاجتماعيّة للعمل الذي لا يتحلّى بصفة الخلق من حيث الجماليّـــة، ولا يؤلّف الفنّان صورته من فراغ. فالصّورة التي لم تكن تشبه موضوعها في شيء لا تكون رديئة فحسب، بل لا تكون لها معنى ولا جدوى"(٣).

"ومعنى الطباع وموضوع الجبلة على الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهـــوره منه، وخرج من موضع ليس بمعد له، كانت صيانة النّفوس به أكثر، وكان بالشفّق منهـــا أجدر، سواء في إثارة التعجّب وإخراجك إلى روعة المستغرب ووجودك الشيء في مكان ليس من أمكنته، ووجودك شيئاً لم يوجد، ولم يعرف من أصله في ذاته وصفته"(٤).

---

(١) عباس العقاد ناقداً، ص ٢٤٢.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد بشـــير رضـــا، ١٩٧٨م، دار المعرفـــة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ١٣٦-١٣٨.

(٣) الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، ص ٢٤٢.

(٤) نقد الشعر، ص ٥٨.

وبما أنّ التشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، جعلت التشبيه في بداية دراسة الصورة الفنيّة.

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه مسلك بياني كثر وروده في أشعار العرب منذ العصر الجاهلي وله –داخل النصّ– روعة وجمال يدركها المتلقّي في سياق النصّ الأدبي، وهو يقوم على إخراج الخفي إلى الجليّ، وإدناء البعيد إلى القريب وزيادة رفعة المعاني وإبرازها وإيضاحها واكتسابها مزيّة وفضلاً لا يكونان بها لولاه. فالتشبيه يقوم على إرادة المبدع إثبات صفة من الصّفات لموصوف ما، مع زيادة إيضاح أو مبالغة فيعمد حينئذٍ إلى شيء آخر تتّضح فيه هذه الصّفة، وتكون بارزة جليّة، ويعقد بين هذين الشيئين مماثلة تكون وسيلة لإيضاح الصفة والمبالغة في إثباتها(١).

فالمعنى اللغوي للتشبيه: التمثيل والمماثلة، يقال شبهت هذا بهذا تشبيهاً، أي: مثّلته به. والتشبّه والشبه: المثل: والجمع: أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله"(٢).

قسّم المبرّد(٣) التشبيه لأربعة، فقال: "تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه معان، وتشبيه يحتاج إلى التفسير، ولا يقوم بنفسه. وهو أحسن الكلام"(٤).

ويزيد ابن رشيق حدّ التشبيه إيضاحاً في قوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه كليّة لكان إيّاه"(٥).

والتشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر آخر في معنى، والمراد بالتّشبيه هنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقيّة، والاستعارة بالكناية، ولا التجريد، فيدخل فيه ما يسمّى

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٧.

(٢) لسان العرب، مادة (شبه) .

(٣) هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، "صاحب الكامل" أخذ عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، كان إماماً فصيحاً، توفى سنة (٢٨٦هـ)، سير أعلام النبلاء، ج١٣، س ٥٦٧.

(٤) الكامل في الأدب واللغة، المبرّد، تحقيق د/ محمد أحمد الدابي، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، ج٢، ص ٨٧.

(٥) العمدة، ج١، ص ٢٨٦.

تشبيهاً على المختار، وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه، وكان اسم المشبّه به خبراً للمشبّه أو في حكم الخبر، كقولنا: "زيد أسد"، وكقوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[(١)]. أي هم[(٢)].

وإلى ذلك ذهب قدامة بن جعفر قبله في "نقد الشّعر" ورأي أنّ التّشبيه يقع بين شيئين بينهما اشتراك في المعاني، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كلّ واحد منهما بصفاتها، وإن كان الأمر كذلك فأحسن التّشبيه هو ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصّفات أكثر من انفرادهما، حتّى يدني بها إلى حال الاتّحاد"[(٣)].

ويعتمد أسلوب التّشبيه على أركان أربعة أساسية، فقد يستقي- في بعض أنماطه عن بعضها، إلاّ أنّه في أساس تشكيله يقوم على:

١/ المشبّه: وهو ما يراد إلحاقه بغيره وتشبيهه به.

٢/ المشبّه به: وهو ما يراد أن يلحق المشبّه، المشبّه به في بعض صفاته، وأداة التشبيه، وهي اللفظ الدّال على التّشبيه، ويكون رابطاً بين المشبّه، والمشبّه به، وغالباً ما تكون هذه الأداة حرفاً كالكاف، وكأنّ، أو يماثل. ووجه الشبه هو الوصف المشترك بين الطرفين، وغالباً ما يكون محذوفاً.

ومن التشّبيهات التي وردت في الكتاب من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[(٤)].

شبه الله سبحانه وتعالى المؤمنين في المعركة متكافلين يدافعون عن دين الحقّ كأنهم البنيان الذي رصّ بعضه فوق بعض دون أن يكون هناك فراغاً.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[(٥)].

فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم، وذلك إنّما هو في الأخلاق خاصّة، فليس لأحد من الخلق إلاّ وفيه خلق من أخلاق البهائم. ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة، فإذا رأيت

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨) .

(٢) الإيضاح، ص ١٢١.

(٣) نقد الشعر، ص١٢٤.

(٤) سورة الصف ، الآية (٤) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (٣٨) .

الرّجل جاهلاً في خلائقه غليظاً في طباعه قوّياً في بدنه لا يؤمن من ضغائنه، فألحقه بعالم النمور مثلاً.

وقال عز وجل: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1].

يطلب الله سبحانه وتعالى من سيدنا محمد ﷺ أن يصبر على أذى المشركين، كما صبر أولو العزم من الرّسل الذين سبقوه.

ومن مواضع التشبيه في كتاب "المستطرف"، قول بكر بن النطاح[2]:

بيضاء تسحب من قيام شعرها

وتغيب فيه وهو وجه أسحمُ

فكأنّها فيه نهارٌ ساطعٌ

وكأنّه ليل عليها مظلمٌ[3]

وصف جمال محبوبته المتمثّل في طول شعرها وكثافته وسواد لونه، محيطاً بوجه جميل ناصع البياض، كأنّه نهار ساطع، وكأنّ شعرها ليل مظلم.

الصورة السّابقة هي أشبه بأبيات المتنبئ الذي اشترك معه في المعنى ذاته فقال:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر الزّمان بوجهها

فأرتني القمرين في وقت معاً[4]

يقول أفردت ثلاث ضفائر من شعرها الحالك السّواد في تلك اللّيلة، فصاروا أربع ليالي، ونظرت إلى السماء بوجهها الجميل، فأرتني القمرين في وقت معاً، وأرى أنّ

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥) .

(٢) هو: أبو وائل بكر بن النطّاح بن أبي حمّاد الحنفي، شاعر بصري، شاعر غزل عاشر أبا العتاهية، توفى سنة (١٩٢هـ-١٨٠٨م)، فوات الوفيات، محمد بن شاكر أحمد الكتبي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ١٩٥١م، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مطبعة السعادة بمصر، ج١، ص١٠٠.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٣٢٣.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١٠١.

المتنبي أكثر إجادة وأبلغ تعبيراً في تشبيهه لمحبوبته مرّة بشعرها بالليل، ومرّة أخرى يشبه وجهها بالقمر باستخدامه للتشبيه المتعدد.

وقد شاركهما في المعنى ابن المعتز[١] حيث قال:

تورات عن الواشي بليل لها

من محيّاً واضح تحته فجرُ

يغطي عليها شعرها بظلامه

وفي اللّيلة الظلماء يفقتد البدرُ[٢]

أيضاً نجد ابن المعتز يشبّه شَعَر محبوبته باللّيل، ووجهها بالقمر في استدارته وبياضه، إذ زاد عليهما في خوف المحبوبة من الواشي أو المفسد لحبّهما فسرعان ما غطّت وجهها بشعرها الطّويل، متّخذةً منه ستراً لها. ويتّضح أن ابن المعتز في البيت الثّاني قد اقتبس قوله من أبي فراس الحمداني: "وفي اللّيلة الظلماء يفتقد البدر"[٣].

وقال ذو الرّمة[٤]، يصف بياض اللّون:

بيضاء صفراء قد تنازعها

لونان من فضّة ومن ذهبِ[٥]

شبّه لونها الأبيض والأصفر كأنّه الفضة المخلوطة بالذّهب.

وقال علي بن عبد ربّه:

---

(١) هو: أبو العباس عبد الله بن الخليفة المتوكل المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة (٢٤٧هـ) له ديوان شعر – ط. شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٢١، ووفيات الأعيان، ج١، ص ٣٨٠.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣٢٣– ٣٢٤.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ١٦١، وصدر البيت: سيزكرني قومي إذا جدّ جدّهم ....

(٤) هو: غيلان بن عقبة بن بعيث، ويكنّى أبا الحرث، وهو من بني صعب بن ملكان، له ديوان شعر –ط. الشعر والشعراء، ج١، ص ٥٢٣، والأعلام، ج٥، ص ١٢٤.

(٥) ديوان ذي الرمّة، شرح الإمام نصر بن أحمد، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م، مطبعة طربين دمشق، ج٢، ص ٣٣–٣٨، والمستطرف، ج٢، ص ٢٤٥.

بيضاء يحمرّ خدّها إذا خجلت

كما جرى ذهب في صفحتي ورق(١)

يشبّه محبوبته التي اتّصفت ببياض لونها عندما تخجل وتحمرّ خدودها بصورة الذّهب الذي يسيل على ورق أبيض.

وقال أبو تمّام(٢):

وأحسن من نور يفتّحه النّدى

بياض العطايا في سواد المطالب(٣)

يشبّه الشّاعر النوّار الأبيض الذي تفتحه قطرات النّدى وسط الخضرة، وهذه صورة ماديّة يشبهها بشيء معنوي، وهو وجود العطايا في حوجة المطالب كأنّه يريد تشبيه شيء أبيض وسط شيء أسود.

ويقول أبو نواس:

يبكي فيزري الدّرّ من نرجس

ويلطم الورد بعنّاب(٤)

يشبّه الدموع بالدّر والعينين بالنّرجس، والخدّ بالورد، وأصابعها بالعنّاب، فهو تشبيه متعدد.

وقال ابن نباتة:

إنسيّة في مثل الجنّ تحسبها

شمس بدت بين تشريق وتغميمِ

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٢٤٥.

(٢) هو: حبيب بن أوس بن حارث الطائي، أبو تمام، ولد سنة (١٨٨هـ-٨٠٤م)، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان، في شعره قوة وجزالة، من مصنفاته: "ديوان الحماسة" و"فحول الشعراء"، و"مختار أشعار القبائل" و"نقائض جرير والأخطل" وغيرها. معجم المؤلفين، ج١، ص ٥٢٤. والأعلام، ج٢، ص ١٦٥.

(٣) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، ١٩٦٤م، دار المعارف، ج١، ص٢٠٥. والمستطرف، ج١، ص ٨٣.

(٤) ديوان أبي نواس، ص ٦٨.

شقّت لها الشّمس ثوباً من محاسنها

فالوجه للشّمس والعينان للريمِ(١)

لأنّ محبوبته فاق جمالها جمال البشر، شبّهها بالجنّ المخلوق من النور، وقد تحسبها شمس تشرق بين الغمام، وتكسوها الشّمس من لونها المشرق ثوباً تنعكس صورته على وجهها، فتزيده جمالاً، وشبّه عينيها بعيني الريّم. ومن ذلك قول المتنبي في التشبيه المتعدد:

بدت قمراً ومالت خوط بان

وفاحت عنبراً ورنت غزالا(٢)

شبّه وجهها بالقمر وقامتها بالبان، ورائحتها بالعنبر، ونظرتها بالغزال لجمال عينيها. فاختار الشّاعر أجمل الأشياء ليشبهها بها، وهو تشبيه أربع أشياء بأربع.
وقال المرقّش الأكبر(٣):

النشر مسك والوجوه دنانيـ ـرٌ وأطراف الأكفّ عنم(٤)

كذلك يستخدم الشّاعر التشبيه المتعدد، إذ شبّه رائحتها بالمسك، ووجوههم بالدنانير، وأصابعهم بالعنم، وهذا تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة.

ومن المعاني المشتركة بين الشّعراء تشبيه الخدود بالورود، والبنان بنبات العنّاب، والعيون بالنّرجس. ومثال ذلك قول الوأواء الدمشقي في استخدامه للتشبيه المتعدد:

وأسلبت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العنّاب بالبّرد(٥)

---

(١) المستطرف، ج١، ص ١٣٢.

(٢) ديوان المتنبئ، ج٢، ص ٢١٤.

(٣) هو: عوف (أبو عمرو) بن سعد بن مالك بن ضبيعة، من بني بكر بن وائل، شاعر جاهلي، كان يحسن الكتابة، ولد باليمن، ونشأ بالعراق، توفى سنة (٧٥ ق هـ- ٥٥٠م)، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢١٠، والأعلام، ج٥، ص ٩٥.

(٤) ديوان المرقش الأكبر (ضمن ديوان المرقشين) تحقيق كارين صادق، ١٩٩٨م، دار صادر بيروت، ص٦٨.

(٥) العمدة، ج٢، ص ٢٥٨، والمستطرف، ج٢، ص ١٨٠.

وقال أبو نواس:

كأنما يبسم عن لؤلؤ

أو فضة أو برد أو أقاح[١]

وهناك من استخدم التشبيه المفرد، وهو تشبيه شيء بشيء، مثل قول عمـرو ابـن كلثوم[٢]:

لنهد مثل حقّ العاج حسناً

حصيناً من أكفّ اللامسينا[٣]

حيث شبّه نهدها بحقّ العاج.

وفي وصف القامة وتشبيهها، يقول بشّار بن برد:

إذا قامت لمشيتها تثنّت

كأن عظامها من خيزران[٤]

ونبات الخيزران نبات ليّن رخص، فهي إذا مشت حاكت الخيزران، تشبيهه شـيء بشيء.

وفي مشية المحبوب يقول الأعشى:

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشي الهويني كما يمشي الوجي الوحِل

كأن مشيتها من بيت جارتها

مرّ السّحابة لا ريث ولا عجلُ[٥]

---

(١) ديوان أبي نواس، ص ٦٨.

(٢) هو: عمرو بن كلثوم بن عتّاب، من بني تغلب، شاعر جاهلي، من شعراء الطبقة الأولى، وهو شاعر مقلّ مطبوع، أشعر شعره معلقته النونية، توفى سنة (٤٠ق هـ). الشعر والشعراء، ج١ ص ١٥٧. وطبقات فحـول الشـعراء، ج١، ص ١٥١. الأعلام، ج٥، ص ٢٢٠.

(٣) معلقات العرب، بدوى طبانة، المطبعة الحديثة، ص ١٧٤، والمستطرف، ج١، ص ٣٥.

(٤) ديوان بشار، ج٢، ص ٨٤، والمستطرف، ج١، ص ٨٤.

(٥) ديوان الأعشى، ص ١٤٥.

استخدم الشّاعر الحركة في تشبيهه فهي تبطئ في مشيتها كالوحي الوجل، وأيضاً يشبهها بمرّ السّحابة سيرها وسط ليست بالمسرعة، ولا بالبطيئة.

وقال خالد الكاتب[١]:

لها من ظباء الرّمل عينٌ مريضةٌ ومن
ناضر الرّيحان خضرة حاجب
ومن بائع الأغصان قدّ وقامته
ومن حالك الحبر أسود الذوائب[٢]

شبّه نظرتها بنظرة الظبي، وغزارة حاجبيها بخضرة الرّيحان، وقامتها المعتدلة بالأغصان، وشعرها في سوداه كالحبر، تشبيه متعدد. تشبيه أربعة أشياء بأربع.

وقال أبو فراس الحمداني في وصف العيون:

وبيض كألحاظ العيون كأنما
هززن سيوفاً واستللن خناجرا
تصدّين لي يوماً بمنعرجِ اللّوى
فغادرن قلبي بالتّصبّر غادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهّلةً
ومّسن غصوناً والتفتن جازرا[٣]

شبّه الشّاعر لحظ عينيها بالسّيوف المهتزّة والخناجر المستلّة، وذلك في انعكاس الضوء النّاتج من الحركة، فتأثير هذه النّظرة على الشّاعر كأنّها طعنة خنجر وأيضاً شبههنّ بالبدور والأهلّة، وكذلك شبّه عيونهنّ بعيون الجآزر، وهي بقر الوحش التي تميّزت بعيون واسعة ساحرة.

---

(١) هو: أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب البغدادي، أصله من خراسان، كان في أيام المعتصم، وأحد الكتّاب في الجيش، كاتب وناقد وشاعر، شعره حسن رقيق، أكثر شعره في الغزل والحكمة. معجم الأدباء، ج١١، ص ٤٧.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣٢٣.

(٣) ديوان أبي فراس، ج٣، ص ٤٥٢، والمستطرف، ج١، ص ٣٢٣.

وقال برهان الدّين القيراطي[1]:

شبه السيف والبنان بعينيّ

من لقتلي بين الأنام استحلا

فأتى السّيف والسّنان وقالا

حدنا دون ذاك حاشا وكلا[2]

يقول الشّاعر: ألقت عليّ نظرة أصابت قلبي مثل طرف السّهام أو الرمح في حدّها، ونفي أن يكون ذاك مثل الحدّ أو القتل "إقامة الحدّ"؛ لأنّها قتلته بهذه النّظرات وهو ألطف وأرقّ.

وقال أبو تمّام:

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها

يوم الكريهةِ في المسلوب لا السّلب[3]

شبه الفرسان في المعركة كالأسود لا يحاربون من أجل الغنائم، ولكن من أجل دحر الأعداء، والنيل منهم، فالتشبيه بليغ لم يذكر فيه أداة التشبيه؛ لذا جعل الفرسان أسوداً في الشّجاعة.

وممّا قيل في البخل وجمع المال، قول أبو العبّاس أحمد بن مروان[4]:

وذي حرص تراه يلمّ وفرا

لوارثه ويدفع عن حماهُ

(١) هو: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر القيراطي، ولد سنة (٧٢٦هـ-١٣٢٦م). شاعر مبدع أخذ طريقة ابن نباتة في الصنعة، من مصنّفاته: "الوشاح المفصّل" و"الفنون"، "شذرات الذهب"، ج٦، ص ٢٦٩-٢٧٠، والأعلام، ج١، ص ٤٣.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣٢٧.

(٣) ديوان أبي تمام، ج١، ص ٨٤، والمستطرف، ج١، ص ٨٤.

(٤) هو: أبو العباس أحمد بن ولي العهد الموفّق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة (٢٤٢هـ)، وبويع له بالخلافة سنة (٢٧٩هـ). تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله المنشاوي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص ٣٦٤، والأعلام، ج١، ص ٥٩.

ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ

فريسته ليأكلها سواهُ[1]

صوّر البخيل الذي يحرص على جمع المال، ويدفع عن حماه لوارثه، بصورة كلب الصّيد الذي يجري ويلهث فيصطاد فريسته، ليأكلها غيره أو سواه. ووجه الشّبه صــورة منتزعة من متعدد، وهي الحصول على الشيء بعد بذل مجهود، وعدم الاستفادة منه.

وفي تشبيه الحسد، نجد قول ابن المعتز وأبي تمّام، فقال الأوّل:

أصبر على مضض الحسو   د فإنّ صبرك قاتلُهْ

النّار تأكل بعضهــــا   إن لم تجد ما تأكلُهْ[2]

شبّه الحسود إذا صبر عليه وسكت عنه وتركه لغيظه بالنّار التي لم تمر بالحطــب حتّى صارت تأكل بعضها.

وقال أبو تمّام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النّار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العُودِ[3]

شبّه الشّاعر الإنسان الفاضل الذي يظهر فضله على لسان حسوده الذي يحــاول أن ينال منه ويطمس جميع محاسنه، فيزداد المحسود جلالاً ورفعة وعلو قدر، ذلك ما أسرف الحسود في محاولة الضرر شبهه بالنّار لولا اشتعالها وانتشارها حولها لما عرف طيــب عرف العود، وبذلك اتّفق الشاعران بتشبيه الحسود بالنّار تحترق وتزحف حولها ولا تكتفي بنفسها، هذا حال الحسود ضرّه لنفسه ولغيره.

---

(١) المستطرف، ج١، ص٩٥.

(٢) ديوان ابن المعتز، ص ٣٩٨، والمستطرف ج١، ص ٢٧٢.

(٣) ديوان أبي تمام، ص ٣٩٧.

وقال الفرزدق في تشبيه الشيب:

والشيبُ ينهضُ في الشّباب كأنّه

ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ[١]

صوّر الشّيب في رأس الفتى الشّاب على أطراف رأسه كأنّه الليل المظلم الذي دخل عليه ضوء الصّباح. وهو تشبيه تمثيلي، وجه الشّبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وجـود شيء أسود في الوسط، وعلى جانبيه يحيطه بياض.

ويصف بشّار المعركة فيقول:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[٢]

شبّه صورة الغبار الذي يغشي ساحات المعركة فيظلمها، وقد لمعت فيها السّـيوف بصورة الكواكب التي تلمع أثناء تحرّكها وتساقطها في الظّلام. ووجه الشّبه هو بريق جسم أبيض وسط الظلام.

وقال امرؤ القيس في وصف فرسه:

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً

كجلمود صخر حطّه السّيل من عل[٣]

بالغ الشّاعر في وصف فرسه إذ جعله يتقن الكرّ والفرّ في الوقت نفسه، والإقبـال والإدبار، فهو نشيط ومدرّب على ذلك ففي سرعته هذه شبهه بالصـخرة الملسـاء التـي تنحدر من مكان عال، ويدفعها سيل من أعلى، ونحسّ بالحركـة المتمثّلـة فـي انـدفاع الصّخرة.

ومن صور التشبيه المفعمة بالحركة، تشبيه الحطيئة لأمّه بالغربال، وبالكانون مرّة أخرى في بعض أبياته يهجوها بقوله:

---

(١) ديوان الفرزدق، ص ٦٧، والمستطرف، ج٢، ص٤.

(٢) ديوان بشار، ج١، ص ٢٧٣. والمستطرف، ج١، ص ٨٤.

(٣) ديوان امرئ القيس، ص ١٩.

أغربالاً إذا استودعت سرّاً

وكانوناً على المتحدثينا(١)

فصورة الغربال هي أقرب وأصدق تعبير في إفشاء الأسرار لتعدد منافذه ونشر ما في جوفه.

وقال ابن الرّومي في مصلوب:

كأنّ له في الجوّ حبلاً يبوعه

إذا ما انقضّ حبل أتيح له حبلُ

يعانق أنفاس الرّياح مودّعاً

وداع رحيل لا يحط له رحلُ(٢)

رسم ابن الرومي صورة جميلة للمصلوب، حيث شبّه ذراعيه المبسوطتين على الفرع أو العود كأنّه شخص يبوع في حبل ويقيس طوله، وينتهي هذا ويأتي بذاك في عمل متواصل، أو كأنّه يودّع الريّاح وداع المفارق الذي لا عودة له. وفي التّشبيه تواصل واستدامة؛ لأنّه لا يزال يبوع حبلاً، لم يقبض باعه.

وكثير من الشّعراء يشبهون ممدوحيهم بالكواكب والشموس، فمن ذلك قول الشاعر:

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم

في الحادثات دجون نجومُ

منها معالم للهدى ومصابح

تجلو الدّجى والأخريات رجوم(٣)

وقال النابغة الذبياني:

فإنّك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يُبّد منهنّ كوكبُ(٤)

---

(١) ديوان الحطيئة، ص ١٠٨، والمستطرف، ج١، ص ٣٠٨.

(٢) ديوان ابن الرومي، ج٥، ص ٨٢.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٢٨٦.

(٤) ديوان النابغة، ص ٢٨.

ويقول آخر:

قوماً إذا اقتحموا العجاج رأيتهم

شمساً وخلت وجوههم أقمارا[١]

وقال كعب بن زهير:

والناظرين بأعين محمرةٍ

كالجمر ليس كليلة الإبصارِ[٢]

شبّه عيونهم بالجمر، ويعلل أنّ احمرارها ليس عن كلل، وإنّما يدلّ على شــجاعتهم وفرسيتهم.

(١) المستطرف، ج١، ص ٢٨٦.

(٢) ديوان كعب بن زهير، ص ٨٥، والمستطرف، ج١، ص ٣٠١.

المبحث الثاني

الاستعارة

الاستعارة لغة: "العارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء، وأعاره منه، وعاوره إيّاه، والمعاورة والتعاور شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين. فتعوّر واستعار: طلب العارية. واستعاره الشيء، واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إيّاه[١].

واصطلاحاً: يقول عبد القاهر الجرجاني: "أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي، معروفاً تدل الشواهد على أنّه يختص به حيث وضع، ثم يستعمله الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية[٢].

والذي يفهم من قوله إن الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير معناه الذي وضع له في أصل اللغة، وإن الاستعارة هي ليست نقل اسم عن شيء إلى شيء ولكنها إدعاء معنى الاسم لشيء[٣].

أما مفهومها عند السكاكي[٤] فجاء في قوله: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه وما يخصّ المشبه به[٥].

والمقصود في قول السكاكي في الاستعارة إنها ما هي إلا تشبيه حذف أحد طرفيه وأقيم الآخر مقامه وأثبت له صفته التي تخصه[٦]. أو إدعاء أنّ المشبه هو عين المشبه به وإنما وضعت المبالغة فيه والمبالغة فيها شرط[٧].

---

(١) لسان العرب، مادة (عور) .

(٢) أسرار البلاغة، ص ٣٦.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٤٣٧.

(٤) هو: سراج الدين أبو بكر (أبو يعقوب) يوسف بن أبوبكر بن محمد بن علي الخوارزمي، المعروف بالسكاكي، ولد بخوارزم سنة (٥٥٥هـ-١١٦٠م)، كان بارعاً في فنون شتى من الفقه وعلم الكلام واللغة والنحو والأدب والشعر، من مصنفاته "مفتاح العلوم" و"التنجيم واستطلاع الغيب" و"الرسالة الوالدية" توفى سنة (٦٢٦هـ-١٢٢٩م). شذرات الذهب، ج٥، ص ١٢٢، والأعلام، ج٩، ص ٢٩٤.

(٥) مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٣٦٩.

(٦) مفتاح العلوم، ص ٣٦٩.

(٧) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ط١، ١٩٨٧م، مكتبة الهلال، ج١، ص ١٠٩.

ولابد للاستعارة من ثلاثة أشياء، (مستعار) اسم المشبه به (مستعار منه) المشبه به سواء كان هو المذكور أو المتروك (ومستعار له) المشبه[١].

أمّا مفهومها عند أبي هلال العسكري[٢] فإنها نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض[٣] وهي عنده تعنى مجرد نقل العبارة أو اللفظ عن موضع استعمالها الأصلي في اللغة إلى موضع آخر لغرض يرمي إليه القائل، ولعل هذا الكلام ما نقده عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز من أن الاستعارة ليست هي نقل اللفظ عندما وضع له في أصل اللغة إلى غيره وإنما هي إدعاء معنى الاسم للشيء[٤].

أما عند ابن الأثير[٥] فإنها نقل المعنى من لفظ المشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليها ولابد من وجود قرينة تدل على مراد الاستعارة، سواء أكانت لفظية أو مفهومة من فحوى المعنى[٦].

ويعرّف الجاحظ الاستعارة بقوله: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره"[٧].

وقسّم عبد القاهر الاستعارة إلى قسمين وذلك بقوله: "ثم إنها تنقسم أولاً إلى قسمين أحدهما أن لا يكون للنقل فائدة. والثاني أن يكون للنقل فائدة"[٨].

---

(١) جواهر الكنز، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير، تحقيق د/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، ص ٥٥.

(٢) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، أبو هلال، لغوي أديب، شاعر ومفسر، من تصانيفه "الصناعتين في النظم والنثر" و"المحاسن في تفسير القرآن" و"جمهرة الأمثال" و"معاني الأدب". معجم المؤلفين، ج١، ص ٥٦٠. والأعلام ج٢، ص ٢٢٥.

(٣) الصناعتين، أبي هلال العسكري ، ص ٢٩٥.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٣٣٩-٣٤١.

(٥) هو: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، أبو الفتح ضياء الدين، ولد سنة (٥٥٨هـ-١١٦٣م)، أديب كاتب، من الوزراء، من مصنفاته "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" توفى سنة (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)، شذرات الذهب، ج٥، ص ١٨٨. ومعجم المؤلفين، ج٤، ص ٢٨.

(٦) المثل السائر، نصر بن محمد بن الأثير، ١٩٦٥م، المكتبة العربية، القاهرة، ج١، ص٣٥١-٣٥٢.

(٧) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٦٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤، ص٥٥.

(٨) أسرار البلاغة، ص ٢.

وقد حصرها في هذين القسمين، ومن التتبع لكلامه عن القسم الذي يكون مفيداً أنّه يقصد به الاستعارة المكنية التي اعتني بها لأنها تفيد معنى جيداً وتكسب الكلام رونقاً، وهو الذي عناها بقوله: "واعلم إن الاستعارة في الحقيقة هذا الضرب أي الاستعارة المفيدة. وهي أمد ميداناً وأشد افتناناً وأكثر جرياناً وأعجب حسناً وإحساناً"[(١)].

كما حصرها أبو هلال العسكري في قسمين هما: الاستعارة المصيبة التي تفيد معنى جديداً وتتضمن فائدة ما تأتي ضمنه الحقيقة والاستعارة غير المصيبة[(٢)].

ويجد الباحث إن الاستعارة عند السكاكي أكثر دقة لأنه قسمها لقسمين معروفين هما الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية.

ومن الاستعارات التي اختارها المؤلف من القرآن الكريم وذكرها في كتابه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[(٣)].

شبه الله سبحانه وتعالى الموت وهو شيء معنوي بشيء مادي وهو كل ما يطعم أو يؤكل ذكر المشبه الموت، وحذف المشبه به الطعام ورمز إليه بشيء من لوازمه ذائقة والقرينة إثبات الذوقان للموت والاستعارة مكنية.

وقال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[(٤)].

شبه الخلق بالصبغة لعدم الزوال، وذكر المشبه به الصبغة وتناسي المشبه واستعار الصبغة للخلق. وصرح على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾[(٥)].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢.

(٢) الصناعتين، ص ٢٩٥.

(٣) سورة الأنبياء ،الآية (٣٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .

(٥) سورة لقمان ، الأية (٦) .

الاستعارة في (يشتري) حيث شبه الله تعالى الاختيار بالشراء واستعار الشراء للاختيار واشتق من الشراء على سبيل الاستعارة الأصلية التبعية.

وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾(1).

شبه الصبح بالإنسان أو الحيوان الذي له روح فيتنفس، ذكر المشبه (الصبح) وحذف المشبه به (الحيوان) ورمز إليه بشيء من لوازمه (التنفس) والقرينة إثبات التنفس للصبح والاستعارة مكنية.

ومن اختيارات الاستعارة في كتاب المستطرف قول بعض الشعراء، قول عبد الله بن طاهر(2):

ألم ترَ أن الدهر يهدم ما بني

ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سرَّه أن لا يري ما يسؤوه

فلا يتخذ شيئاً ينال به فقدا(3)

شبه الدهر بالإنسان، واستعار له الهدم والبناء والأخذ والعطاء والفساد، والاستعارة مكنية.

وقال كُثير عزة(4)

رمتني بسهم ريشة الكحل لم يضر

ظواهر جلدي وهو للقلب جارحُ(5)

---

(1) سورة التكوير ، الآية (18) .

(2) هو: عبد الله بن طاهر بن الحسن الخزاعي، ولد سنة (180هـ-798هـ). أمير شجاع، كان المأمون كثير الاعتماد عليه، فولاه الشام. شذرات الذهب، ج2، ص 68. والأعلام ج4، ص 93.

(3) المستطرف، ج2، ص 28.

(4) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، أبو صخر : شاعر متيم مشهور من أهل المدينة توفي بالمدينة سنة (105هـ -763م) ، له ديوان شعر – ط . الأغاني ج 9 ، ص3123 .

(5) ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د/ إحسان عباس ، 1971م ، دار الثقافة ، ص 188.

المقصود بالسهم عينيها فقد شبه لحظهما بالسهم الذي هو أداة من أدوات الحــرب، حذف المشبه (نظرة عينها)، وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاســتعارة التصــريحية والقرينة كلمة (رمتني).

وقال السموءَل بن عادياء[(١)]:

يقربُ حبُ الموتِ آجالنا لنا

وتكرهه آجالهم فتطولُ[(٢)]

جعل آجالهم تكره، والذي يكره هو الإنسان، فشبه الآجال بالإنسان، وذكر المشــبه وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه. (تكرهه) والقرينة إثبات الكراهية للآجــال والاستعارة مكنية. ومن قول الإبشيهي:

نسيم الصبا بلغ سليمي رسائلي

بلطف وقُلْ عن حالِ صبك سائلي

كتمتُ غرامي في هواك ولم أبُحْ

بسر فباحت أدمعي برسائلي[(٣)]

شخّص الصبا واستعار له التبليغ مشبهاً له بالإنســان. وكــذلك شــخّص الــدّموع واستعار لها البوح بالأسرار مشبهاً لها بالإنسان. والاستعارة في كُلٍ مكنية.

وقال زيد بن علي[(٤)] رضي الله عنه:

السيف يعرف عزمي عند هزته

والرمح بي خبر والله لي وزر[(٥)]

---

(١) هو: السموءَل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي، حكيم، أشهر شعره قصيدته التي مطلعها: (إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه *** فكل رداء يرتديه جميل)، طبقات فحول الشعراء، ص ٢٧٩، والأعلام، ج٣، ص١٤٠.

(٢) ديوان عروة بن الورد والسمؤال بن عادياء، ١٣٨٤هــ-١٩٦٤م، دار صادر، بيــروت، ص ٩١، والمســتطرف، ج١، ص ١٧٥.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ١٧٦.

(٤) هو: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، مــن مصــنفاته "مجموع في الفقه" -ط. و"تفسير غريب القرآن خ". الإصابة. فوات الوفيات، ج١، ص ١٦٤. والأعلام، ج٥، ص ٥٩.

(٥) المستطرف، ج٢، ص ١٩١.

لالتصاق الشاعر بالسيف في حله وترحاله صار يعلم عزمه عند الشدة، فاستعار له المعرفة مشبّهاً له بالصديق الوفي وكذلك الرمح صار خبيراً بما يدور في عقل الشاعر وما يطلبه منه قبل أن تحركه أصابعه. شبه السيف والرمح بالإنسان والاستعارة مكنية.

وقال ابن منقذ:

أقول والليل في امتدادِ

وأدمع الغيث في انسفاحِ

أظنُّ ليلي بغير شك

قد بات يبكي على الصباحِ[١]

الاستعارة في قوله "أدمع الغيث" و"ليلي بات يبكي" ففي الأولى شبه قطرات الأمطار بالدموع حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وفي الثانية جعل الليل يبكي مشبهاً له بالإنسان (المشبه به المحذوف) والاستعارة مكنية.

وقال ابن المعتز:

جمع الحق لنا في إمام

قتل البخلّ وأحيا السماحا[٢]

شبّه البخل برجل مقتول، وشبه السماحة برجل بعثت فيه الحياة بعد القتل وحذف المشبه به في الموضعين ورمز إليه بشيء من لوازمه قتل وأحياء على سبيل الاستعارة التخيلية.

وقال ابن الوردي[٣]:

دهرنا أضحى ضنينا   باللقاء حتى ضنينا

يا ليالي الوصل عودي   أجمعينا أجمعينا[٤]

---

(١)المستطرف، ج٢، ص ١٩١.

(٢) ديوان ابن المعتز، ص ١٣٣.

(٣) هو: عمر بن مظفر بن عمر بن أبي الفوارس، أبو حفص زين الدين بن الوردي، شاعر أديب، مؤرخ، ولد بمعرّة النعمان، سنة (٦٩١هـ)، له ديوان شعر، و"أئمة المختصر" و"شرح ألفية بن مالك"، توفى سنة (٧٤٩هـ). شذرات الذهب، ج٦، ص ١٦١-١٦٢. والأعلام، ج٥، ص٦٧.

(٤) المستطرف، ج٢، ص ١٧.

وقال الموصلى[1]:

فسدت لطول بعادكم أحلامنا

وعقولنا وجفا الجفون منامُ

والطيف قد وعد الجفون بزورة

يا حبذا إن صحّت الأحلامُ[2]

طول البعاد والهجر بين الشاعر ومحبوبته جعلت أحلامه تفسد ويريد تلاشيها، فشبه أحلامه بشيء مادي يفسد ولا يرجي منه فائدة، وكذلك في البيت الثاني شخَّص الطيف وجعله يوعد بالزيارة مثل الإنسان، وفي الموضعين استخدم الشاعر الاستعارة المكنية.

ومن أمثلة الاستعارة عند المتقدمين قول زهير بن أبي سلمي:

صحا القلب عن ليلي وأقصر باطله

وعُرّيُ أفراس الصبا رواحلُهْ[3]

(أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه زمن المحبة من الجهل، وإعراضه عن معاودته فبطلت آلاته، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منهما الوطر فأهملت آلاتهما فاثبت لها الأفراس والرواحل، فالصبا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوّة ويحتمل أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفوس وشهواتها، والقوة الحاصلة لها في استعفاء اللذات، الأسباب التي قلما تتآخذ في إتّباع الغي إلاّ أوان الصبا فتكون الاستعارة تحقيقية [4][5].

---

(١) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن هارون بن بهمان، المعروف بالموصلي، فارسي الأصل، سكن والده الكوفة، وولد إبراهيم فيها، وبرع في نظم الشعر، توفى سنة (١٨٨هـ). شذرات الذهب، ج١، ص ٣١٨، والأعلام، ج١، ص ٥٠.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ١٧.

(٣) شرح ديوان زهير، ص ١٢٤.

(٤) الاستعارة التحقيقية، لتحقق معناها حساً أو عقلاً ، أي : التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه حسية أو عقلياً ، فيقال : إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي ، فجعل اسماً له علي سبيل الإعارة للمبالغة . الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب الغزويني ، ص ٣١٨ .

(٥) شرح ديوان زهير ، ص ١٢٤ .

وقال عنترة بن شداد[1]:

جادتْ عليها كلُّ عين ثرّة

فتركن كلُّ حديقةٍ كالدرهمِ[2]

استعار الشاعر الجود والعطاء للبكر وهي (السحابة الممتلئة بالماء) وأراد بالبكر إنها لم تمطر فشبهها بالإنسان الكريم مع حذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجود على سبيل الاستعارة المكنية.

وللنابغة:

وصدر أراح الليل عازب همه

تضاعف فيه الحزن من كل جانب[3]

استعار النابغة الراحة لليل ومشاركته له الهموم.

وللمتنبئ:

في الخد إن عزم الخليط رحيلا

مطر تزيد به الخدود محولا[4]

استعار المطر للدموع مع حذف المشبه (الدموع) وصرّح بلفظ المشبه به (المطر) على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن بديع الاستعارة قول أمرئ القيس:

وقد اغتدى والطيرُ في وكناتها

بمنجردٍ قيد الأوابدِ هيكلِ[5]

لما كان فرسه سريعاً يمنع الصيد من الفرار، وصفه بأنه قيد، والقيد هو ما يوضع في الرجل من الحديد فيمنع المقيد من الحركة، ومن هنا كان جمال الاستعارة فالفرس مانع

(١) هو: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قرادة العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهليّة ومن شعراء الطبقة الأولى، له ديوان شعر –ط. الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٥٠. والأعلام، ج٥، ص ٩١.

(٢) ديوان عنترة بن شداد، شرح د/ يوسف عيد، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، دار الجيل، بيروت، ص ١٦.

(٣) ديوان النابغة، ص ٣.

(٤) ديوان المتنبئ، ص ٥١.

(٥) ديوان امرئ القيس، ص ١٩.

للصيد من الفرار والشاعر تجاهل كلمة مانع وعبر عنها بالقيد لأنه يحول بين المقيد وبين الحركة، حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. وكـذلك امرؤ القيس من الذين جمعوا بين عدة استعارات في شعره فقال في أحد أبياته:

فقلتُ له لما تمطَّي بصلبه

وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ[1]

فجعل الشاعر لليل صلباً تمطي وجعل له أردافاً وأعجازاً، والاستعارة مكنية.

وقال النابغة الذبياني:

في إثر غانية رمتك بسهمها

فأصاب قلبك غير إن لم تقصد[2]

شبه نظرة عينيها برمي السهام، حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به السهام علـى سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال لبيد العامري:

وغداة ريح قد كشفت وقره

إذا أصبحت بيد الشمال زمامُهَا[3]

جعل الشاعر للشمال يد، مع العلم بأنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري عليـه اليد، حيث شبه الشمال بالإنسان، ذكر المشبه وحذف المشبه به ورمز إليـه بشـيء مـن لوازمه (اليد) والاستعارة مكنية.

وقال المتنبئ في وصف الحمى:

وزائرتي كأَن بها حياء

فليس تزورُ إلا في الظلامِ[4]

---

(١) ديوان امرئ القيس، ص ٩١.

(٢) ديوان النابغة، ص ١٠٦.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ط سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، دار صادر، بيروت، ص ٦٠.

(٤) شرح ديوان المتنبئ، ج٢، ص ١٤٦.

وقال أبو تمام:

تيقّنت أنَّ البينُ أوّل فاتك به

مذ رأيت الهجر وهو يغازله[(١)]

استعار الشاعر الفتك للبين، والمغازلة للهجر، مشبهاً البين بالحيوان المفترس والهجر بالحبيب الذي يغازل محبوبته، مع حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (الفتك) و(المغازلة)، والاستعارة مكنية ويشبه هذا قول أبو ذؤيب الهذلي[(٢)]:

وإذا المنيةَ أنشبت أظفارَها

ألفيتُ كل تميمةٍ لا تنفعُ[(٣)]

شبه المنية بالسبع وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي الأظافر.

وقال أبو دلف[(٤)] في شيبة بيضاء:

تكونني همّ لبيضاء نابتة

لها في مضمر القلب ثابتة

ومن عجب إني إذا رمت قصها

قصصتُ سواها وهي تضحك نابتة[(٥)]

جعل البيضاء وهي الشيبة تضحك مثل الإنسان، فاستعار لها الضحك، حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (الضحك) على سبيل الاستعارة المكنية.

وقال أبو تمام في المدح:

---

(١) ديوان أبي تمام، ص ٢٤.

(٢) هو: خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب الهذلي، من بني هذيل، من مدركة بن مضر، شاعر مخضرم، له ديوان شعر –ط. توفى سنة (٢٧هـ–٦٤٨م). شذرات الذهب، ج٣، ص ١٥٠.

(٣) شرح ديوان الهذليين، ١٩٥٠م، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج١، ص ٣٥٥.

(٤) هو: بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، شاعر، وناثر، من بيت رياسة ومجد، له ديوان شعر –ط. شذرات الذهب، ج٢، ص ٥٧. والأعلام، ج١، ص ٥٦٣.

(٥) المستطرف، ج٢، ص ٤.

رأيتك تعرك الحاجات حتى

تعيد بذلك أصبعها ذلولا[١]

استعار الحاجات وهي الشدائد ومصائب الدهر، استعار لها الأصبع مشبهها بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (إصبعها) والاستعارة مكنية.

وقال مطرف بن عبد الله البصري[٢]:

لا تحسبن الموت موت البلى

وإنما الموت سؤال الرجالِ[٣]

نجد أن هذا قصد يجعل السؤال موتاً، بل أراد أن في السؤال كراهة ومرارة مثل ما في الموت وأن نفس الحر تنفر منه والذليل كالميت كما أن خمول الذكر موت، لذا استعار السؤال للموت وهي من صفات الإنسان.

وقال عبد الله بن طاهر:

فما تنكر العينان فالقلب منكرٌ

وما تعرف العينان فالقلب عارفُ[٤]

استعار النكران للعينين والقلب فشبههما بالإنسان.

وقال السموءل بن عادياء:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضه

فكل رداءٍ يرتديه جميلُ[٥]

---

(١) ديوان أبي تمام، ج٢، ص ٦٤.

(٢) هو: عمر بن مطرف البغدادي، أبو الوزير، كاتب عالم بتقويم البلدان، تقلّد ديوان المشرق للمهدي والهادي والرشيد، وكان يكتب للمنصور، توفى ببغداد، من مصنفاته "منازل العرب وحدودها" و"مفاخرة العرب ومنافرة القبائل". معجم المؤلفين، ج٢، ص ٥٧٩، والأعلام، ج٥، ص ٢٢٨.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ٤٤.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٨٤.

(٥) ديوان عروة بن الورد والسموءَل بن عادياء، ص٩٠، والمستطرف، ج١، ص ١٧٥.

شبّه الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة بالرداء وكلما تمسك المرء بهذه الفعال لم يدنس عرضه ولم يتسخ، فشبه المعنوي بالمحسوس، حذف المشبه (الخصال الحميدة) وصرح بالمشبه به وهو (الرداء) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال ابن دقيق العيد(١):

وقائله مات الكرام فمن له
إذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت له من كان غاية قصده
سؤالاً لمخلوق فليس بنابه
إذا مات من يرجي فمقصودنا الذي
ترجيه باق فلوذي ببابه(٢)

شبه الشاعر في البيت الأول الدهر بالحيوان المفترس الذي له ناب حادة يعض بها، حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (العض)، وبما أن هناك علاقة قوية بين فقدان الشخص الكريم إذ فقده يحز في النفس ويشعرها بالألم، وبين عضة الحيوان المفترس، لذلك شبه الشاعر الدهر بالحيوان بجامع الألم في كل، والاستعارة مكنية.

وقال هارون بن جعفر الطالب(٣):

ما اكتسي الناس مثل ثوب اقتناع
وهو من بين ما أكتسبوا سربالي
لو تعلم الحوادث أني ذو
اصطبار على صروف الليالي(٤)

---

(١) هو: موسى بن علي بن وهب بن مطيع، القشيري، سراج الدين، دقيق العيد، ولد سنة (٦٤١هـ)، فقيه، له شعر حسن، من مصنفاته "المغني في فقه الشافعية"، توفى سنة(٦٨٥هـ). شذرات الذهب، ج٦، ص ٥-٦. والأعلام، ج٧، ص ٢٢٥.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٣٣.

(٣) هو: هارون بن جعفر بن إبراهيم، من نسل ابن أبي جعفر بن أبي طالب، شاعر في أيام المتوكل العباسي، وأكثر فيه من الرد على الزبير بن بكار في هجاءه لابن أبي طالب. الأعلام، ج٨، ص ٦٠.

(٤) المستطرف، ج٢، ص ٢٨.

شبه الصفات المعنوية ويقصد الأخلاق الحسنة مثل القناعة بالقليل والصبر على الحوادث بالشيء المادي وهو اللباس، حذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال برهان الدين القيراطي:

ذو جفون مذ رُمتُ كلاما

كلمتني سيوفهن محدة[١]

عبّرت عن ما تكنّه وأفصحت بالنظرة ، وهذا أبلغ مايكون إذ استعار الكلام للجفون.

---

(١) المستطرف ، ج٢، ص ١٧٤.

المبحث الثالث

الكناية

الكناية في معناها اللغوي هي مصدر كني يكنو، أو كنّي، فتكون لام الفعل يـــاء أو واو وإن كان الأقرب إلى الصواب أن تكون لامه ياء، لأن الياء التزمت في المصدر فقيل كناية ولم يقل كناوة، وسواء أكانت لام الفعل واو أو ياء فإن معنى هذا الفعل يدور في فلك الستر والتغطية. فالكناية ستر المقصود وراء لفظ أو عبارة أو تركيب أو هي كلام يتكلم به الإنسان ويريد غيره[(1)].

ومعني الكناية في اصطلاح البلاغيين هي: أن يري المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليــه وردفــه فــي الوجود، فيؤمئ إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (طويل النجاد) يريدون طويــل القامة، و(كثير الرماد) يعنون به كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمــراد أنهــا مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى[(2)].

وقد عرّفها أهل البلاغة بأنها "لغة ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره وهي مصدر كنيت أو كنوت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به".

واصطلاحاً: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع مــن إرادة المعنــى الأصلي[(3)].

والكناية من المجاز لأن اللفظ فيها لا يدل على المعنى المقصود حقيقة، وهي أبلــغ من التصريح وأكثر منها إيضاحاً للمعنى، ولذلك نجدها أبلغ من التصريح، فإنك لما كننت عن المعنى زدت في ذاته، فجعلته أبلغ وأشد، فليس المزية في قولهم كثير الرماد أنــه دل

---

(١) لسان العرب، مادة (كني) .

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٥٧.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيّد أحمد الهاشمي، ١٩٩٩م، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، ص ٢٧٢-٢٧٣.

على قرى أكثر، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه وأوجبته إيجاباً هو أشد، وأدعيته دعوى هو بها أنطق، وبصحتها أوثق[١].

وهو أن يُكن عن الشيء ويعرض به ولا يصرّح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء. وفي كتاب الله قال عز وجل: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[٢]. كناية عن الجماع[٣].

وتنقسم الكناية باعتباراتها المختلفة إلى ثلاثة أقسام: "كناية عن صفة وموصوف ونسبة". والفرق بين الكناية والاستعارة أن الكناية جزء من استعارة فنسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام، فحينئذٍ كل كناية استعارة، وليست كل استعارة كناية. واختلف علماء البيان في الكناية، فمنهم من قال أنها من باب الحقيقة، ومنهم من قال إنها من باب المجاز ومنهم من يحكم فيها بحقيقة ولا مجاز"[٤].

وأما من جعلها من باب المجاز فكثر من علماء البيان، واحتجوا بأن تكون الكناية تبصراً عن معنى لا يذكر بلفظه الموضوع له، بل لفظ يدل عليه فيعبر به عن ذلك المعنى ويقول إن المجاز بالكناية ليس من جهة الإفراد بل من جهة التركيب مثل قوله: (فلان نهاره صائم وليله قائم) فنسبة الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل هو المجاز، وأما من قال إنها لفظة تجاذبها جانباً حقيقة ومجاز ضياء الدين بين الأثير الجزري ومن يقول بقوله. واحتجوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ وقالوا: إن ذلك يجوز جملة على الحقيقة والمجاز. ومن أمثلة الكناية من خلال النصوص القرآنية التي وردت في كتاب المستطرف قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[٥].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٥٨.

(٢) سورة النساء ، الآية (٤٣) .

(٣) الصناعتين، ص ٤٠٧.

(٤) جواهر الكنز، ص ١٠١-١٠٢.

(٥) سورة الحج ، الآية (٢) .

وضّح الله سبحانه وتعالى صفة الخوف المتصلة في أذهان المرضعة لطفلها وزاد عليه أن تضع ذات الحمل حملها، وحركة الناس المضطربة وكأنهم سكارى مبيناً ذلك اليوم "يوم القيامة".

وقال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾(١).

وكذلك تظهر صفة الخوف المتصلة في زوغان أبصارهم وبلوغ قلوبهم الحناجر من شدة الهلع.

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾(٢).

فالكناية في الآية الكريمة هي في قوله: (يقلب كفيه) والصفة التي تلزم من تقليب الكفين هي الندم والحزن، لأن النادم والحزين يغفلان ذلك عادة، فالتقليب في مثل هذا الموقف كناية عن صفة الندم والتحسر.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٣).

الكناية في قوله تعالى (مُسْوَدًّا)، والصفة هي الغضب، لأن الحالة النفسية التي تنعكس عن الغضب هي التي تلزم تغير لون الوجه لذا كنى سبحانه وتعالى عن صفة الغضب بالسواد في الوجه.

ومن اختيارات الكناية التي وردت في كتاب "المستطرف" قول زياد الأعجم:

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والندى
في قبة ضُربتْ على بن الحشرجِ(٤)

أراد الشاعر أن ينسب السماحة والمروءة والكرم لابن الحشرج، فعدل عن نسبته إليه مباشرة ونسبهم إلى ما له اتصال بقبته.

(١)سورة الأحزاب ، الآية (١٠) .
(٢) سورة الكهف ، الآية (٤٢) .
(٣) سورة النحل ، الآية (٥٨) .
(٤) المستطرف، ج١، ص ٢١٣.

وقال أبو تمّام:

تعود بسط الكف حتى لو أنه

ثناها لقبض لم تجبه أنامُلهْ

لو لم يكن في كفه غير روحه

لجاد بها فليتقِ الله سائلُهْ(١)

كنى المتنبئ عن كرم ممدوحه الفياض ببسط الكف وأنه إذا دعاها لتنقبض لم تطعه أنامله، وزاد علي ذلك لو أنه يتجود بروحه لو لم يجد غيرها.

وقال الفرزدق:

إن الندى ألقى إليك رحاله

فبحيث بتّ من المنازل باتا(٢)

توصل الشاعر إلى إثبات الصفة الممدوحة بإثباتها ونسبتها إلى منزله وهي صـــفة الكرم التي عدل عن التصريح بها ونسبها إلى دياره.

وقال النابغة الذبياني:

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ(٣)

كنى عن طول الليل ببطء الكواكب وكأنها لا تتحرك.

وقال على بن الجهم(٤):

أراقد الليل مسروراً عدمت إذا

عيني وأحمد يرعي ليله وصبا(٥)

في قوله: "أحمد يرعي النجوم" كناية عن السهر والأرق.

---

(١) ديوان أبي تمام، ص ٢٩، والمستطرف، ج١، ص ٢١٣.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢١٣.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتحقيق كرم البستاني، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م، دار صادر، للطباعة والنشر، ص ١١٨.

(٤) هو: أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن مسعود القرشي السالمي، شاعر مفلق مطبوع، من أهل بغداد، عاصر أبا تمام، واختصّ بالمتوكل العباسي. معجم المؤلفين، ج٧، ص ٥٤. والأعلام، ج٤، ص ٢٩٦.

(٥) المستطرف، ج١، ص ٢٢.

وقال أبو الطمحان :

وإني من القوم الذين هم هم

إذا مات منهم سيد قام صاحبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

إذا بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

وما زال فيهم حيث كان مسوَّدا

تسير المنايا حيث سارت ركائبه[١]

وصفهم في البيت الأول بالشجاعة التي كنى عنها بقوله: إذا مات سيد خلفه آخر لا يقل عنه قوة وبسالة وفي البيت الثاني صفة النقاء وأصالة النسب حيث جعل وجوههم تضئ وفي البيت الثالث ينسب الموت إلى من يسودوه، وأنّ المنايا تسير حيث تسير ركائبه.

وقال حسان بن ثابت في المدح:

بيضُ الوجوه كريمة أحسابُهم

شَمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأولِ[٢]

اشترك حسان مع الشاعر السابق في وصف ممدوحيه بالنقاء وأصالة الحسب والنسب، وزاد حسان بأن نفوسهم عالية، كناية عن العلو والرفعة والأصالة.

ويقول المتنبئ في المدح:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا

فأهون ما يمرُّ به الوحولُ

يحيد الرمح عنك وفيه قصد

ويقصد أن ينال وفيه طولُ

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٣٢٣.

(٢) شرح ديوان حسان، ص ٣٦٦. والمستطرف، ج١، ص ٣٢٣.

فلو قدر للسنان لسان

لقال لك السنان كما أقولُ[(١)]

كنى الشاعر عن شجاعة ممدوحه بأن جعله يخوض المنايا كما يمشي في الوحل وأن الرمح حاد عنه وقصر مع استقامته وطوله ولم يطعنه وإنما لم يقصر عن سواه.

وقال ابن المعتز:

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي

فعرضن عني بالخدود النواضرِ[(٢)]

كنى عن كبر سنه بأن الشيب لاح بمفرقة ولم يصرح عن ذلك، فأعرضن عنه الفتيات الحسناوات.

وقال أبو العتاهية:

ما دري نعشه ولا حاملوه

ما على النعشِ من عفاف وجود[(٣)]

أراد الشاعر وصف ممدوحه بالعفاف والجود فلم يصرح بهما مباشرة وإنما نسبهما إلى شيء يتعلق به وهو نعشه.

وقال آخر:

وإن حلفت إن ليس تنقض عهدها

فليس لمخضوبِ البنان يمينُ[(٤)]

كنى عن النساء بمخضوب البنان، "كناية عن موصوف".

وقال بشار بن برد:

---

(١) شرح ديوان المتنبئ، ص ٥.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٤.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٨٤.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤٦.

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة

ذرا منبراً صلي علينا وسلما[(١)]

هذا القول في غاية الجزالة، وكلام أقرب إلى الشعر الجاهلي منه إلى العباسي، إذ وصف الشاعر قومه بأنهم أقوياء إذا غضبوا هتكوا الشمس واخترقوا السماء فتسيل دماً ونسبهم إلى قبيلة "مضر" التي هي من أصل قريش، ويثني عليهم الآخرون، كناية عن علو المكانة ومقامهم السامي بين القبائل.

وقال السموءَل بن عادياء:

وما مات منا سيد حتفَ أنفه

ولا طلَّ منا حيثُ كان قتيلُ

إذا سيد منا خلا قام سيدٌ

قؤول لما قال الكرام فَعُولُ

وننكرُ إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

وما أُخمدتْ نار لنا دون طارقٍ

ولا ذمنا في النازلين نزيلُ[(٢)]

كنى عن الشجاعة في البيت الأول بأنهم لا يموتون إلا في ساحات المعركة وإذا مات فيهم سيد يحل محله آخر وصفه بسداد الرأي والحكمة في القول والفعل كما وصف قومه في البيت الثالث بأنهم ذوي عقل راجح، وكنى في البيت الأخير عن صفة الكرم بأسلوب رائع وذلك بجعله نيرانهم لا تنطفئ دون أن يقدم زائر ليلاً ولم يذمهم نزيل.

وقال حسان بن ثابت:

---

(١) ديوان بشار، ج٢، ص ٤٩٧.

(٢) ديوان عروة والسموؤال بن عادياء، ص٩١. والمستطرف، ج١، ص ١٧٥.

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة

إن الخلائق فأعلم شرها البدع[١]

تتجلى فصاحة البيت في حذف المسند إليه (هم) في صدر البيت وذلك لتقوية المدح ووصفهم بالشجاعة التي كني عنها بإلحاقه الضرر بعدوهم، والنفع لمن يحتمي بهم.

وقال صفي الدين الحلِّي في الخمر:

بدت لنا الراح في تاج من الحبب

فحرقت حلة الظلماء باللهب

بذلت عقلي صداقاً حين بث به

أزاوج ابن السحاب بابنة العنب[٢]

يكنى الشاعر عن الماء "بابنة السحاب" وعن الخمر "بابنة العنب" كناية عن موصوف في كليهما.

ولبشار بن برد:

ومخضب رخص البنان

بكي عليّ وما بكيته[٣]

كنى عن المرأة أو المحبوبة بـ(المخضب) وهي كناية عن موصوف. وفي قول أبي نواس مادحاً الخصيب:

فما جازه جودٌ ولا حلَّ دونه

ولكن يسير الجود حيث يسيرُ[٤]

---

(١) ديوان حسان، ج١، ص ١٠٢. والمستطرف، ج١، ص١٧٥.

(٢) المستطرف، ج١، ص ١٧٥.

(٣) ديوان بشار بن برد، ج١، ص ٣٩٢.

(٤) ديوان أبي نواس، ص ٣٢٨.

فالصفة الحسنة التي مدحه بها هي صفة الجود التي تلازم الخصيب وتتبعه كظله لا تفارقه وهي كناية عن نسبه.

وفي معنى مقارب لقول أبي نواس نجد البحتري يقول:

أما رأيت المجد ألقى رحله

في آل طلحة ثم لم يتحولِ[1]

جعل المجد يلقى رحله ويستقر عند آل طلحة، وفي ذلك كناية عن نسبة الشرف والسيادة.

وقال ابن هرمة[2]:

وما يكُ فيّ من عيبٍ فإني

جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ[3]

كنى عن كرم نفسه وعن كثرة القرى والضيافة بجبن الكلب وهزل النوق التي لم تفطم، ولو صرح لقال كلبي لا يهرّ في وجه من يزورني من الأضياف وأني أنحر النوق وأدع فصالها هزلي.

ويشترك معه الحطيئة في المعنى فيقول:

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل[4]

كذلك ترك الهرير للكلاب يدل على جبنهم وذلك لمشاهدتهم وجوهاً إثر وجوه، وهي مستقرة بكثرة وتردد الضيفان ومن ذلك أراد وصفهم بالكرم، فالأول كنى عن ذلك بجبن الكلب والثاني كنى بعدم هريرها.

وقال ابن هرمة:

---

(١) ديوان البحتري، ص ١٧٤٩.

(٢) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني، القرشي، شاعر مفلق مجيد حسن القول، أدرك الدولتين الأموية والعباسيّة، تاريخ بغداد، ج٦، ص ١٣٧. والأعلام ج١، ص ٥٠.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٢٣٧.

(٤) ديوان الحطيئة، ص ١٠١.

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً

يكلمه من حبه وهو أعجمُ[١]

فنجد المبالغة في الكناية إذ جعل الكلب يكاد يكلم الضيفان ويرحب بهم مع أنه لا يستطيع النطق، أري أن ابن هرمة قد تفوق على سابقه وكان أكثر إصابة للمعنى وقوة في وصف قومه بالكرم.

وقال ابن منقذ:

لما رأيت النجم ساه طرفه

والقطب قد ألقى عليه سُباتا

وبناتُ نعشٍ في الحِداد سوافرٌ

أيقنتُ أن صباحهم قد ماتا[٢]

كنى الشاعر عن طول الليل في البيت الأول بجعله النجم ساه طرفه والقطب ظل ثابتاً لا يتزحزح، وكنى عن النجوم ببنات نعش وهي كناية عن موصوف.

وقال البحتري:

يقضون فضل اللحظِ من حيث ما بدا

لهم عن مهيبٍ في الصدورِ محببُ[٣]

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهم إياه، بغض البصر الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال.

وقالت الخنساء في صخر:

نعم الفتى كان للأضياف إذ نزلوا

وسائل حلّ بعد النوم محروب

---

(١) الحماسة، أبو العباس أحمد بن عبد السلام البجراوي، تحقيق د/ محمود رضوان الداية، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، ج٢، ص ٢٤٨.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ١٩١.

(٣) ديوان البحتري، ص ١٩٢.

كم من منادٍ دعا والليل مكتنع

نفست عنه حبال الموت مكروب[١]

كنت عن صفة الكرم بأن جعلت داره منزلاً للأضياف وملجأ وملاذاً للمحروب الذي سلب ماله ليلاً، وكنّت عن شجاعته المتمثلة في إغاثته للمكروب الذي أوشك على الهلاك بقولها نفست عن المكتنع وازحت عنه حبال الموت.

وللحسن بن مطير الأسدي:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم

ما كان في الناس إلا أنت معبودُ

أضحت يمينك من جودٍ مصورة

لا بل يمينك منها صوَّرُ الجودُ

ولو أن من نوره مثقال خردلة

في السودُ طرّاً إذن لأبيضّت السُّودُ[٢]

جمع الشاعر كل الصفات الجميلة في ممدوحه إذ أنه اعتبر الجود هو الذي يأخذ من يمينه وكأن يمينه صارت فوق الجود، ولو كان هناك شيء صغير من نوره لتحول كل السواد إلى بياض فإن الصفة التي وصفه بها الكرم وعلو المكانة والنقاء. تأثر الأسدي في ذلك بقول حسان بن ثابت في مدحه للرسول ﷺ:

ما إن مدحت محمداً بمقالة

لكن مدحت مقالتي بمحمدِ[٣]

وقال آخر:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم لقيل أقعدوا يا آل عباسِ

---

(١) شرح ديوان الخنساء، ص ١٧.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٢٩٦.

(٣) الطراز، يحي بن حمزة العلوي، ١٢٢٢هـ-١٩١٤م، دار الكتب، مطبعة المقتطف، مصر، ج٣، ص١٩٣.

ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا

إلى السماء فأنتم سادة الناسِ[1]

نجد في هذه الأبيات غلو ومبالغة مقبولة في الوصف وقوة خيال الشاعر من استخدامه كلمة (لو)، إذا أراد أن يقول: لا يوجد من هو أعلى منهم، فكنى من ذلك لو يقعد فوق الشمس، كناية عن الرفعة وعلو المكانة في الخصال الحميدة وأهمها الكرم.

ويقول حسان بن ثابت مفتخراً:

ونحن إذا لم يبرم الناس أمرهم

نكون على أمرٍ من الحق مبرمِ

ولو وزنت رضوى بحكم سراتنا

لمال برضوى حلمنا ويلملمِ[2]

يصفهم بأنهم قوم يبتون الأمور وذلك حين يعجز الناس جميعاً عن إبرامها أو ننقصها لمالهم من نفاذ الكلمة وعلو المقام، ووصفهم بالحلم والسماحة.

وقال بشار بن برد:

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح

وما بال ضوء الصبح لا يتوضحُ[3].

كنى عن طول الليل بأن الدجى لا يتزحزح والصبح لا ينجلي، وأكد على ذلك بقوله أم أن الدهر صار كله ليل لا يبرح كناية عن معاناة الشاعر من طول ليله.

وقال الأخطل:

أسيلة مجرى الدمع أمّا وشاحها

فجار وأمّا الحجل منها فما يجري[4]

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) ديوان حسان، ج١، ص ٦٣.

(٣) ديوان بشار، ج١، ص ٤٦٢، والمستطرف، ج٢، ص ١٩١.

(٤) ديوان الأخطل، ص١٥١.

كنى الشاعر عن نعومة خد محبوبته بكلمة أسيلة و"مجرى الدمع" هو الخد كناية عن موصوف، ووصفها بضمور الخصر وكنى عن ذلك بقوله وشاحها جار، وامتلاء ســـاقيها كنى عنه بقوله وأما الحجل فما يجري.

المبحث الرابع

الحقيقة والمجاز

الحقيقة في اللغة: هي من حق يحق وحقوقاً، وصار حقاً وثبت[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]، أي ثبت، أو هي كل كلمة أريد بها ما وضعت له في وضع واضح وقوعاً لا يسند إلى غيره[٣].

وهي ضربان: لغوية وهي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب. وعقلية وهي إسناد الفعل أو ما في معناها إلى وصله عند المتكلم في الظاهر[٤].

والمجاز لغة: "من جاز أو جاوز له وجازه سالكه وسار فيه وجزت الموضوع سرت فيه وأجزته وقطعته، والمجاز الطريق والمسلك"[٥].

وعلينا أن نعرّف الحقيقة وهي: "كل كلمة أريد بها ما وضعت له في وضع واضح وقوعاً لا يستند إلى غيره"[٦].

وذهب السكاكي في تعريفه للمجاز فقال: "هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة المعنى في ذلك النوع[٧].

بينما جمع أبو هلال العسكري المجاز مع الاستعارة في باب واحد فقال: الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصيل الثقة إلى غيره لغرض[٨].

---

(١) لسان العرب، مادة (حقق) .

(٢) سورة يس ، الآية (٧) .

(٣) أسرار البلاغة، ص ٣٠٣.

(٤) علوم البلاغة، المراغي، ط٢، ١٩٨٦م، دار العلم، بيروت، ٢٤٧.

(٥) لسان العرب، مادة (جوز)، ج١٥، ص ٣٤٦.

(٦) أسرار البلاغة، ص ٢١٨.

(٧) مفتاح العلوم، ص ١٩٢.

(٨) الصناعتين، ص ٢٩٥.

أما ابن الأثير فقال: "المجاز ما أُريد به غير الموضوع له في أصيل اللغة وهو مأخوذ من جاز هذا الموضوع إذا تخطاه إليه"[١].

والمجاز عند السلف من علماء البلاغة قسمان: لغوي، ويسمي مجازاً مفرداً وعقلي ويسمي مجازاً في الجملة[٢]. فالمجاز العقلي يكون في الإسناد بحيث يستند الفعل إلى غير ما هو له[٣]، أما المجاز اللغوي هو نقل الألفاظ من دقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى بينهما جملة مناسبة وهو قسمان:

أ/ مجاز العلاقة وفيه غير المشابهة وهو المجاز المرسل[٤]. وحرص علماء البيان على تعقيب علاقات المجاز المرسل واختلفوا في ذكر هذه العلاقات تبعاً لتباين مناهجهم فقد ذكر الخطيب القزويني ثماني علاقات[٥]. وبتعريفه للمجاز المرسل بقوله: "تقوم على نقل أصل ما وضع له في اللغة إلى غير ما وضع له لملابسة أو مناسبة أو عبارة أخرى لعلاقة تراعي بين طرفي الصورة"[٦].

فإذا نظرنا إلى المجاز في القرآن الكريم من خلال النصوص التي وردت في كتاب المستطرف نجد قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[٧].

أراد الله سبحانه وتعالى بأصابعهم طرف الأصبع أو جزء منه وذلك لاستحالة دخول الأصبع في الأذن وأطلق الكل، فالمجاز مرسل علاقته الكلية.

وقال تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٨].

فالمعنى المراد بيد الله (قدرته) وبما أن اليد سبب في القدرة والقدرة مسببة عن اليد فالمجاز علاقته السببية.

---

(١) المثل السائر، ص٧٥.
(٢) العمدة، ج٢، ص ٢٣٢.
(٣) مفتاح العلوم، ص ٢١٢.
(٤) المرجع السابق، ص ١٩٥.
(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١١٩.
(٦) المرجع السابق، ص ٢٣٣.
(٧) سورة لبقرة ، الآية (١٩) .
(٨) سورة الفتح ، الآية (١٠) .

في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[1].

يريد الله تعالى بكلمة (لسان) لغة، وذلك لأن اللسان هو آلة هذه اللغة ووسيلتها التي تعتمد عليها وعلى هذا الأساس تكون لفظة اللسان مجاز مرسل علاقته الآلية.

وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾[2].

المراد من كلمة قوة الأسلحة لأنها سبب في القوة والقوة مسببة فالمجاز مرسل علاقته المسببية.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴾[3].

ليس المقصود من الإطعام المعنى الحقيقي من الأكل والشراب وإنما الإطعام الذي يريده الله سبحانه وتعالى إطعاماً معنوياً.

ومن أمثلة المجاز التي وردت في كتاب المستطرف عند بعض الشعراء:

قول زياد الأعجم:

إن المنابر أصبحت مختالة

بمحمد بن القاسم بن محمدِ[4]

نجد أن كلمة منابر استخدمت استخداماً مجازياً لأنها لا تختال والاختيال صفة البشر.

وقال آخر:

من زار بابك لم تبرح جوارحه

تروي أحاديث ما أوليتُ من مننِ[5]

شخص الجوارح وألحق لها صفة الرواية أو الحديث مشبهها بالإنسان.

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٧٩) .

(٤) المستطرف، ج١، ص ٣٣٢.

(٥) المصدر السابق ، ج٢، ص ٥٣٥.

وقال الشافعي:

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم

سوى من غدا والبخل ملء إهابهِ

فجردت من غمد القناعة صارماً

قطعت رجائي منهم بذبابهِ[(١)]

جعل الشاعر للدنيا أبناء فالحق عليهم صفات الإنسان مثل البخل، فإن الدنيا استخدمت مجازياً، وكذلك القناعة وهي شيء معنوي يشبهها بالسيف داخل غمده ينصل فيقطع الرجاء والأمل وهما شيئان معنويان.

ومن الاختيارات الشعرية للمجاز المرسل من كتاب "المستطرف" قول أبي نواس:

إذا نحن أثنينا عليك بصالحِ

فأنت كما نثني وفوق الذيُ نثني

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحه

لغير إنسانا فأنت الذي نعني[(٢)]

يريد بالألفاظ قصائده التي قالها في ممدوحه، أراد الكل وأطلق الجزء فالعلاقة جزئية.

وقال طرفة بن العبد[(٣)]:

فإن مت فانعيني بما أنا أهله

وشقي على الجيب يا ابنة معبدِ[(٤)]

ذكر الجيب وأراد الثوب كله، وذلك لأن الشق من الجيب ممكناً، فالمجاز المرسل علاقته الجزئية.

---

(١) المستطرف ، ج٢، ص ٤٤.

(٢) ديوان أبو نواس، ص ٦٤٧. والمستطرف، ج١، ص ٣٣٢.

(٣) هو: أبو عمرو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس، شاعر جاهلي مخضرم، من أصحاب المعلقات، له ديوان شعر –ط. الشعر والشعراء، ج١، ص ١١٧-١٢٦. والأعلام، ج٣، ص٢٢٥.

(٤) ديوان طرفة، تحقيق علي الجندي، دار صادر، بيروت، ص ٣٩.

وقال الإمام السبكي رحمه الله:

ليس كل ذي عِلمٍ عليه

فكم علم عليه ضم التراب

وكم كَلَمَ موانع قد

أتته ثناها وهي عاصبة صعاب[١]

في البيت الأول استخدم الشاعر كلمة (علم) استخدام مجازي فما المقصود بضم التراب للعلم وإنما العالم، واستخدم كلمة (كَلَم) بمعني المسائل العلمية التي تستعصي على الطلاب، فأطلق الجزء وأراد الكل فالعلاقة جزئية.

ولذي الرمة:

وشعر قد أرقت له غريب

أجنبه المساند والمحارا

فبت أقيمه وأقدمنه

قوافي لا أريد لها مثالا[٢]

أراد بالقوافي القصائد فأراد الكل وأطلق الجزء فالمجاز علاقته الجزئية.

وقال الفرزدق:

إذا ما قلت قافية شروداً

تتنحلها ابن حمراء العجان[٣]

المراد بالقافية (قصيدته) التي هجا بها بن حمران، فأراد الكل وأطلق الجزء والمجاز علاقته الجزئية. وقال أبو نواس:

لا ترجع الأنفس عن غيها

ما لم يكن منها لها زاجرُ[٤]

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٣٧٠.

(٢) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٥٣٢-١٥٣٣.

(٣) نقائض جرير والفرزدق، ١٩٦٤م، دار المعرفة، بغداد، ص ١٢٥.

(٤) المستطرف، ج٢، ص ٣٧٦.

بما أن النفس جزء من الإنسان، أراد الشاعر زجره وذلـك لأن الـنفس لا يمكـن زجرها، فالمجاز مرسل علاقته الجزئية.

وللمتنبئ:

أقمت بأرض مصر فلا ورائي

تخب بي الركاب ولا أمامي[١]

لم يقم الشاعر في كل الأرض المصرية، وإنما أقام في جزء منها، فالشـاعر أراد الجزء وأطلق الكل فالعلاقة كلية.

وقال أبو سفيان بن الحرث في رثائه للنبي ﷺ:

فقدنا الوحي والتنزيل فينا

يروح به ويغدو جبريل

وذاك أحق ما سالت عليه

نفوس الناس أو كادت تسيل[٢]

أراد الشاعر بالنفوس (الدماء) لأن النفس سبب في الدماء والعلاقة سببية.

وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحداً علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٣]

الجهل الأولي حقيقة ومعناها الاعتداء- والثانية استخدمت استخدام مجازي بمعنـى المكافأة، مكافأة الجهل، والعلاقة سببية.

وقال آخر:

إذا ذكر أياديك التي سلفت

مع قبح فعلى وزلاتي ومجترمي

(١) ديوان المتنبئ، ص ٤٥.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٣٦٧.

(٣) معلقات العرب، ص ١٧٦. والمستطرف، ج١، ص ٢٣٢.

أكاد أقتل نفسي ثم يدركني

علمي بأنك مجبول على الكرمِ(١)

كلمة أيادي تعني إحسان الممدوح وعطائه (لأن اليد سبب في العطاء فالمجاز المرسل علاقته السببية).

وقال المتنبي:

له أياد على سابغه

أعدُ منها ولا أعددها(٢)

أراد المتنبئ ذكر نعم الممدوح عليه وأفضاله المتعددة، فلم يعبر عنها بشكل مباشر ولكن قام بذكر سبب هذه النعم وصعوبة حصرها وهي الأيدي التي تجزل العطاء، وأراد المسبب عنها فالمجاز مرسل علاقته السببية.

وقال جرير بن عطية:

إذا سقط السماء بأرض قومٍ

رعيناه وإن كانوا غِضابا(٣)

أراد الشاعر بكلمة السماء المطر؛ لقربه منه ويجوز أنه يريد بالسماء السحاب لأن كل ما أظلك فهو سماء وكلمة سقط يريد بها النبات لأنه متسبب من المطر، والمطر سبب لإنباته فهو يريد مسبب والعلاقة مسببية.

وقال جرير:

قل للجبانِ إذا تأخر سرجَه

هل أنت من شَرَكِ المنية ناجي(٤)

---

(١) المستطرف ، ج١، ص ٢٤٦.

(٢) شرح ديوان المتنبئ، ج٢، ص ٢٨.

(٣) البيت ليس لجرير، وإنما لمعاوية بن مالك بن جعفر، معاهد التنصيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محي الدين محمد محي الدين، ١٩٤٧م، عالم الكتب، بيروت، ص ٣٠٣. وفي الصناعتين، ص٢٧٦، والموازنة بين أبي تمام والبحتري، للآمدي، ط٢، ١٩٥٩م، المكتبة العلمية، القاهرة، ص ٣٤.

(٤) شرح ديوان جرير، ص ٩٠، والمستطرف، ج٢، ص ١٧٧.

عبَّر الشاعر بالسرج وأراد الراكب عليه، من إطلاق اسم المحل على الحال.

وقال الأعشى:

وكأس شربت على لذةٍ

وأخرى تداويت منا بها[(١)]

أراد الأعشى بكلمة كأس (الشراب) فأراد الحال وذكر المحل فالمجاز علاقته المحلية.

وقول ابن الزيات[(٢)] في رثاء زوجته:

ألا من رأي الطفل المفارق أمه

بعيد الكرى عيناه تبتدران[(٣)]

فقوله: (عيناه) مجاز مرسل علاقته المحلية فقد ذكر العينين وأراد الدمع والذي سوّغ له هذا وجود علاقة المحلية بين اللفظ المذكور والمعنى المجازي المقصود، لأن الدمع محله العينين والقرينة التي منعت من إرادة المعنى المباشر قوله تنسكبان.

ولأبي فراس ابن حمدان:

لئن خلق الأنام لحسو كأس

ومزمارٍ وطنبور وعودِ

فلم تخلق بنو حمدان إلا

لمجد أو لبأس أو لجودِ[(٤)]

المراد بالكأس (الخمر) وبما أن الكأس محلاً لها فالمجاز علاقته المحلية.

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٢٤.

(٢) هو: محمد بن عبد الملك بن أبّان بن حمزة، أبو جعفر المعروف بابن الزيات، ولد سنة (١٧٣هـ-٧٨٩م)، كان وزير المعتصم والواثق العباسيين، عالم باللغة والأدب، ومن بلغاء الكتّاب والشعراء، له ديوان شعر -ط. وفيات الأعيان، ج٢، ص ٥٤، والأعلام، ج٦، ص ٢٤٨.

(٣) العمدة، ج٢، ص ١٥٦.

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٩٧. والمستطرف، ج١، ص ٣٣٥.

وقال آخر:

وإذا البلاد تغيرت عن حالها

فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضاً واجبا

في بلدة تدع العزيز ذليلاً(١)

إن البلاد لا تتغير وإنما أهلها، فأراد الشاعر الحال وذكر المحل فعلاقة المجاز محلية.

وقال أبو العلاء المعرّي:

فللشام الوفاء وإن سواه

توافى منطق غدر اعتقادا(٢)

ففي قوله: (الشام) مجاز مرسل علاقته المحلية، حيث أنه ذكر المحل الشام وأراد من يحل فيه وهم أهله، لأن المكان لا يوصف بالوفاء أو الغدر ولكن من يحل به:

وقال المتنبئ في المديح:

ليت المدائح تستوفى مناقبه فما

كليب وأهل الأعصر الأولِ

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به

في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وقد جرت مكان القول ذا سعةٍ

فإن وجدت لساناً قائلاً فقلِ(٣)

استخدم الشاعر كلمة (لسان) استخداماً مجازياً إذا أراد من ذلك القول وبما أن اللسان آلة للقول فالعلاقة آلية.

---

(١) المستطرف ، ج٢، ص ٢٠.

(٢) سقط الزند وضوئه، أبي العلاء المعري، تحقيق د/ السعيد السيد عبادة، ط١، ١٤١٤هـ-٢٠٠٢م، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ج٢، ص ٣٠١.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبئ، ص ٨٠-٨١، والمستطرف، ج١، ص ٣٣٢.

وقال آخر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحببا(١)

استخدم الشاعر كلمة يد ولسان والضمير استخدام مجازي، إذ أنه أراد باليد (العطاء)، وباللسان (القول) أو (الحديث)، وبالضمير (قلبه) فالعلاقات متتالية وهي سببية وآلية ومحلية.

ويقول السموءال بن عادياء:

تسيلُ على حدِّ الظُبات نفوسنا

وليست على غير السيوفِ تسيلُ(٢)

كلمة نفوس أراد بها الشاعر (الدماء)؛ لأنها تسيل على حد السيف، ووجود النفس سبب في وجود الدم، وعلى هذا فإن إطلاق الشاعر النفوس على الدم التي هي سبب في وجوده يعد مجازاً مرسلاً علاقته السببية.

وقال عنترة بن شداد:

فشككتُ بالرمحِ الأصمِ ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ(٣)

ففي قوله: شككت ثيابه (أي قلبه) أو أي مكان آخر في جسمه، فالمجاز في كلمة ثيابه أطلقها الشاعر على تلك الأمكنة وأراد منها ما يجاوره من القلب أو الجسم، فعلاقة المجاز المجاورة.

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٣٣٨.

(٢) ديوان عروة والسموءال بن عادياء، ص ٩١، والمستطرف، ج١، ص ١٧٥.

(٣) ديوان عنترة بن شداد، ص ٢١.

المبحث الخامس

اللغة و الأسلوب

اللغة: من أهمّ ما يجب دراسته لفهم الصورة الفنيّة، وهي "وسيلة الشّاعر لتوصيل تجربته، وأداته الأولى في تشكيل صورته ومادّة الشّاعر وخاماته المتجددة"(١).

"وهي عنصر أساسي لابدّ للشّاعر أن يسلك فيه مسلكاً خاصّاً، فيتحرّى الجميل المناسب، والأنيق الحسن"(٢).

"والألفاظ هي أداة الشّاعر، والشّاعر الفنّان يستطيع بهذا الأداة أن يخرج فناً رائعاً ومبدعاً إذا أحسن التوسّل بها في تعبيره وتصويره"(٣).

ويري ابن رشيق في كتابه "العمدة": "إنّ للشعراء ألفاظاً مألوفة لا ينبغي للشّاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أنّ الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعينها سمّوها الكتابة، لا يتجاوزها إلى سواها؛ إلاّ أن يُريد الشّاعر أن يتظرّف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في النّدرة على سبيل الخطرة، فلا بأس من ذلك"(٤).

ويضيف الجاحظ: "كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميّاً ولا ساقطاً سوقيّاً ولا وحشيّاً؛ لأنّ الوحشيّ من الكلام لا يفهمه إلاّ الوحشي من النّاس"(٥). وبما أنّ الشّاعر يشعر ويفكّر بروح العواطف المشتركة بينه وبين النّاس فلا يجوز أن تختلف لغته وأسلوبه عن لغتهم؛ لأنّه لا يخاطب الشّعراء فقط، بل عامّة النّاس بثقافاتهم المختلفة.

ويقول ابن طبا طبا في ذلك: "والشّاعر إذا أسس شعره على أن يأتي منه الكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولّد، وإذا أتي بلفظة غريبة أتبعها أخواتها، وكذلك إذا سّهل ألفاظ لم يخلط بها الألفاظ الوحشيّة النافرة الصعبة القيادة)(٦).

---

(١) الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، ص ٣٢٧.

(٢) لغة الشّعر بين جيلين، إبراهيم السامرائي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص ٨.

(٣) الصورة الفنيّة في شعر دعبل، ص ٣٢٧.

(٤) العمدة، لابن رشيق القيرواني، ج١، ص ١٢٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٦) عيار الشّعر، ص ٦.

ونجد أنّ الحديث عن تناسب الألفاظ مع موضوعات القصيدة يقودنا لمعرفة رأي عبد القاهر الجرجاني في هذا المسلك، حيث يقول: "فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك ولا هجاؤك كاستنباطك ولا هزلك بمنزلة جدّك، ولا تعريضك مثل تصريحك، فتلطف إذا تغزّلت وتفخّم إذا افتخرت، وتصرف للمديح موافقة"(١).

ويقول الجاحظ: إنّ المعاني مطروحة في الطرق يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك"(٢).

وعرّفها عزّ الدين إسماعيل فقال: "اللغة هي مادّة الشّعر الأولى، والشّعر هو الذي يميّزها ويعطيها خصوصيّتها، وهما ظواهر مترادفة في حياة الإنسان. وعلاقة الشّاعر باللّغة ليست مجرّد وسيلة لنقل الأفكار إلى المتلقّي، واستخدامها جامدة كغيره من النّاس، بل يلوّنها بلون تجربته بكلّ أبعادها ويفيض عليها من ذاته وإحساسه فإنّ اللغة تظلّ دائماً أوضح وأقوى ظاهرة تعكس سمات الوجه الحضاري الذي تعيشه الأمّة"(٣).

الأسلوب في اللغة: هو "الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. الأسلوب: الطريق يأخذ فيه. والأسلوب بالضّمّ: الفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه"(٤).

وفي تعريفه عند الأدباء والنقّاد: يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي: "إنّه نهج الكاتب في صوغ أدبه وشعره، وأداءه أفكاره ومعانيه، والطريقة التي يسير عليها في اختيار كلماته وتراكيبه، وممّا يؤثّر في لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة، ومن سهولة أو عذوبة أو جزالة أو من وضوح أو خفاء، وطبع أو صنعة. وألوان الصنعة في

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي الجرجاني، تأليف محمدّ أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمدّ البجاوي، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، منشورات المكتبة المصريّة، ص ٢٤.

(٢) الحيوان، ج٢، ص ١٣٠.

(٣) الشّعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة)، د/ عز الدّين إسماعيل، ط٥، ١٩٨٨م، دار العودة، بيروت، ص ١٧٣.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (سلب)، ج١، ص ٤٧١-٤٧٢.

شعره أو أدبه من تشبيه أو استعارة وكناية وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغة وتورية وتدبيج وعكس ومشاكلة وطرق الأداء التي يسير عليها في صياغته من تقديم وتأخير وذكر أو حذف، وفصل أو وصل، وإيجاز أو إطناب، إلى غير ذلك من شتّى أصناف الأسلوب"(١).

ويتناول عبد القاهر الجرجاني الأسلوب على نسق لا يختلف عن النظم، بل هو يطابق بينهما، وله في ذلك: "وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ، فيقال: قد نظم ألفاظاً فأحسن نظمها، وألفّ كلماً فأجاد تأليفها، خرج له في ذلك أنّ الحاكي إذا أدّى ألفاظ الشّعر على النّسق الذي سمعها عليه قد حكي نظم الشّاعر كما حكي لفظه"(٢).

وقال في الأسلوب: "إنّ الاحتذاء عند الشّعراء وأهل العلم بالشّعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشّاعر في معنى له وغرض أسلوباً، والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجئ به في شعره فيشبّه بمن يقطع من أديمه نعلاً على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال: قد احتذى على مثاله(٣).

ونجد أنّ أحمد الشّايب في كتابه "الأسلوب" فقد عرّفه بأنّه "الصورة اللّفظيّة التي يعبّر بها عن المعاني أو نظم الكلام، وتأليفه لأداء المعاني"(٤).

"والشّاعر تبرز شخصيّته من خلال أسلوبه، فالأسلوب إذن "صفة من صفات الشخصية"(٥). وهو يكشف الأبعاد النفسيّة والإنسانيّة للشاعر؛ لأنّ الاتّصال بينهما خفي غير واضح".

وقد اختلف النقّاد في تعريفهم للأسلوب، فمنهم من حدّده بأنّه "القالب الذي يصبّ فيه كلّ واحد فكره وعاطفته، والمنوال الذي ينسج فيه التراكيب، ومنهم من قال بأنّه المنهاج الذي انتهجه الأديب في الإفصاح عن فكر يختلج في ذهنه أو عاطفته تعمل في قلبه"(٦).

---

(١) ابن المعتز وتراثه في الأدب والنّقد والبيان. د/ محمّد عبد المنعم خفاجي، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الجيل، بيروت، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٤) الأسلوب، دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشّايب، ط٦، ١٩٦٦م، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ص ٤٦.

(٥) النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص ١٣٠.

(٦) في النقد الأدبي، د/ عبد العزيز عتيق، ١٣١٣هـ-١٩٧٢م، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، ص ١٤٥.

والأساليب ليست كلّها من جنس واحد، وإنّما تختلف باختلاف صفات المعاني التي تؤدّيها، وقد عرف العرب أربع أنواع من الأساليب وهي الأسلوب الجزل، والأسلوب السهل، والأسلوب السوقي، والأسلوب الوحشي"[١].

وبما أنّ الأبشيهي قد ضمّن في كتابه "المستطرف في كل فنّ مستظرف" شعراء من عصور مختلفة وبيئات متعددة، فإنّ هذا التّباين قد ظهر جليّاً في شعرهم، وما اتّسم به من عذوبة وقوّة وسهولة وبساطة وخشونة، وعليه يمكننا أن نقف على تلك الخصائص اللّفظيّة المختارة لبعض الشعراء، والتي تحتوى على جزالة الألفاظ، منها قول لبيد العامري:

لعمري ما تدري الطوارق ما الحصى
ولا زاجرات الطّير ما الله صانع[٢]

استخدم الشّاعر ألفاظاً جزلة قويّة أدّت المعنى مثل (الطوارق، الحصى، زاجرات).

ولزهير بن أبي سلمى:

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمُتْ
ولكن حمد المرء غير مخلّدِ[٣]

اشتمل بيت الشاعر على كلمات واضحة بسيطة بعيدة عن التعقيد والتكلّف مثل: (حمد، يخلد، مخلد).

وقال السموأل بن عادياء:

وإنّا أناسٌ لا نري القتل سُبّةً
إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
وأيّامنا مشهورة في عدوّنا
لها غرر مشهورةٌ وحجولُ

---

(١) الصناعتين، ص ٨١.

(٢) في ديوانه: لعمري ما تدري الضوارب بالحصى *** ولا زاجرات الطّير ما الله صانع، ديوان لبيد ابن ربيعة، ص٩٠. المستطرف ج٢، ص ٩٠.

(٣) في ديوانه: فلو كان حمد يخلد النّاس لم تمت *** ولكنّ حمد النّاس ليس بمخلد، ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٢٤، والمستطرف، ج١، ص ٩٧.

سلى إن جهلتِ النّاسَ عنّا وعنهم

فليس سواءً عالمٌ وجهولُ[(١)]

نحسّ في كلّ كلمة من كلمات الشّاعر بروحه القويّة التي تعكس نشوة فخره بقبيلته ومن تلك الكلمات (نسبة) (أيامنا) مشهورة (غرر) (جهول).

ولابن منقذ:

أخلاقك الغرّ السجايا ما لها

حملت قذي الواشين وهي سُلافُ

ومرآة رأيك في عبيدك ما لها

صدئت وأنت الجوهر الشفّافُ[(٢)]

الألفاظ سهلة لا غرابة فيها، وذات جرس موسيقي، ولا غموض فيها (سجايا سلاف صدئت).

وللزبرقان بن بدر في الفخر:

نحن الملوك فلا حيّ يفاخرنا

فينا العلا وفينا تنصب البيعِ

ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا

ومن العبيط إذا لم يؤنس الفزعُ

وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا

للنازلين إذا ما نزلوا شبعوا

تلك المكارم حزناها مقارعة

إذا الكرام على أمثالها اقترعوا[(٣)]

---

(١) ديوان عروة بن الورد والسموأل بن عادياء، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، بيروت، ص ٩١-٩٢. والمستطرف ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) المستطرف، ج٢، ص ٢٨٣.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٢٠٤.

بما أنّ الشاعر ابن بيئته، فإنّنا نجد أنّ الزبرقان قد استخدم ألفاظاً بدويّة تناسب غرضه، مثل (القحط) و(العبيط) و(الكوم) و(أرومتنا)، فمنها أخذ معانيه.

ويقول حسّان بن ثابت في المدح:

إنّ الذوائب من فهر وإخوتهم

قد بيّنوا سنناً للنّاسِ تتّبعُ

يرضي بها كلّ من كانت سريرته

تقوى الإله و بالأمر الذي شرعوا

لا يضنون عن مولٍى بفضلهم

ولا يصيبهم في مطعم طبعُ

خذ منهم ما أتوا عفواً إذا عطفوا

ولا يكن همّك الأمر الذي منعوا[1]

أكّد الشّاعر قوله بحرف النّصب والتوكيد (إنّ) إلى جانب ذلك اشتملت الألفاظ على الجزالة في (ذوائب) (سريرة) (طبع) (منعوا).

ولعمرو بن كلثوم في الفخر:

ألا لا يجهلن أحداً علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا[2]

يصف أسلوب الشّاعر ولغته في هذا البيت اعتزازه بقبيلته وانتمائه لها، فكلّ كلمة تخلق مع الأخرى توأمة تجعلنا نحسّ بفخر الشّاعر وعزّته، (ألا، يجهلن، أحداً، نجهل) والتكرار يضفى عليه جرساً موسيقياً.

وقال أبو الأسود الدؤلي[3] في الحكمة:

---

(١) ديوان حسّان، ص١٠٢-١٠٣. والمستطرف، ج٢، ص ٢٠٤.

(٢) معلقات العرب، د/ بدوي طبانة، ص ١٧٦. والمستطرف، ج١، ص ٢٣٢.

(٣) هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي، الكناني، ولد سنة (١٠ ق هـ- ٦٩٠م) واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشّعراء، من التابعين في أكثر الأقوال، وأوّل من نقّط المصحف، وله شعر جيّد في ديوان صغير. الشعر والشعراء، ج٢، ص ٧٢٩. والأعلام، ج٣، ص٢٣٦. وشذارت الذهب، ج١، ص١٣٩.

وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه

وما كلّ مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ

فحق له من طاعة بنصيبِ(١)

يخلو البيتان من التعقيد اللّفظي والمعنوي، ممّا جعل المعاني سهلة لا غموض فيها.

وقال المتنبئ:

وللسرّ منّي موضع لا يناله

نديمٌ ولا يفضي إليه شرابُ(٢)

أسلوب المتنبئ سلس، وألفاظه واضحة وسهلة، تخلو من الغرابة.

وقد أحسن الفرّاء(٣) حين قال:

من أخمل النّفس أحياها وروّحها

ولم يبتْ طاوياً منها على صخرِ

إنّ الرياح إذا اشتدّت عواصفها

فليس ترمي سوى العالي من الشّجرِ(٤)

اشتمل أسلوب الشّاعر على البساطة ودعّمه بالتشبيه الضمني في البيت الثّاني.

وقال أبو تمّام في المدح:

هو اليُمّ من أيّ النواحي أتيته

فلجّته المعروف والجود ساحِلُهْ(٥)

---

(١) المستطرف، ج١، ص١١٦.

(٢) العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب، للعالم الشيخ ناصيف اليازجي، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ج٢، ص ٣٥٤، المستطرف، ج١، ص ٢٩٨.

(٣) هو: أبو زكريا يحي بن زياد الديلمي، مولى بني أسد، ولد في الكوفة سنة (١٤٤هـ-٧٦١م) وأخذ عن الكسائي، ويونس بن حبيب، له كتب كثيرة منها: "كتاب الحدود" وله في تفسير القرآن، "في أربعة أجزاء وغيرهما. تاريخ بغداد، ج٤، ص ١٤٩-١٥٥. وشذرات الذهب، ج٢، ص١٩، وتاريخ الأدب العربي، ج٢، ص ١٧٥.

(٤) المستطرف، ج١، ص ١٣٤.

(٥) ديوان أبي تمام، ص ٢٤٩.

أجاد الشّاعر في وصف ممدوحه وتشبيهه بالبحر لكرمه بألفاظ قويّة ومعاني جيّدة في استخدامه للتشبيه البليغ في قوله (هو اليمّ).

ومن الأبيات الشعريّة المختارة في كتاب "المستطرف"، والتي احتوت على ألفاظ دلّت على معاناة الشعراء النفسيّة من (شوق وبكاء وحسرة) من فراق الأحبّة، نجد قول الخنساء:

يذكّرني طلوعُ الشّمسِ صخراً

وأذكره لكلِّ مغيبِ شمسِ[1]

عبّرت عن حزنها العميق لأخيها صخر، وعاطفتها الجيّاشة له، باستخدامها لفظتي: (يذكرني، وأذكره).

وقال آخر:

ولا أرتجي في الموت بعدك طائلاً

ولا أتّقي للدهر بعدك خطب[2].

تظهر لمسة الحزن عند ذكره لفظة (الموت) حيث لا يوجد خطب أفجع منه وقال البغدادي[3]:

قالت: وقدنا لها للبين أوجعه

والبين صعب على الأحباب موقعهُ

وأعطف على المطايا ساعة فعسى

من شتت شمل الهوى بالبين يجَمعُهُ

---

(١) ديوان خنساء، ١٩٦٣م، دار صادر، بيروت، ص ٨٤. والمستطرف، ج٢، ص ٣٦٥.

(٢) المستطرف ، ج٢، ص ٢٦٧.

(٣) هو: عبد اللطيف بن يوسف بن محمّد بن علي البغدادي، من فلاسفة الإسلام، واحد العلماء المصنّفين في الحكمة وعلم النّفس والطبّ والتأريخ، والبلدان، والآداب، من كتبه "قرآنية البلاغة" و"الحكمة الكلاميّة" و"ذيل الفصيح" وله رسائل سمّاها "المقامات" توفى سنة (٦٢٩هـ–١٢٣١م)، فوات الوفيّات ج٢، ص ٧. وآداب اللغة، ج٣، ص ٩٠. والمستطرف، ج٢، ص ٢٣.

كأنّي يوم ولّت حسرة وأسى

غريق بحر يري الشاطئ ويمنعه(١)

عبّر الشّاعر عن حزنه لفراق محبوبته بألفاظ تبيّن حالته النفسيّة، واستخدم كلمات حزينة مثل (البين، شتت، ولّت).

ولابن البديري:

قفا حادي ليلي فإنّي وامق

ولا تعجلا على من يفارقُ

وزمّا مطاياه قبيل مسيرها

ليلتذّ منها بالتزوّد عاشقُ

ولا تزجروا بالسّوق أظعان عيسها

فإنّ حبيبي للظعائن سائقُ(٢)

أشدّ ما يؤلم الشعراء، وقت الظعن أو عند رحيل المحبوبة، وذلك له أثر كبير في حياة الشّاعر العربي، ومعاناته النفسيّة فاستخدم الشّاعر كلمات تدلّ على رحيلها، فقال: (المطايا، المسير، الزجر، الظعن، وسائق).

ولعمر بن الوردي:

قلت للذين جفوني إذا لهجت بهم

دون الأنام وخير القول أصدقّهْ

أحبّكم وهلاكي في محبّتكم

كعابدِ النّارِ يهواها وتحرقُهْ(٣)

تألم الشّاعر من جفوة المحبوب، وعبّر عنها بتشبيهه بالعابد للنّار، فهو يهواها ويظلّ بقربها، فتحرقه وتصليه.

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق ، ج٢، ص٣٣٥.

وللإبشيهي رحمه الله:

يا ربّة الحسنِ من بالصدِّ أوصاكي

حتّى قتلتِ بفرط الهجرِ مضناكي

عذبتني بالتّجنّي وهو يعذب لي

فهل تسمحي يوماً برؤياكي

ما كنت أحسب أنّ العشق فيه ضنيً

ولا عذاب نفوس قبل أهواكي

حتّى تولّع قلبي بالغرام فما أمسى

أسيراً سوى في حسن مغناكي(١)

يظهر في أسلوب الشّاعر التوأمة بين ألفاظه وغرضه في عتاب المحبوبة التي تمادت في صدّه وهجرانه.

وأنشد أبو دلف:

أمالكتي ردّي عليّ رقاديا

ونومي فقد شرّدته عن وساديا

أما تتقين الله في قتلِ عاشقٍ

أمت الكرى عنه فأحيا اللّياليا(٢).

وقال الوزير الملقّب بأبي الشّجاع:

لأعذبّنّ العين غير مفكّرٍ

فيما بكت بالدّمع أو فاضت دما

ولأهجرنّ من الرّقاد لذيذه

حتّى يعود على الجفون محرّما

---

(١) المستطرف ، ج٢، ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ١٩٥.

هي أوقعتني في حبائل فتنةٍ

لو لم تكن نظرت لكنت مسلّما

سفكتِ دمي فلا سفحت دموعها

وهي التي بدأت فكانت أظلما[١]

يقسم الشّاعر باستمراره في العذاب والألم ومفارقة الهناء والسعادة، بما أنّ المحبوبة تصدّ عنه وتهجره، كأنّه أخذ على نفسه عهداً بمقاطعتها.

ومن الأساليب التي وردت في كتاب "المستطرف"

١/ **أسلوب القصر**، وهو في اللغة: "يعني إثبات الحكم للمذكور في الكلام ونفيه عمّا عداه، أو هو تخصيص أمر بأمر مخصوص"[٢].

والقصر كما نعلم له أربعة طرق، قصر بإنّما، وقصر بالعطف، (بلا، ولكن وبل) وتقديم ماحقّه التأخير، والنفي والاستثناء، وهذا الأخير هو الأكثر طروقاً في كتاب "المستطرف". فمن ذلك قول بشار بن برد:

كأنها بالضحى إذا مرجت

يمٌّ تداعى تياره الأشر

وما ظفرت عيني غداة لقيتها

بشيء سوى أطرافها والمحاجرُ[٣]

ولأبي نواس:

وما النّاس إلاّ هالكٌ وابن هالك

وذو نسب في الهالكين غريقُ[٤]

وقال طرفة:

---

(١) المستطرف ، ج٢، ص ٢٣٢.

(٢) علوم البلاغة، ص ٣٦.

(٣) ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، ج٢، ص٤١٣- ٤١٤. والمستطرف، ج١، ص ٣٧٦.

(٤) ديوان أبي نواس، ج٢، ص ٦٢١، ورواية البيت في ديوانه: أري كلّ حيّ هالك وابن هالك *** وذو نسب في الهالكين غريق. المستطرف، ج١، ص ٣٧٦.

لعمرك ما الأيّام إلاّ معارة

فما استعطت من معروفها فتزوّد[١]

وقال لبيد:

وما عاتب المرء اللّبيب كنفسه

والمرء يصلحه الجليسُ الصّالحُ[٢]

ولأبي فراس الحمداني:

لئن خلق الأنام لحسو كأس

ومزمارٍ وطنبورِ وعُودِ

فلم يخلق بنو حمدان إلاّ

لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجودِ[٣]

وقال الأوزاعي[٤]:

وما المرءُ إلاّ حيث يجعل نفسه

ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل[٥]

وقال الأمير يلبغا في الرثاء:

ألا إنّما الدنيا غرور وباطلٌ

فطوبى لمن كفاه منها تفرّغا

وما عجبي إلاّ لمن بات واثقاً

بأيّام دهر ما وعي حقّ يلبغا[٦]

في البيت الأوّل القصر بإنّما، وفي الثاني نفي واستثناء، وقال أبو الأسود الدؤلي:

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، ص ٤٤. والمستطرف، ج١، ص ٩٦.

(٢) ديوان لبيد، ص ٢٢٤، والمستطرف، ج١، ص ١٨٣.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٣٣.

(٤) هو: عبد الرحمن بن يحمر الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو، إمام الدّيار الشّاميّة في الفقه والزهد، وأحد الكتّاب المترسلين، له كتاب "السنن" في الفقه و"المسائل". شذرات الذهب ج١، ص ٣٩٣. والأعلام، ج٣، ص ٣٢٠.

(٥) المستطرف، ج٢، ص ٣٨.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧٠.

وما الدّهر والأيّام إلاّ كما ترى

رزيّة مالٍ أو فراق حبيب[١]

٢/ التوكيد: "وهو تمكين معنى الشيء في الغضب وتقويته؛ لإزالته الشكوك، وإماطة الشّبهات عمّا أنت بصدد الإخبار عنه"[٢].

وأدوات التوكيد كثيرة، فنذكر بعضاً مما ورد منها في أبيات بعض الشعراء:

قول شمس الدين البديري:

وقد غفل الواشون عني ولم أزل

ويقظان طرف البين عني راقد

وإن قلت إن الحب غيره النوى

لعمري قلبي بالحشاشة واقد [٦]

أكّد الشّاعر الخبر بعدّة مؤكّدات، وهي (إنّ ولام الابتداء ولام القسم المتّصلة بفعل المضارع ونون التوكيد) فصار ضرب الخبر إنكاري.

ولنصيب[٣]:

ألا إنّ ليلي العامريّة أصبحت

على البعد منّي ذنب غير تنعم[٤]

استخدم الشّاعر (ألا) الاستفتاحيّة و(أنّ) وضرب الخبر إنكاري.

وقال كعب بن سعيد الغنوي[٥]:

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٦٠.

(٢) علوم البلاغة، ص ١٣٨.

(٦) المستطرف ، ج٢ ، ص ١٧٥.

(٣) هو: عبد الله بن كعب بن ضمرة بن كنانة، وكان عبداً أسود لرجل من أهل وادي القرى، فكاتب على نفسه، ثمّ أتي عبد العزيز بن مروان، فقال فيه مدحة فوصله واشترى ولاءه، وكانت أمّه سوداء وكنّى أبا الحجناء، الشعر والشعراء، ج١، ص ٤١٠، والأعلام، ج٨، ص ١٣٠.

(٤) المستطرف، ج١، ص ٢٩٦.

(٥) هو: طفيل بن كعب الفنوي، كان من أوصف النّاس للخيل، ويقال له في الجاهليّة المُحيّر لحسن شعره، وقال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل وقال معاوية دعوا لي طفيلاً وسائر الشّعراء لكم. الشعر والشعراء، ج١ ص ٤٥٣. والأعلام، ج٣، ص ٢٥٢.

ولست بمُبد للرّجالِ سريَرتي

ولا أنا عن أسرارِهم بسؤُول[١]

أدخل الباء الزائدة للتوكيد، فصار الخبر في البيت طلبيّاً.

وقال ورقة بن نوفل[٢]:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم

إنّي لنزير فلا يغرركم أحد

لا شيء ممّا ترى تبقى بشاشته

إلاّ الإله وبردي المال والولد[٣]

استخدم من الأدوات (قد، وإنّ) فصار الضرب إنكاريّاً.

٣/ النداء: "هو إيحاء المخاطب بحرف نائب مناب فعل كادعو"[٤].

وقد خرجت أغراض النداء عن الغرض الحقيقي لأغراض أخرى تفهم من السياق.

قال الإبشيهي:

ياسادة في سويد القلب مسكنه

وفي منامي أري أني أعانقه

أوحشتمونا وعزّ الصبر بعدكمو

يا من يعز علينا أن نفارقكم[٥]

استخدم الشاعر الياء وهي لنداء البعيد بدلاً عن الهمزة لقربه من القلب وحضـــوره في الذهن.

وقال ابن نباتة:

---

(١) المستطرف، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) هو: ورقة بن نوفل بن أسد بن العزّي بن قصى، القرشي، الأسدي، ابن عمّ خديجة زوج الرسول ﷺ، حكيم جاهليّ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وقرأ كتب الأديان، وكان يكتب العربيّة بالحرف العبراني، أدرك إسلام بلال. الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٦٧، الأعلام، ج٨، ص ١١٤-١١٥.

(٣) المستطرف، ج١، ص ١٢٠.

(٤) علوم البلاغة، ص ٧٦.

(٥). المستطرف ج٢، ص ١٧.

أيّها العازل القوي تأمّل من

غدا في صفاتهِ والقلب ذائبُ

وتعجب لطرّة وجبين إنّ

في اللّيلِ والنّهار عجائبُ(١)

عبّر الشاعر عن حزنه وتحسره على المجبوبة بأداة النداء (أيّ) .

وقال آخر :

أيا من عاش في الدنيا طويلاً

وأفني العمر في قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفني

وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد إليك عفواً

أليس مصير ذلك للزوال

استخدم الشاعر الأداء (أيا) وهي للبعيد لغفلت المخاطب وشرود ذهنه.

وقال أبو تمام :

أعاذلتي ماأخشن الليل مركبا

وأخشن منهم في الملمات راكبه

ذريني وأهوال الزمان أقاسها

فأهواله العظمي تليها رغائبه(٢)

يريد الشاعر زجر التي تلومه وتعاتبه فاستخدم الهمزة . وقال آخر:

أيا رب إن البرد أصبح كالحاً

وأنت بحالي يا إلهي أعلم(٣)

---

(١) ديوان ابن نباتة، ص ٥٨، والمستطرف، ج١، ص ٣٧٩.

(٢) ديوان أبي تمام ، ج ١ ، ص ٢٢٦ . والمستطرف ، ج٢ ، ص ٤٠ .

(٣) المستطرف ، ج ٢ ، ص ٢٥٦.

استخدم الشاعر الأداء (أيا) لمناداة الغريب وناجى بها الله سبحانه وتعالى لعلو مكانته وسمو قدره .

٤/ **النهي:** "هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الإلزام"[١].

ومن أغراض النهي التي تفهم من السياق الإلتماس ويظهر ذلك في قول الصنوبري[٢]عن مخاطبته لصاحبيه :

لا تبكينّ على الأطلال والدّمن

ولا على منزلٍ أقوى من السّكنِ

وقم بنا نصطبح صهباءَ صافية

تنفي الهموم ولا تبقي على حزنِ[٣]

والنصح والإرشاد في قول كل من يحي البرمكي[٤]:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة

فليس ينقصّها التبذير والسّرف

فإن تولّت فأحرى أن تجودَ

فليس تبقى ولكن شكرها خلف[٥]

وقول آخر:

---

(١) علوم البلاغة، ص ٦٤.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبوبكر، المعروف بالصنوبري شاعر أكثر شعره في الرياض والأزهار، كان ممن يحضر مجالس سيف الدولة جمع الصولي أشعاره في ديوان، سماه ديوان الصنوبري . الأعلام، ج١، ص ٢٠٧.

(٣) ديوان الصنوبري، تحقيق د/ إحسان عبّاس، ١٩٧٠م، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٤٩٦. والمستطرف، ج٦ ص ٢٤٢.

(٤) هو يحي بن خالد بن برمك، أبو عليّ، كان هارون الرشيد عرف ليحي حقّه، وكان يعظّمه ويجعل له إصدار الأمور وإيرادها إليه، وقيل: لم يكن كيحي بن خالد وكولده في الكتابة والبلاغة والجود تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج١٤، ص ١٣٤. والأعلام، ج٨، ص ١٤٤.

(٥) المستطرف، ج١، ص ٢٤٢.

فلا تجزعنّ إن أظلم الدّهر مرّة

فإنّ اعتكار اللّيل يؤذن بالفّجر[١]

وقول طرفة بن العبد:

ولا ترفدن النصح من ليس له

وكن حين يستغني برأيك غانيا[٢]

وقول محمّد بن سعيد[٣]:

فلا تأمننّ الدهر حرّ ظلمته

فما ليل حرّ إن ظلمت بنائم[٤]

٥/ الاستفهام: "هو الاستفسار، واصطلاحاً: هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بأداة من أدواته"[٥].

ومن أغراض الاستفهام التي تفهم من السياق نجد التحسر في قول جرير:

كم بالمواسم من شعثاء أرملةٍ

ومن يتمٍ ضعيف الصوت والنظـرِ

ممن يعدك تكفي فقد والده

كالفرخ في العيش لم يدرج ولم يطرِ[٦]

وقول كمال الدين بن النبيه:

من لي بأغيد قاسي القلب مبتسم

لا عن رضا معرض عني بلا غضب

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٧٢.

(٢) لم أعثر على البيت في ديوان طرفة. المستطرف، ج١، ص ١٢١.

(٣) هو: محمّد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أمير من بني أميّة في الشّام، له رواية للحديث، أخذ عنه الأوزاعي، وولي الديار المصريّة لأخيه هشام، توفى سنة (١٣٢هـ- ٧٥٠م) الأعلام، ج٦، ص ٢٤٨.

(٤) المستطرف، ج١، ص ١٦٥.

(٥) علوم البلاغة، ص ٦١.

(٦) شرح ديوان جرير، ج٢، ص ٢٧٥ .

فكم له في وجود الذنب من سبب

وليس لي فـــــي قيام العذر من سبب[١]

وقال آخر:

أين الوجوه التي كانت محجبة

وكان من دونها الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين سآءلهم

تلك الوجوه عليها الــدود يقتتل[٢]

وقال معاوية[٣] رضي الله عنه:

فهل من خالدين إذا هلكنا

وهل في الموتِ بين النّاس عار[٤]

والغرض من الاستفهام النفي.

وقال علي بن الجهم في النصح والإرشاد:

كم من عليلٍ قد تخطاه الردى

فنجا ومات طبيبه والعوّد[٥]

٦/ **الأمر**: "هو طلب الفعل على وجه الإلزام أو الاستعلاء"[٦].

من صيغ الأمر (فعل الأمر) ومن الأغراض التي خرجت عن معناها الحقيقي نجد النفي في قول جرير:

قل للجبانِ إذا تأخّر سرجه

---

(١) المستطرف ، ج٢ ،ص ١٦٩ .

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٣١٠.

(٣) هو: معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أميّة، شهد حنين وحسن إسلامه، وكان أحد كتّاب النبي ﷺ. تـــاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص١٩٣.

(٤) المستطرف، ج٢، ص ٣٥٥.

(٥) المصدر السابق ، ج٢، ص ٣١٠.

(٦) علوم البلاغة، ص ٧١.

هل أنت من شرك المنيّةِ ناجي[١]

ونجد النصح والإرشاد في قول أبي العتاهية:

تنحّ عن القبيح ولا تردّه

ومن أوليته حسناً فزده

ستلقى من عدوّك كلّ كيد

إذا كاد العدوّ ولم تكده[٢]

وقول ابن المعتز:

أصبر على حسد الحسود

فإنّ صبرك قاتله

النّار تأكل بعضها

إن لم تجد ما تأكله[٣]

والسخرية في هجاء الحطيئة لأمّه:

تنحي فأجلسي عنا بعيداً

أراح الله منك العالمينا[٤]

والالتماس في قول آخر، –قيل اسمه بديح–[٥]:

ودّع سعاد فإنّ الرّكب مرتحل

وهل تطيقُ وداعاً أيّها الرّجلُ[٦]

ومن صيغ الأمر المصدر النائب عن فعله وذلك متمثل في قول ابن نباتة:

---

(١) ديوان جرير، ص ١١٣. والمستطرف، ج٢، ص ١٧٧.

(٢) ديوان أبي العتاهية، ص ١٥٣، والمستطرف، ج١، ص ٣٠٤.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص ٣٨٩. والمستطرف، ج١، ص ٧٠٣.

(٤) ديوان الحطيئة، ص ٢٧٧. والمستطرف، ج١، ص ٣٤٨.

(٥) هو: بديح مولى عبد الرّحمن بن جعفر من أهل المدينة. تاريخ دمشق الكبير، المعروف بابن عساكر تحقيق أبي عبد الله عاشور الجنوني، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م، الأعلام، ج٩، ص ١٢٠.

(٦) المستطرف، ج٢، ص ١٨٠.

صبراً على نُوّبِ الزّمان

وإن أبي القلب الجريح

فلكلّ شيء آخر

إمّا جميل أو قبيح[1]

قال أبو دلامة:

إني نذرت لإن رأيتك قادماً

أرض العراق وأنت ذو وقرِ

لتصلينّ على النبي محمد

ولتملأنّ دراهماً حجـــري

٧/ **الحذف:** وله مواضع كثيرة وأغراض بلاغيّة شتّى، ومن تلك الأغراض التي وردت في كتاب "المستطرف" من خلال الأبيات الشعرية، نجد حذف المبتدأ، وغرضه إمّا تقوية الوصف، أو المدح. ومن ذلك قول حسّان بن ثابت في المدح:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم

أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا

سجيّةٌ تلك منهم غير محدثة

إنّ الخلائق حقّاً شرّها البدع[2]

موضع الحذف في البيت الأوّل (قوم) وتقديره المحذوف هم، وفي البيت الثّاني (سجيّة) وتقدير المحذوف هي. والغرض من الحذف في كلا البيتين تقوية المدح.

وقال ذو الرّمّة:

أسيلة مجري الدّمع هيفاء طفلة

عروب كإيماض الغمام ابتسامها[3]

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٦٠.

(٢) شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص ٣٦٦. والمستطرف، ج١، ص ٣٠٤.

(٣) ديوان ذي الرّمّة، تصحيح وتنقيح كارليل هنري هيس، ١٣٣٧هـ-١٩١٩م، ص ٦٤٢، ج١، ص ٣٧٥.

وللأخطل في الهجاء:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم

واستوثقوا من رتاج الباب والدّار[١]

وقال الحارث بن ربيعة:

فتى دهره شطران فيما ينوبه

ففي بأسِهِ شطرٌ وفي جودِهِ شِطرُ[٢]

ويشاركه في المعنى قول أوس بن حاتم الطائي:

فتى لا يزال الدّهر أكبر همّه

فكاك أسير أو معونة عارمِ[٣]

وقال إسحاق الموصلي:

أناس أمناهم فنمّوا حديثنا

فلمّا كتمنا السرّ عنهم تقولوا[٤]

ويقول بكر بن النطّاح:

بيضاء تسحب من قيام شعرها

وتغيب فيه وهو وجه أسحمُ[٥]

قوّى الشّاعر وصفه بحذف المبتدأ (هي):

ولابن نباتة:

أنسيّة في مثال الجن تحسبها

شمّساً بدت بين تشريق وتغميم[٦]

---

(١) شرح ديوان الأخطل، ص ٣٧٠. والمستطرف، ج١، ص ٢٥٦.

(٢) المستطرف، ج١، ص ٣٣٠.

(٣) المصدر السابق ، ج١، ص ٣٣٠.

(٤) المستطرف ، ج١، ص ٢٩٨.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٧.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٨.

يريد الشّاعر هي أنسيّة، فحذف المبتدأ، والغرض منه تقوية الوصف.

وقال شمس الدّين البديري:

إنّي كتمت حديث ليلي لم أبَحُ

يوماً بظاهره ولا بخفيّه[1]

موضع الحذف (لم أبُحُ) حذفت الواو من الفعل؛ لأنّه سبق بجازم، وعوض عن الحرف المحذوف الضم.

وقال الأعشي:

لم تمشِ ميلاً ولم تركب على جملٍ

ولم تَر الشّمس إلاّ دونها الكلل[2]

(الفعلان تمش وتر) جزما بحرف الجزم (لم) وعلامة الجزم حذف الياء في تمشي وعوض عنها بالكسرة، والألف في (ترى) وعوّض عنها بالفتحة.

وقال ابن البديري:

قِفا حادي ليلي فإنّي وامقٌ

ولا تعجلا على من يفارقُ[3]

حذفت النون من الفعل (قفا) ومن الفعل (تعجلا).

٨/ **وللذكر** مواضع قليلة في كتاب "المستطرف"، فمن اختيار بعض الأبيات الشعريّة، قال مجنون ليلي:

أعدّ اللّيالي ليلةً بعد ليلى

وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ اللّياليا[4]

ذكر ليلي تلذذا باسمها القريب من قلبه.

وقال الأبشيهي رحمه الله:

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٣.

(٢) لم أعثر على البيت في ديوانه. المستطرف، ج٢، ص ٣٠٠.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ٢٣.

(٤) ديوان مجنون ليلي، ص ١٢٣.

يا هند رفقاً بقلب ذاب فيك أسى

ومهجة تلفت يا هند ما أقساكي

رقّ العذول لحالي ورثي

وأنت يا هنُد لا ترثي لمضناكي[١]

الغرض من تكرار (هند) التلذذ بما هو حبيب إلى نفس الشّاعر.

ولابن البديري، كذلك قام بذكر سلمى:

سقى طللاً حلّته سلمى معاهد

وحيّاه من دمع مذابٌ وجامدُ

فربُعُ به سلمى مصيف ومربع

وأرض نأت عنها قفار جلامدُ[٢]

ولأبي الطمحان:

إنّي من القوم الذين هم هم

إذا مات منهم سيّد قام صاحبُهْ[٣]

كرر الشّاعر الضمير (هم) تقوية للمدح.

٨/ **التقديم والتأخير** نجد قول جمال الدّين بن نباتة:

لله خال على خدّ الحبيب له

في العاشقين كما شاء الهوى غيث

أورثته حبّة القلب القتيل به

وكان عهدي بأنّ الخال لا يرث[٤]

موضع التقديم (لله خال) والغرض منه القصر.

---

(١) المستطرف، ج٢، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ٢١٧.

(٣) المستطرف ، ج١، ص ٢٠٠.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٤.

وأنشد الموصلي:

هي المقاديُر تجري في أعنّتها

فاصبر فليس لها صبرٌ على حالِ

يوماً تريك خسيس الأصل ترفعه

إلى العلا ويوماً تخفض العالي(١)

التقديم والتأخير في قوله: "هي المقادير" والغرض أيضاً القصر.

وقال أبو حاتم(٢):

إذا اشتملت على البؤس القلوب

وضاقت بما به الصدّر الرحيبُ

وأوطنت المكاره واطمأنت

وأرست في مكامنها الخطوب

ولم تَر لانكشاف الضرّ وجّهاً

ولا أغني بحليته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث

بمن به اللطيف المستجيب(٣)

قدّم الشّاعر الشرط "شملت، ضاقت، أوطنت، وأرست، ولم تر، ولا أغني "وأخّـر جواب الشرط "أتاك". والغرض البلاغي من ذلك تشويق السّامع وإثارة خياله وإمتاعه.

ومن الشعراء من استخدم ألفاظاً لآلات الحرب، كما في قول كعب ابن زهير:

من سرّه كرم الحياة فلا يزال

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨.

(٢) هو: أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان بن يزيد الجشمي، السجستاني، مولى بني جشم، ولد في البصرة نحو سنة (١٦٥هـ–١٧٨١م) من أئمة البصريين في القراءة واللّغة والعروض، وفي الغريب والشّعر، وكان شاعراً وسطاً، من كتبه "كتاب القراءات" و"إعراب القرآن" و"الأضداد" وغيرها شذرات الذهب، ج٢، ص ١٢١. والأعلام، ج٣، ص ١٤٣.

(٣) المستطرف، ج٢، ص ٦٩.

في مقنبٍ من صالحي الأنصّارِ

البائعين نفوسهم لنبيّهم

بالمشّرفي وبالقنا الخطَّارِ[1]

قد استخدم "المشرفي والقنا"

وقال زيد بن عليّ[2] رضي الله عنه:

السّيف يعرف عزمي عند هزّته

والرمح بي خبر والله لي وزر[3]

وذكر زيد "السّيف والرّمح".

وقال خالد بن الوليد[4]:

لا ترعبونا بالسّيوفِ المبرقة

إنّ السّهام بالردى مفوقة

الحرب دونها العقال مطلقة

وخالد عن دينه على ثقة[5].

أورد خالد "السّيوف المبرقة، والسّهام".

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن السكّري، المكتبة العربية، وزارة دار الثقافة والإرشاد القومي، ص ٢٧. والمستطرف، ج١، ص٣٤١.

(٢) هو: زيد بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب، الإمام، أبو الحسن العلوي، الهاشمي، القرشي، ولد سنة (٧٩هـ– ٦٩٨م) عدّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أسرعه جواباً ولا ألين قولاً. توفى سنة (١٢٢هـ– ٧٤٠م). الأعلام، ج٣، ص ٥٩.

(٣) المستطرف، ج١، ص ٣٢٢.

(٤) هو: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد بن عمرو بن مخزوم القرشي، المخزوميّ، سيف الله المسلول، كان أحد شرفاء قريش في الجاهليّة، شهد مع كفّار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، ثمّ أسلم في سنة سبع، بعد خيبر، وقيل قبلها، وشهد مع الرّسول ﷺ فتح مكة. الإصابة، في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج٢، ص ٢٥١–٢٥٢.

(٥) المستطرف، ج١، ص ٣١٩.

خاتمة

وتشمل:

- نتائج البحث
- توصيات البحث

خاتمة

لك الحمد ربنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك؛ لنعمك الكثيرة على العبيد أشكرك على نعمة إتمام هذا البحث الذي توصلت فيه الى:

١) عصر الإبشيهي عصر ثر بشتى نواحي العلوم والثقافة، لذا نجد أنّ كتابه المستطرف في كل فن مستظرف، قد اشتمل على أشعار جاهلية وإسلامية وأموية وعباسية وهذه الأشعار تعد مصدراً من مصادر الدارسة للأدب العربي ويمكن الاستشهاد بها في مسائل اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وأدباً ...الخ.

٢) لقد تعددت الأغراض الشعرية في هذا الكتاب وتنوعت ومنها الغزل والمدح والرثاء والهجاء والوصف والحكمة ...الخ.

٣) تناول كتاب المستطرف جميع أنواع الصور الفنية، ويمكن القول إنّه شمل جميع أنواع التشبيهات المختلفة.

٤) الاستعارات الواردة في كتاب "المستطرف" تعد من عيون الشعر العربي، وتعتبر أصلاً من أصوله، ووردت فيه جميع أنواع الكنايات.

٥) شمل كتاب المستطرف جميع علاقات المجاز المرسل.

٦) اللغة التي استخدمها المؤلّف في كتابه المستطرف لغة سهلة والأسلوب متناسق.

التوصيات:

أوصي بالآتي:

١) الاطلاع على هذا الكتاب لما فيه من أهمية لدارس اللغة والأدب.

٢) دراسة الموضوعات دراسة نحوية وصرفية وبلاغية.

فهارس عامة

وتشمل:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس موضوعات البحث

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
(صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ)	١٨	البقرة	١٠٩
(يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)	١٩	البقرة	١٤٨
(صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً)	١٣٨	البقرة	١٢٣
(أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)	٤٣	النساء	١٣٥
(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم)	٣٨	الأنعام	١٠٩
(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)	٦٠	الأنفال	١٤٩
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ)	٤	إبراهيم	١٤٩
(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ)	٥٨	النحل	١٣٦
(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا)	٤٢	الكهف	١٣٦
(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)	٣٥	الأنبياء	١٢٣
(وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)	١١٢	الأنبياء	٨٧
(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)	٢	الحج	١٣٥

(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ)	٧٩	الشعراء	١٤٩
(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً)	٦	لقمان	١٢٣
(إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)	١٠	الأحزاب	١٣٦
(لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)	٧	يس	١٤٧
(نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)	٣٠	ص	٧٢
(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)	٣٥	الأحقاف	١١٠
(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)	١٠	الفتح	١٤٨
(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ)	٤	الصف	١٠٩
(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ)	٤ ١٢-١٣	القلم	٣٧ ٧٢
(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)	٢-٣	الإنسان	ج
(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)	١	التكوير	٥٦
(وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)	١٨	التكوير	١٢٤

فهرس الأعلام

٩٠	الصدفي	٦٨
٩١	صفي الدين الحلّي	٣٢، ٥٠، ٧٨، ٩٠
٩٢	طرفة بن العبد	١٦٧، ١٧٣
٩٣	طفيل بن كعب	١٦٩
٩٤	العباس بن الأحنف	٦٧، ١٠٠
٩٥	العباس بن محمد "السلطان المستعين"	٩
٩٦	عبّاس محمود العقاد	١٠٥
٩٧	عبد القاهر الجرجاني	١٠٤، ١٠٦، ١٥٩
٩٨	عبد الله المنصوري "كتبغا"	٩
٩٩	عبد الله بن المبارك	٨٥، ٩٢
١٠٠	عبد الله بن المعتز	٩٤، ١١١، ١١٧، ١٢٦، ١٣٩، ١٧٥
١٠١	عبد الله بن رواحة	٣٨
١٠٢	عبد الله بن طاهر	١٢٤، ١٣١
١٠٣	العتبي	٦٤
١٠٤	علي بن أحمد السخّاوي	٦
١٠٥	علي بن الجهم	١٣٧
١٠٦	علي محمد بن وهب المسعّري	٤٦
١٠٧	عمرو بن بحر الجاحظ	١٠٣، ١٥٧، ١٥٨
١٠٨	عمرو بن كلثوم	١١٤، ١٥٢
١٠٩	عمرو بن مطرف البغداديّ	١٣١
١١٠	عنترة بن شدّاد	١٢٨، ١٥٦
١١١	الفرّاء	١٦٣
١١٢	الفرزدق	٤٣، ٨٠، ٩٠، ١١٨، ١٣٧ ١٥١

فهرس الأبيات الشعرية

١١	أتثني فتثني صفاتك مظهرا عيّاً وكم أعيت صفاتك خاطبا	صفي الدين الحلّي	الكامل	٤٩
١٢	سألت رسوم القبر عمّن ثوّى به لأعلم ما لاقى فقالت جوانبه	الفقيه منصور	الويل	٦٥
١٣	غليظة جلد المنخرين مُصنّة على أنف خنزير يشدّ نقابها	جرير	الطويل	٧٥
١٤	قل للأمين جزاك الله صالح لا يجمع الله بين السخل والذئب	بشّار	البسيط	٧٦
١٥	فغضّ الطرف إنّك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا	جرير	الوافر	٧٩
١٦	ألا أبلغ بني لأم رسولاً فبئس محلّ راحلة الغريب	بشر ابن أبي حازم	الوافر	٨٠
١٧	بدت لنا الرّاح في تاج من الحبب فخرجت حلّة الظلّماء باللّهب	صفي الدين الحلّي	البسيط	٩٠-٩١
١٨	يكاد يحكيه صوب الغيث منسكباً لو كان طلق المُحيّا يمطر الذهبا	البديع الهمذاني	البسيط	٩٢
١٩	كأنّ مثار النّقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكِبهُ	بشّار	الطويل	٩٦
٢٠	وجيش يثني كلّ طود كأنّه خريق ريّاح واجهت غصناً رطبا	المتنبي	الطويل	٩٦
٢١	يهزّ الجّيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب	المتنبي	الوافر	٩٦
	قافية التاء			
٢٢	لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها إذا ما مشت وليّست بذات تلفت	الشنفرى	الطويل	١٧
٢٣	ألا أمّ عمرو أجمعت فاستقلّت	الشنفرى	الطويل	١٨

	وما ودّعت جيرانها إذ تولت			
٢٤	لما رأيت النجم ساه طرفه والقطب قد ألقى عليه سباتا	ابن منقذ	الكامل	٣٥
٢٥	لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد دعّموه ببغلة	مجهول القائل	الخفيف	٧٥
٢٦	ألا أبلغ لديك أبا دلامة فلست من الكرام ولا كرامة	أبو دلامة	الوافر	٧٧
٢٧	أيجمل يا نظام الملك أنّي أعاود من ذراك كما قدمت	أبو يعلى الهاشمي	الوافر	٨٣
	قافية الثاء			
٢٨	يعاهدني لا خانني ثمّ ينكث وأحلف لا كلّمته ثمّ أحنث	البهاء زهير	الطويل	٢٠
	قافية الجيم			
٣٩	ولمّا رأيت الأرض قد سدّ ظهرها ولم يبق إلاّ بطنها لك مخرجا	الفرزدق	الطويل	٤٤
٣٠	الجوّ بين مضمخّ ومضرّج والرّوض بين مخرف ومدبّج	الصنوبري	الكامل	٩٥
	قافية الحاء			
٣١	ولي كبد حرّى ونفس كأنّها بكفّ عدوّ ما يريد سراحها	ديك الجنّ	الطويل	٢٥
٣٢	أغثني يا فداك أبي وأمّي بسيب منك إنّك ذو ارتياح	جرير	الوافر	٤٣
٣٣	وما كنت أدري ما فواضل كفّه على النّاس حتّى غيّبته الصفائح	أشجع السلمي	الطويل	٦٧
٣٤	لها جسم برغوث وساق بعوضة	مجهول القائل	الطويل	٧٤

	ووجه كوجه القرد بل هو أقبح			
٣٥	إذا رمت هجواً في بلان تصدني خلائق قبح عنه لا تتزحزح	مجهول القائل	الطويل	٧٧- ٧٨
٣٦	أعد مدحي علّي وخذ سواه فقد أتعبتني يا مستريح	سراج الدين الوراق	الوافر	٨٥
	قافية الدال			
٣٧	سقى طللاً حلّته سلمى معاهد وحيّاه من دمعي مذاب وجامد	ابن البديري	الطويل	٢٦-٢٧
٣٨	يا من نفت عني قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان: ٢ - ٣ لذيذ رقادي مالي ومالك قد أطلت سهادي	الوأواء الدمشقي	الكامل	٢٨-٢٩
٤٩	فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد	الوأواء الدمشقي	الطويل	٣٣
٤٠	لو كان يقعد فوق النّجم من كرم قــوم بأوّلهم أو مجدهم قعــدوا	زهير بن أبي سلمى	البسيط	٤٤
٤١	فتى لو يباري الشّمس ألقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالدا	الأعشى	الطويل	٤٧
٤٢	والله ما عجني لقدرك إنّه قــدر على باغي مداه بعيد	جمال الدين بن نباتة	الكامل	٥٠
٤٣	لو يعبد النّاس يا مهديّ أفضلهم ما كان في النّاس إلا أنت معبودُ	الحسين بن مطير	البسيط	٥١
٤٤	أوليتني نعماً وفضلاً زائداً وبررتني حتّى رأيتك والدا	مجهول القائل	الكامل	٥١

٤٥	لئن خلق الأنام لحبّ كأسٍ ومزمـــارٍ وطنبور وعـــودٍ	أبو فراس الحمداني	الوافر	٥٢
٤٦	بكاؤكما يُشفي وإن كان لا يُجدي فجوداً فقدْ أودى نظيركما عندي	ابن الرومي	الطويل	٦٥
٤٧	ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النّعش من عفاف وجود	مجهول القائل	الخفيف	٦٦
٤٨	غير مجد في ملتّي واعتقادي نـــوح باك ولا ترنم شـــادِ	أبو العلاء المعري	الخفيف	٦٦
٤٩	ويا أقبـــح من قـــرد إذا مـــا عـــمي القـــرد	حماد عجرد	الهزج	٥٠
٥٠	يقتّر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد فلو يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد	ابن الرومي	المتقارب	٧٨-٧٩
٥١	إنّي من القوم الذين همو همو قتلوا أخاك وشرّفوك بمقعد	دعبل بن علي	البسيط	٨٣
	قافية الراء			
٥٢	لو لم تكن فيه آيات مبيّنة كانت بديهية تنبيك بالخبر	عبد الله بن رواحة	البسيط	٣٩
٥٣	من سرّه كرم الحياةِ فلا يزل في مقنب من صالحي الأنصارِ	كعب بن زهير	الكامل	٣٩
٥٤	فتى شطره دهران فيما ينوبه ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطرُ	الحارث بن ربيعة	الطويل	٤٢
٥٥	ثلاثة تُشرق الدنّيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر	محمّد بن وهب	البسيط	٤٦
٥٦	إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا	أبو نوّاس	الطويل	٤٨-٤٩

	فأيّ فتى بعد الخطيب تزور			
٥٧	نمشي إلى ضوء أحساب أضأن لنا ما اضاءت اللّيلة القمراء للساري	الحطيئة	البسيط	٤٧
٥٨	شمس العداوة حتّى يستفاد لهم وأعظم النّاس أحلاماً إذا قدروا	الأخطل	البسيط	٤٧
٥٩	ثناؤك في الدّنيا من المسك أعطر وحظّك في الدّنيا جزيل موقّر	مجهول القائل	الطويل	٥٢
٦٠	لمّا رأيت نبيّنا متجندلاً ضاقت علّى بعرضهنّ الدورُ	أبو بكر الصديق	الكامل	٥٤-٥٥
٦١	نبّ المساكين أنّ الخيرَ فارقهم مـــع النبّي تولّـــى سحـــرًا	حسّان بن ثابت	البسيط	٥٥
٦٢	وإنّ صخراً لوالينا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نشتوا لنحّارُ	الخنساء	البسيط	٦١
٦٣	وقفت فأبكتني ديار عشيرتي على رزئهن الباكيات الحواسرُ	ريطة بنت عاصم	الطويل	٦٣
٦٤	لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ولزرت قبرك والحبيب يزار	جرير	الكامل	٦٤
٦٥	كنت السواد لمقلتي يبكي عليك النّاظرُ	مجهول القائل	مجزؤ الكامل	٦٥
٦٦	إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكاء أجاب البكاء طوعاً ولم يجب الصبرُ	العبّاس بن الأحنف	الطويل	٦٧-٧٨
٦٧	نسوان تغلب لا حلم ولا حسب ولا جمال ولا دين ولا خفر	جرير	البسيط	٧٣
٦٨	لا بأس بالقّوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلام العصافيرِ	حسّان	البسيط	٧٧
٦٩	قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم	الأخطل	البسيط	٧٩

	قالوا لأمّهم بولي على النار			
٧٠	لو ترمي بلوم بني كليب نجوم اللّيل ما وضحت لساري	الفرزدق	الوافر	٨٠-٨١
٧١	فبات يزكّيه بغير حديدة أخو قنص يمسي ويصبح مفطرا	النابغة الجعدي	الطويل	٨٧-٨٨
٧٢	إذا وصفت ما فوق مجرى وشاحها غلائلها ردّت شهادتها الأزر	ابن الرّومي	الطويل	٨٨
٧٣	عبوسٌ شموس مصلخد مكابر جرئ على الأقران للقرن قاهرُ	مجهول القائل	الطويل	٨٩
٧٤	وكأس يرينا آية الصّبح في الدّجى فأوّلها شمس وآخــرها بــدر	يزيد بن معاوية	الطويل	٩٣
	قافية السين			
٧٥	ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة عاش في مستوعر شاسِ	الحطيئة	البسيط	٨١
٧٦	فإذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بيــن رومٍ وفــرسِ	البحتري	الخفيف	٩٧
	قافية الصاد			
٧٧	تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا	الأعشى	الطويل	٧٨
	قافية الضاد			
٨٨	وســاقٍ إلى الصبوح دعــوته فقام و في أجفانه سنة الغمضِ	سيف الدولة الحمداني	الطويل	٩١
	قافية العين			
٧٩	إنّ المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع	منصور النميري	البسيط	٤٥-٤٦

٨٠	الحزنُ يقلق والتجمّل يُردعُ والدّمعُ بينهما عصيّ طيّعُ	المتنبي	الكامل	٦٠
٨١	هلمّا إلى معن وقولا لغبره سقتك الغوادي مربعا ثمّ مربعا	الحسين بن مطير الأسدي		٦٩-٧٠
٨٢	أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ	الفرزدق	الطويل	٨٠
٨٣	إذا ما اللّيل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركــوعُ	عبد الله بن المبارك	الوافر	٩٢
٨٤	عليم بما تحت العيون من الهوى سريع بكسر اللحظ والقلب جازعُ	ابن المعتز	الطويل	٩٥
	قافية الغين			
٨٥	ألا إنّما الدنّيا غرور وباطل فطوبى لمن كفاه منها تفرّ	أحمد بن يوسف	الطويل	٦٠
	قافية الفاء			
٨٦	كان الوزير نظام الملك لؤلؤةً يتيمةً صاغها الرّحمن من شرفِ	مقاتل بن عطية	البسيط	٥٩
	قافية القاف			
٨٧	ما كنت أعلم والضمائر تصدق إنّ المسامع كالنواظر تعشقُ	النابُلسي	الكامل	٢١
٨٨	يا راحلاً وجميل الصبر يتبعهُ هل من سبيلٍ إلى لقياك يتفقٌ	أبو العبّاس (ابن النفيس)	البسيط	٢٢
٨٩	مليح يغار الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التمّ عند شروقه	مجهول القائل	الطويل	٢٤
٩٠	إذا جنّ ليلي هامَ بذكركــم أنوح كما ينوح الحمام المطوّق	البهاء زهير	الطويل	٢٩
٩١	أبعد عثمان ترجو الخير أمتّه	ليلى الأُخيَليّة	البسيط	٥٨

	وكان آمناً من يمشي على ساقِ			
٩٢	وصفراء من ماء الكروم كأنّها فراق عـــدو أو لقـــاء صديق	ابن وكيع	الطويل	٩٣
	قافية الكاف			
٩٣	يا سيّد السّادات جئتك قاصداً أرجوا رضاك واحتمي بحماكا	الإبشيهي	الكامل	٤٠-٤١
	قافية اللاّم			
٩٤	أأغصان بان ما أرى أم شمائل وأقمار تمّ ما تضمّ الغلائـــلُ	ابن نباتة	الطويل	١٩
٩٥	دناها جرى نحوي بمقلته الكحلا فلمّا رأي ذلّي ثنى عطفه دلا	يحيى بن أكثم	الطويل	٢٤-٢٥
٩٦	وتميس بين مزعفر ومعصفرٍ ومعنبرٍ وممسكٍ ومصندلِ	الشريف الرّضي	الكامل	٣٤
٩٧	إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلولُ	كعب بن زهير	البسيط	٣٩
٩٨	يا آل هاشم الإله حباكم ما ليس يبلغه المفصّـــل	كعب بن مالك	الكامل	٣٩
٩٩	إن آمنت من الزمان وصرفه لمّا علقت من الأمير نعالا	أبو العتاهية	الكامل	٤٤-٤٥
١٠٠	تراه إذا ما جئته متهللاً كأنّك تعطيه الذّي أنت سائلهْ	زهير	الطويل	٤٩
١٠١	كريم كريم الأمهات مهذّبٌ تـــدفّق يمناه النّـــدى وشمائله	أبو تمّام	الطويل	٤٩-٥٠
١٠٢	ليت المداح تستوفي مناقبه فما كليب وأهل الأعصر الأولِ	المتنبئ	البسيط	٤٨
١٠٣	أرقت فبات ليلي لا يزول	أبو سفيان بن	الوافر	٥٦

	وليل أخي المصيبة فيه طولُ	الحرث		
١٠٤	وكنت أعير الدّمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغِلُهْ	الخنساء	الطويل	٦٢
١٠٥	يا ابنة الأقوام إن لمت فلا تعجلي باللّـــوم حتّى تســـأني	جليلة بنت مرّة	الرمل	٦٢
١٠٦	رأينا للزركلي جدار انف يضاهي في تشامخه الجبالا	مجهول القائل	الوافر	٧٥
١٠٧	لو أنّ قوّة وجهه في قلبه قنص الأسود وأنفذ الأموال	صفي الدين الحلّي	الكامل	٧٨
١٠٨	لو أنّ تغلب جمّعت احسابها يوم التفاضل لم تزن مثقال	جرير	الكامل	٨٠
١٠٩	وقد أغتدي والطيّرُ في وكناتِها بمنجردٍ قيـــد الأوابـــدِ هيكلِ	امرؤ القيس	الطويل	٨٩
	قافية الميم			
١١٠	ذهب اللّذين أحبّهم فعليك يا دنيا السّلام	عمر بن الخطّاب	مجزوء الكامل	٥٨
١١١	ملك الأمور بجوده وحسامه شرفاً يقود عـــدوّه بذمامه	الحسين بن دعبل	الكامل	٤٩
١١٢	استشعر الكتّاب فقدك سالفاً وقضت بصحّة ذلك الأقلامُ	ابن مقلّة	الكامل	٦٩
١١٣	لم تند كفّاك من بذل النوال كما لم ينـــد سيفك مذ قلّدته بدم	ابن الأعرابي	البسيط	٧٩
١١٤	لشتّان ما بين اليزيدين في النّدى يزيـــد سليم والاغرّ بن حاتمِ	ربيعة الرّقي	الويل	٨٢
١١٥	وشمسة كرم برجها قعر دنّها وطلعتها السّاقي ومغربها فمي	يزيد بن معاوية	الطويل	٩٤

١١٦	وكأنّ السّقاة بين النّدامى ألفـــات مــــن السطور قيامُ	ابن المعتز	الطويل	٩٤
١١٧	يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذنٌ تعشقٌ قبل العينِ أحيانا	بشار	البسيط	٣٢
	قافية النون			
١١٨	قوم إذا نزل الغريب بدارهم تركوه ربّ صواهلِ وغيـــانِ	أبو القاسم بن أمية	الكامل	٤٢
١١٩	إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنت كما نثني وفوق الذّي نثني	أبو نواس	الطويل	٥٠
١٢٠	أُغبر آفاق السّماء وكُوّرت شمس النّهار وأظلم العصران	السيدة فاطمة	الكامل	٥٧
١٢١	إنّا نعزّيك لا أنا على ثقة مــن الحياة ولكن سنّة الدّيـــنِ	الإمام الشافعي	البسيط	٥٧
١٢٢	يا غائباً في الثرى تُبلى محاسنه لله يوليك غفـــراناً وإحساناً	الصدفي	البسيط	٦٨
١٢٣	تنحّي فاجلسي عنّا بعيداً أراح الله منك العالمينا	الحطيئة	الوافر	٧٣
١٢٤	وأطلسَ عسّال وما كان صاحباً دعوتُ بناري موهناً فأتاني	الفرزدق	الطويل	٩٠
	قافية الهاء			
١٢٥	دار سكنت بها أقلّ صفاتها أن تكثر الحشراتُ في جنباتها	ابن الأعمى	الكامل	٨٥-٨٦
	قافية الياء			
١٢٦	ألا يا حمامي بطن ودان هجتما عليّ الهوى لمّا تغنيتما ليّا	قيس بن الملوّح	الطويل	٣٠

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المرجع أو المصدر
١.	القرآن الكريم
٢.	اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: يوسف حسين بكار، دار المعارف، مصر.
٣.	أدب العرب (مختصر تاريخ نشأته وتطوّره، وسير مشاهير رجاله): مارون عبود، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
٤.	أدب العصر المملوكي، قضايا المجتمع والفن: د/ فوزي محمد أمين، ١٩٩٣م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٥.	الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب، ط٦، ١٩٦٦م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٦.	الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، دار النهضة للطباعة، مصر، الفجالة، القاهرة.
٧.	الأعلام قاموس تراجم: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٦، ٢٠٠٥م، بيروت، لبنان.
٨.	الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه، الأستاذ عبد علي مهنا، ط١٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩.	الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) مختصر تلخيص المفتاح: تأليف الخطيب القزويني، دار الجيل، بيروت ، لبنان.
١٠.	الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن القزويني، ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١.	البهاء زهير: عبد الفتاح شلبي، ١٩٦٠م، دار المعارف، القاهرة.
١٢.	البيان والتبيين: الجاحظ، ط٤، دار الفكر ، بيروت.
١٣.	تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، ط٢، ١٣٧٣هـ-

١٩٥٤م، مطبعة الاستقامة ، القاهرة.	
تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، ١٩٦٧م، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.	١٤.
تاريخ الأدب العربي: د/ عمر فرّوخ، ط٧، ١٩٩٧م، دار العلم للملايين، بيروت.	١٥.
تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله المنشاوي، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، كلية الإيمان، المنصورة.	١٦.
جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط١، ١٣٤٥هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.	١٧.
جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، ١٩٩٩م، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة.	١٨.
جواهر الكنز: نجم الدين بن إسماعيل بن الأثير، تحقيق ، د/ محمد زغلول سلّام، منشأة المعارف ، الإسكندرية .	١٩.
الحطيئة: درويش الجندي، مطبعة الرسالة.	٢٠.
خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجّة الحموي، ط١، ١٩٨٧م، مكتبة الهلال.	٢١.
الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.	٢٢.
دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية من الأساتذة أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها د/ محمد مهدي علّام ، دار الفكر.	٢٣.
دائرة معارف، ميسرة مقتبسة عن موسوعة المورد: منير البعلبكي، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت.	٢٤.
دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مطبعة المدني، القاهرة.	٢٥.
دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد عبده، تعليق	٢٦.

	ووضع الحواشي محمد رشيد رضا، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٧.	دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، مكتبة القاهرة.
٢٨.	ديوان ابن الرومي: شرح أنطوان نعيم، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، دار الجيل ، بيروت.
٢٩.	ديوان ابن الرومي: شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنّا، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، منشورات دار مكتبة الهلال.
٣٠.	ديوان ابن المعتز: ١٣٨١هـ- ١٩٦١م، دار صادر ، بيروت.
٣١.	ديوان أبي الطيب المتنبئ: شرح أبي البقاء العيكري، ط٢، ١٩٥٦م ، شركة الحلبي، القاهرة.
٣٢.	ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح عبد الرحمن البرقوقي، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، بيروت.
٣٣.	ديوان أبي العتاهية: تحقيق كرم البستاني، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت.
٣٤.	ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، ١٩٦٤م، دار المعارف.
٣٥.	ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، ١٩٤٢م، دار المعارف.
٣٦.	ديوان أبي فراس الحمداني: رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، ١٢٨٥هـ- ١٩٦٦م، دار بيروت للطباعة والنشر.
٣٧.	ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت.
٣٨.	ديوان الأخطل التغلبي: صنعه وكتب مقدماته وشرح معانيه إيليا سليم الحاوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
٣٩.	ديوان الأعشى، ١٩٦٦م، دار صادر ، بيروت.
٤٠.	ديوان الأعشى: ميمون بن قيس، ١٩١٦م، دار صادر ، بيروت.

٤١.	ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرح د/ محمد محمد حسين، ١٩٧٢م، دار النهضة العربية، بيروت.
٤٢.	ديوان البحتري: تحقيق حسن كامل الصيرفي، ١٩٦٤م، دار المعارف، مصر.
٤٣.	ديوان البحتري: شرح وتقديم حنّا الفاخوري، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الجيل ، بيروت.
٤٤.	ديوان الحطيئة: تحقيق نعمان أمين طه، ط١، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٤٥.	ديوان الحطيئة: صنعة ابن السكّري، ١٩٦٠م، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
٤٦.	ديوان الخنساء، ١٩٦٣م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.
٤٧.	ديوان الشريف الرضي، ١٨٣٠هـ- ١٩٦١م، دار بيروت للطباعة والنشر.
٤٨.	ديوان الفرزدق، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م، دار بيروت للطباعة والنشر.
٤٩.	ديوان المتنبي، دار الجيل، بيروت.
٥٠.	ديوان المفضّليات: المفضّل بن محمد الضبّي، ١٩٢٠م، كلية اكسفورد.
٥١.	ديوان النابغة، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
٥٢.	ديوان النابغة الذبياني: شرح وتحقيق كرم البستاني، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م، دار صادر للطباعة والنشر.
٥٣.	ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، ١٩٨٤م، دار المعارف.
٥٤.	ديوان بشار بن برد: شرح حسين حموي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الجيل.
٥٥.	ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: تحقيق د/ عزّة حسين، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، دمشق.

٥٦.	ديوان جرير: شرح محمد حبيب و تحقيق د/ نعمان محمد أمين، دار المعارف، مصر.
٥٧.	ديوان جميل بثينة، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، دار صادر ، بيروت.
٥٨.	ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري: تحقيق د/ وليد عرفات، ١٩٧٤م، دار صادر، بيروت.
٥٩.	ديوان ذي الرّمة: تصحيح وتنقيح كارليل هنري هيس، ١٣٣٧هـ- ١٩١٩م.
٦٠.	ديوان ذي الرّمة: شرح الإمام نصر بن أحمد صاحب الأصمعي، رواية الإمام أبي العبّاس ثعلب، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، مطبعة طربين، دمشق.
٦١.	ديوان زهير بن أبي سُلمى، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، دار صادر، بيروت.
٦٢.	ديوان طرفة بن العبد: تحقيق علي الجندي، دار صادر ، بيروت.
٦٣.	ديوان عروة بن الورد والسمؤال بن عادياء، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، دار صادر ، بيروت.
٦٤.	ديوان عنترة بن شدّاد: شرح د/ يوسف عيد، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار الجيل ، بيروت.
٦٥.	ديوان قيس بن الملوّح، مجنون ليلى، رواية أبي بكر الوابي، دراسة وتعليق يسري عبد الغني، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٦.	ديوان كثير عزّة: جمعه وشرحه د/ إحسان عبّاس، ١٩٧١م، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان.
٦٧.	ديوان كعب بن زهير، ١٩٦٥م، المكتبة العربية، القاهرة.
٦٨.	ديوان لبيد بن ربيعة: تحقيق د/ يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس.
٦٩.	ديوان مجنون ليلى: شرح عدنان تركي درويش، ط٣، ٢٠٠٩م، دار صادر ، بيروت.
٧٠.	ابن الرومي حياته من شعره: عبّاس محمود العقّاد ، ط٢، ١٩٣٨م، القاهرة.

٧١.	سقط الزند: أبو العلاء المعرّي، تحقيق د/ السعيد السيّد عبادة، ط١، ١٤١٤هـ- ٢٠٠٣م، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
٧٢.	سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة.
٧٣.	السيرة النبوّية لأبن هشام: تحقيق مصطفى السقّا وزميليه، ط٢، دار الكنوز الأدبيّة.
٧٤.	شرح ديوان الحطيئة: شرحه نعمان أمين، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٧٥.	شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٧٦.	شرح ديوان الأخطل: إيليا الحاوي.
٧٧.	شرح ديوان الخنساء، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٧٨.	شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٧٩.	شرح ديوان بهاء الدين زهير: شرح إبراهيم جزيني، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، بيروت، لبنان.
٨٠.	شرح ديوان جرير: تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ١٩٩٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٨١.	شرح ديوان حسّان بن ثابت: صححه وضبطه عبد الرحمن البرقوقي، ١٩٨٧م، دار الأندلس للطباعة والنشّر.
٨٢.	شرح ديوان زهير: صنعة الإمام أبي العبّاس الشيباني، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، الدار القومية، القاهرة.
٨٣.	شرح ديوان كعب بن زهير: صنعة الإمام أبي سعيد الحسن السكّري، المكتبة العربية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
٨٤.	الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: د/ يحيى الجبوري، ط٨، ، مكتبة الرسالة، بيروت.

٨٥.	الشّعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية): د/ عز الدين إسماعيل ، ط٥، ١٩٨٨م، دار العودة ، بيروت.
٨٦.	الشّعر والشّعراء: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١٩٦٦م، دار المعارف، مصر.
٨٧.	شعراء القصائد السبع الطوال: قاسم بن محمد الأنباري، ١٩٦٣م، دار المعارف القاهرة.
٨٨.	صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ١٤١٨هـ، وزارة الإرشاد والثقافة، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
٨٩.	الصحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهري: تحقيق أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، مصر.
٩٠.	الصناعتين، أبو هلال العسكري: تحقيق مفيد قميحة، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩١.	الصناعتين، أبي هلال العسكري: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم علي البجاوي، ١٩٥٢م، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٩٢.	الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: د/أحمد دهمان، ١٩٥٩م، دار طلايل، دمشق.
٩٣.	الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي: د/ علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف ، مصر.
٩٤.	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ١٣٥٤هـ، مكتبة القدسي، القاهرة.
٩٥.	طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام الجمحي، ١٩٦٧م، دار المعارف، القاهرة.
٩٦.	عبّاس العقاد ناقداً: د/ عبد الحي دياب، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
٩٧.	العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيب: للعالم الشيخ ناصف

	اليازجي، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، دار صادر للطباعة والنشر.
٩٨.	علم اللُغة: د/ محمود السّعران، ط٢، ١٩٩٧م، دار الفكر، القاهرة.
٩٩.	علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت، لبنان.
١٠٠.	علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي، ١٩٨٦م، دار العلم ، بيروت.
١٠١.	العمدة: ابن رشيق القيرواني، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، صيدا ، بيروت.
١٠٢.	العمدة: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، ١٩٨١م، بيروت.
١٠٣.	عيار الشعر: ابن طباطبا، تحقيق د/ عبد العزيز بن ناصر المانع، ١٤٠٥هـ- ١٩١٥م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.
١٠٤.	فن المديح وتطوّره في الشّعر العربي: أحمد أبو إسحاق، ١٩٦٢م، دار الشروق الجديد.
١٠٥.	فوات الوفيات: محمد بن شاكر أحمد الكُتبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٥١م، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
١٠٦.	في النقد الأدبي: د/ عبد العزيز عتيق، ١٣١٣هـ- ١٩٧٢م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
١٠٧.	القاموس المحيط: تأليف محمد يعقوب الفيروز آبادي، تعليق أبو البقاء نصر الهوريني المصري، دار الحديث، القاهرة.
١٠٨.	قصيدة المديح حتى نهاية العصر الأموي (بين الأصول والإحياء والتجديد): وهب رومية ، ١٩٨١م، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
١٠٩.	الكامل: المبرّد، تحقيق د/ محمد أحمد الرابي، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة.
١١٠.	كتاب دائرة المعارف: البستاني، ١٩٥٨م، بيروت، لبنان.
١١١.	كشف الظنون: القسطنطيني، ١٤١٧هـ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان.

١١٢.	لسان العرب: ابن منظور، دار صادر ، بيروت.
١١٣.	لغّة الشّعر بين جيلين: إبراهيم السامرائي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
١١٤.	المثل السائر، ابن الأثير: تحقيق محمد محي الدين، ١٩٩٠م، بيروت.
١١٥.	مختار الصحاح: الشيخ الإمام محمد أبي بكر عبد القادر الرازي، ١٩٣٧م، دار المعارف ، القاهرة.
١١٦.	المديح: سامي الدهّان، ط٢، ١٩٦٨م، دار المعارف، القاهرة، مصر.
١١٧.	المستطرف في كل فن مستظرف: بهاء الدين بن أحمد الإبشيهي، ط١، ١٩٩٧م، دار الفكر العربي.
١١٨.	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيّومي.
١١٩.	مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح الإسلامي: د/ علي إبراهيم حسن، ط٥، ١٩٦٤م، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
١٢٠.	مصر في عصر دولة المماليك البحرية: د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٥م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
١٢١.	المصطلح النقدي في نقد الشّعر:إدريس الناقوري، ط٢ ،١٩٨٤م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا.
١٢٢.	ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.
١٢٣.	معجم الأدباء، ياقوت الحموي: تحقيق د/ إحسان عبّاس، ط١، ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
١٢٤.	معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.
١٢٥.	المعجم الوسيط، ط٢، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
١٢٦.	معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٩٧٢م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

١٢٧.	معلّقات العرب: د/ بدوي طبانة، ط٢، ١٣٨٧هــ- ١٩٦٧م، مكتبة الأنجلو المصرية.
١٢٨.	معلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي: بدوي أحمد طبانة، دار الثقافة، بيروت.
١٢٩.	مفتاح العلوم: السكاكي، ط٢، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٠.	المماليك في مصر: أنور زقلمة، ١٩٣٠م، القاهرة.
١٣١.	الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي، ط٣، ١٩٥٩م، المكتبة العلمية، القاهرة.
١٣٢.	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين الأتابكي، ١٣٦٩هــ- ١٩٥٠م، مكتبة دار الكتب المصرية.
١٣٣.	نقائض جرير والفرزدق، ١٩٠٥م، مكتبة المثنى، بغداد.
١٣٤.	نقد الشّعر: قدامة بن جعفر، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، ١٩٦٣م، مكتبة الكلّيات الأزهريّة.
١٣٥.	نقد النثر: تحقيق طه حسين وعبد الحميد الصاوي، ١٩٣٨م، مطبعة لجنة التأليف.
١٣٦.	الهجاء: تأليف لجنة من أدباء الأقطار العربيّة، ١٩٦٠م، دار المعارف القاهرة.
١٣٧.	الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ط١، ١٤٢٠هــ- ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
١٣٨.	الوساطة بين المتنبئ وخصومه: القاضي الجرجاني، تأليف محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ١٣٨٦هــ- ١٩٦٦م، منشورات المكتبة المصرية.
١٣٩.	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، تحقيق د/ إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت.

فهرس موضوعات البحث